

سلسلة زاد المناسبات



زاد السبلحات



البحثة والمستشارة التربوية

مياسة

مناسبات شهر رمضان

مجمع التبحر والارشاد الاميري | معهد الاسرة المسلمة

زَادُ الْمُبَلَّغَاتِ
الْجُزْءُ الثَّامِنُ
مُنَاسِبَاتُ شَهْرِ رَمَضَانَ

زاد المبلّغات



كتاب: زاد المبلّغات - الجزء الثامن

تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع

تصميم: مياسة شبع

الناشر:

الطبعة:

عدد الصفحات: ٣١٣ صفحة

مركز التوجيه والإرشاد الأسري

٠٠٩٦٤٧٧٦٣٦٩٥٠٨٠ - ٠٠٩٦٤٧٨٠٠٢٦٢٤١٣  counselingcenter2015@gmail.com

معهد الأسرة المساندة

٠٠٩٦٤٧٧٣٣٣١٩٥٥ - ٠٠٩٦٤٧٨٢١٧٨٦٠٥٨  familyinstitute2017@gmail.com

تراجم النبغات

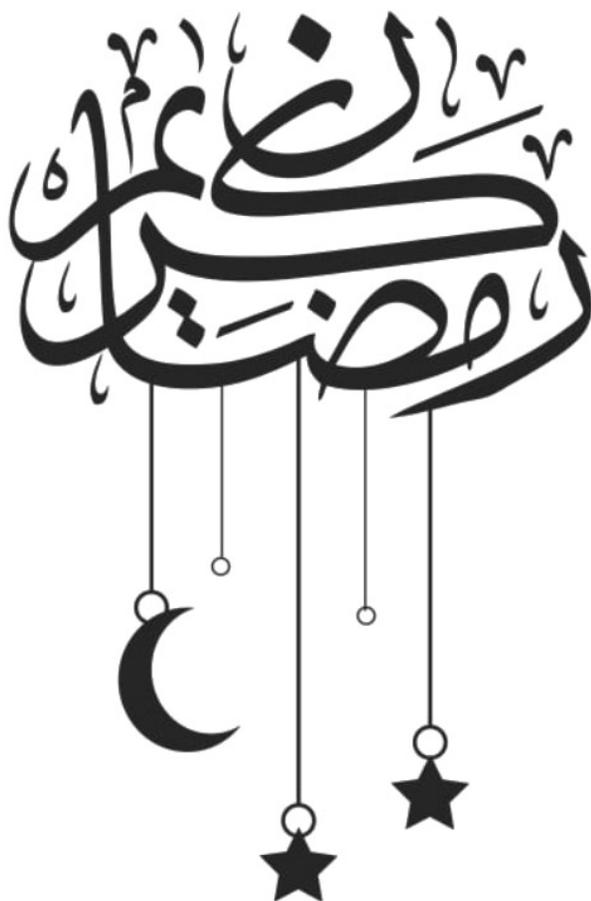
الجزء الثامن



فهرس المحتويات

- المقدمة ٧
- رمضانيات: الخطبة النبوية في استقبال شهر رمضان ٩
- موضوع المحاضرة (١): رمضان شهر البركة ١١
- يوم ١ رمضان: وفاة السيدة نفيسة عليها السلام ٣٤
- موضوع المحاضرة (٢): الزواج المبكر بين مؤيد ومعارض ٣٦
- يوم ٧ رمضان: وفاة أبي طالب عليه السلام ٦٢
- موضوع المحاضرة (٣): أربع مهلكات... كيف نتجنبها؟ ٦٤
- يوم ١٠ رمضان: وفاة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام ٩٠
- موضوع المحاضرة (٤): مخاطر التبرج والسفور ٩٣
- يوم ١٢ رمضان: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ١١٦
- موضوع المحاضرة (٥): أسرار الدعاء بين الاستجابة والمنع ١١٩
- يوم ١٥ رمضان: ولادة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ١٤٣
- موضوع المحاضرة (٦): التهرب من النفقة: أزمة قيم ومسؤولية ١٤٥
- يوم ١٧ رمضان: معركة بدر الكبرى ١٧١
- موضوع المحاضرة (٧): الجهاد درب العزة والكرامة ١٧٣

- ١٩٦ يَوْمُ ١٩ رَمَضَانَ: ضَرْبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ١٩٩ مَوْضُوعُ الْمُحَاضِرَةِ (٨): اللَّعْنُ فِي مِيزَانِ الْحَقِّ
- ٢٢٤ يَوْمُ ٢٠ رَمَضَانَ: فَتْحُ مَكَّةَ
- ٢٢٦ مَوْضُوعُ الْمُحَاضِرَةِ (٩): عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ
- ٢٥٠ يَوْمُ ٢١ رَمَضَانَ: شَهَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٥٣ مَوْضُوعُ الْمُحَاضِرَةِ (١٠): لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ (عَجَّ)
- ٢٧٧ الْهُوَامِشُ



المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تُعَدُّ مهمَّة العمل التبليغي من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان كونها تتحد في جوهرها وماهيتها مع مهام الأنبياء والرسل والأولياء. وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيُحْشِنُونَهُ وَلَا يُحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١) نجد في كل مناسبة دينية تُستنفر همم الأخوات المبلِّغات لأداء واجبهن في نشر العلم والحث على العمل الصالح أداءً لهذه المهمَّة الرسالية العالية، وبالأخص ونحن نعيش في زمن تزداد الحاجة فيه إلى التبليغ؛ لأنَّ الإعلام المضاد للدين - والذي تتحكَّم فيه القدرات العالمية، وتوظَّف فيه أحدث الأساليب والطرق - قد بلغ أقصى مداه، خاصَّة وأنَّ الكيان الثقافي الإسلامي معرَّض لمخاطر معقَّدة وجديَّة، وفي المواجهة الراهنة سيحدِّد إمَّا البقاء بعزٍّ ورفعته الإسلام والمسلمين أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرَّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلِّ والانحطاط.^(٢)

وفي إطار مواكبة المبلِّغات في عملهن التبليغي الذي يمثل غاية الشرف، ويهدف تأمين مادة ثقافية تمكِّن المبلِّغة من الاستفادة منها لإحياء المناسبات الدينية، وحرصاً على إرشاد الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي التربوية والاجتماعية والإيمانية؛ عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف كتاب (زاد المبلِّغات) والذي يقع ضمن سلسلة (زاد المناسبات) في أربعة عشر جزءاً، وكل جزء سنطرح فيه أبرز المناسبات الدينية لكل شهر وفق التاريخ الهجري، والتي سيتم بيانها بمحاضرة أو الإشارة إليها بشكل موجز بعد ربطها بمحاضرة معينة، وعدد مناسبات كل جزء يتراوح ما بين (١٠-١٥) مناسبة دينية. علماً أنَّ الأخوات غير مقيِّدات بطرح المحاضرة لنفس المناسبة المطروحة في الكتاب،

بل لهنّ الحرية في ربطها بأي مناسبة دينية أخرى.

ولقد حرصنا على أن تكون مواضيع المحاضرات منتخبة من الواقع الذي تعيشه الأمة (ومقسّمة ومنوّعة حتّى لا تُسبب الملل للمتلقّي، وتكون مناسبة لكافة شرائح الحاضرات والمتلقّيات، ففي اغلب المجالس تحضر الفتاة الشابة والمرأة المسنّة، وهناك من تحمل شهادة ولديها مستوى ثقافي متوسط أو عالٍ، وهناك من لا تحمل شهادة، ولربما تكون أمية، فيتوجّب مراعاة الفوارق الفردية بين صفوف الحاضرات، وهذا ما يُشير إليه النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: «إنّا معاصر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»^(٣)، فمن ذكاء المبلّغة أو الداعية أن تعرف ما تحتاج إليه المتلقّية من أمور دينية وتربوية وغيرها، فلا تنتظر أن تأتي النساء إليها، بل هي التي تقتحم الميادين)^(٤)، فالمبلّغ كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفاً النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه.. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وآذان صم، وألسنة بكم.. متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة).^(٥)

أي ان المبلّغة كالطبيب الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية مناسبة لنوع المرض، فعلى سبيل المثال: لو كانت أغلب أمراض النساء هي التبرج والسفور، أو التأثير بالفساد الإعلامي فوجب التركيز على تلك المواضيع أكثر من غيرها. وأيضاً الطبيب الماهر هو الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية كافية تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، فإذا زادت المحاضرة ربما تسبّب نفوراً ومللاً، وإذا نقصت فسوف تسبّب سوء فهم، أو عدم اكتمال الصورة المطلوبة في ذهن السامعة، ولقد ارتأينا أن نطرح الحد الأعلى، فكانت مُدّة طرح المحاضرة في هذا الكتاب ما بين (٣٥-٥٠) دقيقة، وللمبلّغة الحرية في إيجازها وانتخاب ما تراه مناسباً.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بأحسن قبول وأن ينال رضا قلب صاحب العصر والزمان عج.



رَمَضَانِيَّاتُ

فُطِبَةُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فِي اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ



الْمُنَاسِبَةُ

حُلُولُ شَهْرِ رَمَضَانَ الْكَرِيمِ.

القصيدة: للشاعر خير الدين الوائلي

فَاسْتَقْبَلُوهُ بَعْدَ طَوْلِ غِيَابٍ
فَتَنَبَّهُوا فَالْعَمْرُ ظَلَّ سَحَابٍ
فَأَجُورُ مَنْ صَبَرُوا بِغَيْرِ حِسَابٍ
مَنْ أَجَلِهِ سَخَرُوا بِكُلِّ صَعَابٍ
أَكْرَمُ بَبَابِ الصُّومِ فِي الْأَبْوَابِ
رِيحَ السَّمُومِ وَشَرَّ كُلِّ عَذَابِ
مَنْ زَنْجَبِيلٍ فَاقَ كُلِّ شَرَابِ
سَعِدُوا بِخَيْرِ كِرَامَةِ وَجَنَابِ
يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْأَوْشَابِ
وَتَحَرَّرَ مِنْ رِبْقَةِ بَرْقَابِ
وَأُخُوَّةِ وَقْرَابَةِ وَصَحَابِ
أَوْ قَالَ شَرًّا أَوْ سَعَى لِخَرَابِ
وَأَخْلَ بِالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ
وَتَقَارَبَ الْبُعْدَاءِ وَالْأَغْرَابِ
وَحِبَالِ وُدِّ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ
بِالْجُودِ وَالْإِيثَارِ وَالتَّرْحَابِ
وَصَفَاءِ رُوحِ وَاحْتِمَالِ صَعَابِ
غَيْرِ الظَّمَا وَالْجُوعِ وَالْأَتْعَابِ
وَكَذَاكَ تَارِكُ شَهْوَةِ وَشَرَابِ
لِعَلَّاهُ مِثْلُ الرُّسُلِ وَالْأَصْحَابِ

رَمَضَانَ أَقْبَلَ يَا أُولِي الْأَبْوَابِ
عَامٌ مَضَى مِنْ عَمْرِنَا فِي غَفْلَةٍ
وَتَهَيَّؤُوا لِتَصَبُّرٍ وَمَشَقَّةٍ
اللَّهُ يَجْزِي الصَّائِمِينَ لِأَنَّهُمْ
لَا يَدْخُلُ الرِّيَّانَ إِلَّا صَائِمٌ
وَوَقَاهُمْ الْمَوْلَى بَحْرَ نَهَارِهِمْ
وَسُقُوا رَحِيقَ السَّلْسَبِيلِ مَزَاجُهُ
هَذَا جِزَاءُ الصَّائِمِينَ لِرَبِّهِمْ
الصُّومُ جَنَّةٌ صَائِمٌ مِنْ مَأْتَمٍ
الصُّومُ تَصْفِيدُ الْفَرَاثِزِ جَمَلَةٌ
مَا صَامَ مَنْ لَمْ يَرْعَ حَقَّ مَجَاوِرٍ
مَا صَامَ مَنْ أَكَلَ اللَّحْمَ بِغَيْبَةٍ
مَا صَامَ مَنْ أَدَى شَهَادَةَ كَاذِبٍ
الصُّومُ مَدْرَسَةُ التَّعَضُّفِ وَالتُّقَى
الصُّومُ رَابِطَةُ الْإِخَاءِ قَوِيَّةٌ
الصُّومُ دَرْسٌ فِي التَّسَاوِيِ حَافِلٌ
شَهْرُ الْعَزِيمَةِ وَالتَّصَبُّرِ وَالْإِبَا
كَمْ مِنْ صِيَامٍ مَا جَنَى أَصْحَابُهُ
مَا كُلُّ مَنْ تَرَكَ الطَّعَامَ بِصَائِمٍ
الصُّومُ أَسْمَى غَايَةِ لَمْ يَرْتَقِ

المُحَاضِرَةُ الْأُولَى

رَمَضَانُ شَهْرُ الْبَرَكَةِ

روي عن أمير المؤمنين عليه السَّلَامُ أنه قال:

إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَظَبَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ...» (٦).

هذا المقطع هو جزء من خطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ألقاها في أواخر شهر شعبان بمناسبة استقبال شهر رمضان المبارك. في هذه الخطبة، يخبرنا النبي صلى الله عليه وآله، الذي ما ينطقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، بأن شهر رمضان حين يُقبل علينا، يأتي بثلاثة هدايا عظيمة.

هدايا شهر رمضان ليست من جنس الهدايا المادية التي يجلبها بعضنا للآخرين، مثل الزهور أو الحلويات، بل هي هدايا أعمق وأوسع أثرًا بكثير. إنها: (البركة)، و (الرحمة)، و (المغفرة).

الهدية الأولى: «البركة»، وهي من أعظم النعم التي يقدمها الله لعباده، إذ تضيء الخير والنماء على كل جوانب الحياة.

الهدية الثانية: الرحمة الإلهية، حيث تُفتح في هذا الشهر أبواب الرحمة، فيكون العبد أقرب ما يكون لنيل عفو الله ولطفه.

الهدية الثالثة: المغفرة الشاملة، التي تجعل هذا الشهر فرصة عظيمة للتطهر من الذنوب، عبر وسائل عديدة مثل: الصيام، التلاوة، والدعاء.

في هذه المحاضرة، سنسلط الضوء على الهدية الأولى، وهي البركة، لما لها من أهمية كبيرة في حياتنا اليومية. فكثيرًا ما نردد كلمة «البركة» في دعائنا وكلامنا، مثل

قولنا: «اللهم بارك لنا في أرزاقنا»، أو «بارك الله فيك»، أو «نبارك لكم حلول شهر رمضان المبارك»، وغيرها. وقد ورد ذكر البركة في القرآن الكريم ٣٢ مرة بصيغ مختلفة، مثل: «بركات»^(٧)، و«بارك»^(٨)، و«باركنا»^(٩)، و«بورك»^(١٠)، «مبارك»^(١١)، «مباركة»^(١٢)، «تبارك»^(١٣).^(١٤)

في الأزمنة السابقة، كان الناس يدركون معنى البركة ويعيشون آثارها في حياتهم اليومية. أما في زماننا الحالي، فالكثير يعانون من نقص البركة، ويتجلى ذلك في أمور عديدة، منها:

١. رفع البركة في الوقت: الشعور بضيق الوقت، وعدم القدرة على إنجاز المهام، حيث تمر الأيام سريعاً دون تحقيق أهداف تُذكر.
 ٢. رفع البركة في المال: رغم زيادة الدخل، يعاني بعض الأشخاص من عدم كفاية المال لتلبية الاحتياجات، وكأن المال يذهب دون أثر.
 ٣. رفع البركة في الذرية: زيادة التحديات الأخلاقية والنفسية لدى الأبناء، مع ضعف البرّ بالوالدين.
 ٤. رفع البركة في الطعام: انتشار الأمراض الناتجة عن الأطعمة، رغم وفرتها، مع قلة الشعور بالشبع والرضا.
 ٥. رفع البركة في العلاقات: ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية، وزيادة النزاعات، مما يؤدي إلى غياب السكينة في المجتمع.
 ٦. رفع البركة في الراحة النفسية: انتشار القلق والاكتئاب رغم توفر وسائل الراحة، مما يجعل الحياة مليئة بالضغوط.
- فيا ترى ما معنى البركة؟ وما هي موانعها؟ وما هي الوسائل التي نكتسب بها البركة؟ وكيف أصبح شهر رمضان شهر البركة؟
- كل هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عنها في مباحث هذه المحاضرة.

المَبَكْتُ الأَوَّلُ: مَعْنَى البَرَكَةِ وَمَظَاهِرِهَا

البركة لغة: كلمة «بركة» مشتقة من مادة «ب ر ك» وتعني الثبات والدوام، ولذلك يسمّى الخير والنماء الدائمان، بركة.

يقول ابن منظور: البَرَكَةُ: النَّماءُ وَالزِّيَادَةُ. وَالتَّبَرُّيْكَ: الدُّعَاءُ لِلإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ بِالْبَرَكَةِ... وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، أَي أَثْبِتْ لَهُ وَأَدِمْ مَا أَعْطَيْتَهُ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالْكَرَامَةِ. (١٥)

فالبركة هي الزيادة والمضاعفة والكثرة سواء كان في المادي أو المعنوي، وفي مقابلها (المحق) وهو النقص والقلّة والخسارة وذهاب البركة، ومنه (يمحق الله الربا) أي يستأصله ويذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه. (١٦)

(ويسمّى الخير والزيادة بركة إن اقترنا بخصوصيتين؛ إحداهما الكثرة والزيادة، والأخرى الثبات والدوام) (١٧).

من مظاهر البركة:

✿ البركة في المال: القليل يكفي ويغني، ويزيد الخير في الرزق دون تبذير أو إسراف.

✿ البركة في الصحة: التمتع بالعافية وقلّة الأمراض، مع القدرة على العمل والنشاط.

✿ البركة في الذرية: صلاح الأبناء وبرّهم، ورفعتهم للمجتمع، رغم قلة عددهم أحياناً.

✿ البركة في العلاقات: المحبة والوئام بين الناس، مع قلة النزاعات والخلافات.

✿ البركة في العلم: تعلّم القليل وإدراك الكثير، ورفعت العلم للإنسان والمجتمع.

✿ البركة في العمل: إنتاجية عالية وقبول العمل من الناس ومن الله، مع الشعور بالرضا.

🌸 البركة في العمر: التوفيق لإنجاز أعمال عظيمة في حياة قصيرة، كحال العلماء والأولياء.

🌸 البركة في الوقت: يقول السيد الطباطبائي (ره): «البركة في الوقت أن يسع من العمل ما ليس في سعة مثله أن يسعه»^(١٨). مثال ذلك العلامة المجلسي (ره) الذي كان يتمتع بنشاط كبير وتفانٍ في عمله العلمي والديني، وقد اشتهر بتأليف موسوعة «بحار الأنوار»، التي تُعد من أكبر الموسوعات الحديثية في التراث الإسلامي والتي يبلغ عددها ١٢٠ جزءاً، عدا التأليفات الأخرى.

عندما نقارن ما قدمه المجلسي من إنجازات مع عدد سنوات عمره، نجد أنها تفوق المتوقع، مما يُشير إلى أن الله بارك في وقته وعمله. وعلى النقيض، يعاني أغلب الناس في هذا الزمن من زوال البركة في الوقت، كما أشار أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... قال: إذا ظهر في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المشاجرة ستون خصلة... - إلى أن قال - فحينئذ تصير السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كالיום، واليوم كالساعة، والساعة لا قيمة لها»^(١٩).

🌸 البركة في الطعام: الشعور بالشبع من كميات قليلة، وزيادة الخير والبركة عند مشاركة الطعام. وللتوضيح لنضرب مثالين:

مثال رقم (١): لنفترض أن لديك كيساً يحتوي على خمسة كيلوغرامات من الأرز، وتستهلك منه يومياً نصف كيلو. من المنطق أن ينفد الأرز بعد عشرة أيام. لكن أحياناً، تلاحظ أن الكمية في الكيس لم تنقص كما توقعت، على الرغم من يقينك بأنه لم يضاف أحد شيئاً إلى الكيس.

إذن، من الذي زاد كمية الأرز؟ هل هو ملك من الملائكة؟ أم أن الأرز تكاثر من تلقاء نفسه؟ لا تعلم الإجابة. لكن عقلك يدرك أن هناك زيادة غير مفسرة، وهذه الزيادة تسمى «البركة».

مثال رقم (٢): أحياناً، نجد شخصاً لديه دخل مرتفع جداً، لكنه لا يشعر بالخير أو الاكتفاء: لا يأكل جيداً، ولا يرتدي لباساً مناسباً، وحياته مليئة بالمشاكل المالية. في المقابل، نجد شخصاً آخر بدخل أقل بكثير، لكنه يعيش حياة مستقرة، يأكل

جيداً، يوفر احتياجاته، وحتى يدخر جزءاً من ماله. هذه الحالة توضح أن هناك مالاً فيه بركة ومالاً منزوع البركة.

نفهم من ذلك أن البركة في الأصل نعمة غير ملموسة لأنها تشير إلى زيادة الخير والنماء بشكل معنوي وروحي، مثل الشعور بالرضا أو التوفيق. لكن آثارها قد تكون ملموسة عندما تظهر في أمور مادية، مثل: زيادة المال، كفاية الطعام، أو الصحة الجيدة. وهي هبة إلهية يمنحها الله لمن يشاء، لكنها ليست مقصورة على أحد، بل متاحة لكل من يلتزم بالتقوى والطاعة - كما سنوضح ذلك لاحقاً -.

الْمَبْنُوتُ النَّابِي: مَوَاطِنُ الْبَرَكَةِ

قبل أن نذكر مواطن البركة لا بد من التمهيد لفهم أصل البركة الموجودة فيها. من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر جميع الصفات الكمالية، كالرحمة، الرزق، العدل، والعلم. ومن عظيم حكمته أنه أفاض بعضاً من هذه الصفات على مخلوقاته لتكون مظاهر لإرادته وقدرته، لكن على نحو التبعية لا الاستقلال^(٢٠)؛ لأن الله تعالى أجرى نظام الكون وفق قانون الأسباب والمسببات رحمةً بعباده وتيسيراً لأمر حياتهم، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها»^(٢١).

على سبيل المثال:

🌸 الله مدبر الأمور، ولكنه أفاض صفة التدبير على بعض مخلوقاته كما في الملائكة الذين وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(٢٢)، أي أنها أسباب للتدبير الإلهي.

🌸 الله الرزاق، لكنه جعل السعي والعمل أسباباً للرزق.

🌸 الله الشافي، وجعل الدواء والطبيب سبباً للشفاء.

ومن صفات الله التي تهمنا في هذه المحاضرة هي: (المبارك)، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ: «أَسْأَلُكَ... بِاسْمِكَ.. الطَّاهِرِ الطُّهْرِ الْمُبَارَكِ»^(٢٣).

، وبالمثل فقد أفاض هذه الصفة وأنزلها على بعض مخلوقاته لتكون مواطن للبركة

تنقل أثرها إلى حياة الناس، لذا نقرأ في بعض الأدعية: «يا مُنْزِلَ الْبَرَكَاتِ»^(٢٤).
 هذه البركة يمنحها الله لبعض المخلوقات على قدر استعدادها وسعتها
 الوجودية، فهي وسائط لتحقيق الفيض الإلهي، وقد خص الله بها بعض المواضع،
 تسمى بـ: (مواطن البركة)، وسنذكرها في المطالب الآتية:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: الْبَرَكَةُ فِي الْمُصْلِحِينَ

من أعظم مواطن البركة ارتباطها بأولياء الله المصلحين.
 هناك فرق بين الصالح والمصلح، وكلاهما مباركين، لكن درجة البركة ونوع
 أثرها تختلف بينهما:

فالصالح: هو الشخص الذي يلتزم بالطاعة والعبادة، ويتجنب المعاصي
 والفساد، ويسير في طريق الهداية لنفسه.

بركته تتركز غالباً في ذاته وأسرته أو محيطه القريب، حيث يفيض الخير من حياته
 وسلوكه الشخصي.

مثال: إنسان يؤدي حقوق الله والناس بصدق وأمانة، فيجلب البركة لأسرته
 ومحيطه.

أما المصلح: فهو الشخص الذي لا يكتفي بأن يكون صالحاً لنفسه، بل يسعى
 لإصلاح الآخرين والمجتمع، ومواجهة الفساد ونشر الخير.

بركته أوسع وأشمل، لأنها تمتد إلى المجتمع كله. فهو أداة للتغيير الإيجابي وإصلاح
 النفوس والأوضاع.

مثال: الأنبياء والأوصياء، بركتهم عامة شملت أمماً بأكملها نجتهم من الهلاك،
 كما قال الله تعالى: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]^(٢٥). فالله
 تعالى لم يقل: (وأهلها صالحون) بل قال: [وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]، فوجود المصلحين
 في مجتمع ما يعني انتشار الخير والبركة، ورفع البلاء.

ومن أبرز المصلحين الذين يعدون مصدراً للبركة هم:

﴿الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: كَنِيَّ اللهُ نُوْحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّن مَّعَكَ﴾^(٢٦). وَنَبِيَّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾^(٢٧)، وَنَبِيَّ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾^(٢٨).

يقول السيد الطباطبائي (ره): « كونه عَلَيْهِ السَّلَامُ مباركاً أينما كان هو كونه محلاً لكل بركة والبركة نماء الخير، كان نفاعاً للناس يعلمهم العلم النافع ويدعوهم إلى العمل الصالح ويربيهم تربية زاكية ويبرئ الأكمه والأبرص ويصلح القوي ويعين الضعيف». ^(٢٩)

﴿مُحَمَّدٌ وَآلٌ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هُوَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ بَرَكَةً، قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣٠)، بِاعْتِبَارِ الرَّحْمَةِ تُثْمِرُ الْبَرَكَةَ؛ فَحِينَ يَرْحَمُ اللهُ عِبَادَهُ، يَمْنَحُهُمُ الْخَيْرَ وَالزِّيَادَةَ فِي النِّعَمِ الْمَادِيَةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ. لِذَلِكَ، النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِكُونِهِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فَهُوَ مَصْدَرُ الْبَرَكَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ، لِأَنَّهُ جَلَبَ الْهُدَايَةَ وَالتَّشْرِيْعَ الَّذِي يَحْقُقُ الْخَيْرَ الْمُسْتَدَامَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ومن بعد النبي يأتي أهل بيته الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كمصدر للبركة، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة». ^(٣١)

وروي عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين... بنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض». ^(٣٢)

وكيف لا يكون أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بركة للناس وهم السبب في استمرار الحياة، كما روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعتة يقول: لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منا لساخت بأهلها ولعذبهم الله بأشد عذابه، أن الله تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض..». ^(٣٣)

وأيضاً تتجلى بركتهم في هدايتهم للناس إلى الحق، ونشرهم للعلم والمعرفة، وتقديمهم القدوة في الصبر والتقوى. كذلك، وهم الوسيلة التي جعلها الله سبباً لخير الأمة ونجاتها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٣٤﴾.

ومن أهل البيت الصديقة الطاهرة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

والتي من أسماؤها: (المباركة) لأن الله تعالى بارك فيها أنواعاً من البركات، منها: (جعل الخير الكثير في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله من نسلها، قال تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] ^(٣٥))، فالكوثر هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم). ^(٣٦)

وبارك في أعمالها المنسوبة لها كتسبيحة الزهراء، حيث روي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ». ^(٣٧)

❁ العُلَمَاءُ الْمُتَّقُونَ: إن وجود علماء الدين المتقين بركة للمجتمع، وتمثل البركة بعدة مصاديق منها: دفع البلاء عن المكان المتواجدين فيه، يروي كان بعض أصحاب الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ساكنين في قم ومنهم زكريا بن آدم المدفون في مقبرة (شيخان) بقم المقدسة كتب زكريا رسالة إلى الإمام يطلب فيها السماح له بمغادرة قم، والسبب كما ذكره في الرسالة هو أن كبار العلماء والرجال قد ماتوا ولست مانوساً مع من بقي، فقال له الإمام جواباً عن رسالته: «لا تخرج، فإن بقاءك في قم بركة لأهلها، والله سبحانه يدفع عنها البلاء بركة وجودك مثلما يدفع البلاء عن مدينة أبي (الكاظمية) بركة وجوده». ^(٣٨)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي وفيها ثلاث نفر من المؤمنين، ناداهم - جل جلاله وتقدست أسماؤه - : يا أهل معصيتي، لولا فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي، العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي، والمستغفرين بالأسحار خوفاً مني، لأنزلت بكم عذابي ثم لا أبالي». ^(٣٩)

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الْبِرَكَةُ فِي الصَّالِحِينَ

في بعض الأحيان حينما يزورنا أحد المؤمنين الصالحين نقول: «حلت البركة»، ولم نكن ندرك معناها، ولكن تبين أن لها أساس شرعي لأن البركة ترافق أولياء الله الصالحين المؤمنين، روي عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المؤمن بركة على المؤمن». (٤٠)

قلنا أن الصالح: هو الشخص الذي يلتزم بالطاعة والعبادة، ويتجنب المعاصي والفساد، ويسير في طريق الهداية لنفسه. وبركته تتركز غالباً في ذاته وأسرته أو محيطه القريب، حيث يفيض الخير من حياته وسلوكه الشخصي.

وقد ذكرت الروايات مجموعة من الصالحين، نذكر منهم:

❖ كبار السن، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «البركة مع أكابركم». (٤١)

❖ البنات: عنه صلى الله عليه وآله: «ما من بيت فيه البنات إلا نزلت كل يوم عليه اثنتا عشرة بركة ورحمة من السماء..». (٤٢)

❖ الصبيان، روي عنه صلى الله عليه وآله: «بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه». (٤٣)

❖ الزوجة الصالحة: إن الزوجة الصالحة مباركة لكونها تتصف بصفات صالحة، منها: العفة والالتزام بالحجاب الشرعي الكامل، وحسن التبعل وبر الوالدين وصلة الرحم، والمحافظة على الصلاة، وغيرها. ومن علامات بركة المرأة التي تذكرها الروايات:

❖ خفة مؤونتها: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من بركة المرأة خفة مؤونتها ويسر ولادتها» (٤٤)، خفة المؤونة ترمز إلى المرأة التي لا تُثقل زوجها بمطالب زائدة أو غير ضرورية، وتكون قانعة ومعينة على أمور الحياة.

❖ اليسر في مهرها: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا» (٤٥)، الحديث يبرز أهمية التيسير في المهور لتحقيق بركة الزواج واستقراره. فالمهور الميسرة تخفف الأعباء، تشجع على الزواج، وتعكس علاقة قائمة على المودة والرحمة بدلاً من التكاليف المادية التي قد تُثقل الأسرة.

علما أن البركة في هذا الحديث لا تعني بالضرورة وفرة المال أو النسل فقط، بل قد تشمل الصفاء النفسي، والراحة في العلاقة الزوجية، والنجاح في تربية الأبناء، وتكامل الحياة الأسرية.

❁ تبكيرها بالأنثى: روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: «من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى». (٤٦)

تبكيرها بالأنثى: يعني أن المرأة التي تلد أنثى كأول مولود لها تُعد مباركة. قد يكون الحديث إشارة إلى أن هذه المرأة مباركة لأن أول مولود لها يحمل صفات البركة، كالعطف والحب.

المَطَلَبُ الثَّالِثُ: البرَكَةُ فِي آثَارِ الْمُصْلِحِينَ

البركة لا تقتصر على حياة الأنبياء والأولياء فقط، بل تمتد إلى آثارهم وما يلامس أجسادهم. كان الصحابة يتبركون بوضوء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وشعره وعرقه، لما تحمله هذه الآثار من خير وبركة. مثال ذلك: في معركة خيبر، حين مسح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بريقه على عين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فشفى فوراً وعاد للمعركة منتصراً. (٤٧)

كيف تنتقل البركة؟

مثلاً يكتسب الفحم حرارة النار، أو يتعطر الثوب بجوار العطر، فإن الأشياء التي تلامس الأنبياء والصالحين تكتسب البركة. مثال ذلك: قميص النبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي شفى بصر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا... فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾. (٤٨)

حتى الكافر قد ينتفع من آثارهم، مثل: السامري الذي أخذ قبضة من أثر جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأثرت في العجل الذهبي (٤٩)، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ (٥٠). البركة في آثار الصالحين درس قرآني يدعونا للتدبر وأخذ العبرة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ

لأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الْبَرَكَةُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ

ونذكر منها:

✿ البركة في القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾^(٥٢)، فمن بركته: هدايته للقلوب، وشفأؤه للصدور وإصلاحه للنفوس، وتهذيبه للأخلاق، قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٣)، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

✿ التبرك بأسماء الله تعالى: إنَّ أسماؤه سبحانه وتعالى مباركة. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥٤)، ولقد علمنا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن نقول في دعاء كميل: «يَا مَنْ اسْمُهُ دَوَاءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ».

لقد أكتشف العلماء في السنوات الأخيرة أن لكل اسم من أسماء الله تعالى طاقة تحفز جهاز المناعة للعمل وبكفاءة مثلى في عضو معين بجسم الإنسان، فلمرض الكلى اسم (الحي) وللركبة (الرؤوف) وللأعصاب (المغني) وغيرها.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: الْبَرَكَةُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ

إنَّ الأماكن لها علاقة بالبركة، مثال ذلك: البذور إذا زُرعت في أرض خصبة، تنمو وتعطي ثماراً وفيرة ببركة خصوبة الأرض، بينما إذا زُرعت في أرض جددباء، فلا تنبت أو تكون الثمار قليلة وضعيفة.

وهذا ينطبق على الأماكن المقدسة التي جعلها الله تعالى مهبطاً لرحماته ومواطناً لعبادته، حيث تتضاعف فيها الأجور وتتحقق فيها السكينة والطهارة الروحية، منها: المسجد النبوي والمسجد الأقصى، وبيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ^(٥٥) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥٦).

ومنها: أضرحة أئمة الشيعة، وبعض المساجد المقدسة كمسجد الكوفة، فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه

من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج»^(٥٧). لأنه مقام لعدد من أنبياء الله كنبى الله آدم ونوح وإبراهيم وكونه محراب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومكان قضائه.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: البركةُ في أزمِنَةِ مُحَدَّدَةٍ

إنَّ الأزمنة لها علاقة بالبركة، مثال ذلك: إنَّ بذر بذور الشتاء في فصل الصيف يُفقد الزرع بركته بسبب عدم توافق الزمن، أما إذا زُرعت في فصل الشتاء، تجد البركة في نموها وإثمارها. وهذا يشبه الأزمنة المباركة التي هي هبة إلهية جعلها الله في أوقات معينة من العام، حيث تتضاعف فيها الأعمال الصالحة وتنزل فيها الرحمات.

وتارة تنزل البركة على مدار أيام شهر كامل كشهر رمضان، أو تنزل في أيام مخصوصة كيوم الجمعة، أو في ليالي خاصة كليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾^(٥٨).

الفَبْتُ الثَّلَاثُ: مُوجِبَاتُ البركةِ

من الأسئلة المهمة المتعلقة بالبركة: **كيف يمكن استجلابها؟ وما أسبابها؟**

الجواب: تُستجلب البركة بأعمال معينة أو بالتحلي بصفات مخصوصة تُعرف بـ «موجبات البركة»، وهي وسائل وضعها الله لتحقيق الخير وزيادة النعم في حياة الإنسان. وفيما يلي أبرز موجبات البركة^(٥٩):

١- تقوى الله عزَّ وجلَّ: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦٠)، فالآية تدلُّ على أنَّ التقوى التي تمارسها الجماعة توجب هطول البركات عليهم ونزولها من كلِّ حذب وصوب.

مثال ذلك: التاجر الأمين الصادق يطرح الله البركة في رزقه، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا التَّاجِرَانِ صَدَقَا بَوْرِكَهُمَا، فَإِذَا كَذَبَا وَخَانَا لَمْ يُبَارَكْ لَهُمَا».^(٦١)

وروي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦٢)، إِذَا أَدَّوْا فَرَائِضَ اللَّهِ، وَأَخَذُوا

بَسُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَوَرَّعُوا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَزَهَدُوا فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَرَغِبُوا فِي مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَاکْتَسَبُوا الطَّيِّبَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، لَا يُرِيدُونَ بِهِ التَّفَاخُرَ وَالتَّكَاثُرَ، ثُمَّ أَنْفَقُوا فِي مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ حُقُوقٍ وَاجِبَةٍ، فَأَوْلَيْكَ الَّذِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي مَا كَتَسَبُوا، وَيُثَابُونَ عَلَى مَا قَدَّمُوا لِاخْرَتِهِمْ». (٦٣)

ربّ تساؤل يرد: **لماذا يُبتلى بعض المتقين رغم أنهم سبب للبركة؟**

الجواب باختصار: إنّ القول بأن التقوى سبباً لنزول البركة لا يعني أن الإنسان مُعافى دائماً من البلاء. الابتلاءات قد تكون وسيلة لزيادة التقوى أو لاختبار صبر الإنسان. كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. (٦٤)

فإن البلاء قد ينزل على المؤمنين رغم تقواهم، لأنه جزء من حكمة الله لرفع درجاتهم أو امتحان صبرهم، مما يجعل البركة تتجلى على المدى البعيد في حياتهم وآخرتهم، ولنا في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أسوة حسنة وقدوة عظيمة، فهم أشد الناس ابتلاءً رغم أنهم الأكثر تقوى وإخلاصاً، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأئمة فالأئمة". (٦٥)

٢- الصلاة والدعاء: ورد الحثّ على الصلاة والدعاء بالبركة في جملة من النصوص، منها ما روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا وضع الطعام بين يديه قال: «اللهم هذا من منك وفضلك وعطائك، فبارك لنا فيه...». (٦٦)

مثال على ذلك: مزارع يستيقظ لصلاة الفجر في وقتها، يتوجه إلى الله بالدعاء أن يطرح البركة في زرعه وعمله، ثم يبدأ يومه بالسعي والجهد. بناءً على وعد الله باستجابة الدعاء، وبركة وقت البكور، يجد المزارع أن عمله يُثمر أكثر، وزرعه ينمو بوفرة، ونتائج جهده تكون مضاعفة، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» (٦٧). (٦٨)

٣- صنائع المعروف والصدقات: قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيراً﴾. (٦٩)

روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: كان في بني إسرائيل رجل صالح وكانت له امرأة صالحة، فرأى في النوم أن الله تعالى قد وقت لك من العمر كذا وكذا سنة، وجعل نصف عمرك في سعة، وجعل النصف الآخر في ضيق، فاختر لنفسك إما النصف الأول وإما النصف الأخير.

فقال الرجل: إن لي زوجة صالحة وهي شريكتي في المعاش فأشاورها في ذلك وتعود إلى فأخبرك. فلما أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا، فقالت: يا فلان، اختر النصف الأول وتعجل العافية؛ لعل الله سيرحمنا ويتم لنا النعمة.

فلما كان في الليلة الثانية أتى الآتي فقال: ما اخترت؟ فقال: اخترت النصف الأول، فقال: ذلك لك. فأقبلت الدنيا عليه من كل وجه، ولما ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرهم، وشارك وأخوك فلان فهبهم.

فلما مضى نصف العمر وجاز حد الوقت رأى الرجل الذي رآه أولاً في النوم، فقال له: إن الله تعالى قد شكر لك ذلك ولك تمام عمرك سعة مثل ما مضى.^(٧٠)

٤- الحج والعمرة وزيارة بيت الله: مثال على ذلك: رجل يؤدي باستمرار الحج أو العمرة بصدق وإخلاص، فيجد بركة في صحته، واتساعاً في رزقه، واستقامةً في دينه، كما وعد الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «حجّوا واعتمروا تصحّ أجسامكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤنة الناس ومؤنة عيالاتكم».^(٧١)

٥- زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: جاء في بعض الروايات ما يدلّ على أن زيارة الإمام الحسين الشهيد عَلَيْهِ السَّلَامُ توجب البركة، ففي رواية الحضرمي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء».^(٧٢)

٦- حسن الخلق والنفقة: مثال على ذلك: رجل ذو خلق حسن يُنفق على أهله بحب ويُطعم الفقراء، فيبارك الله في رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٧٣)، وروي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».^(٧٤)

٧- بر الوالدين وصلة الرحم: مثال على ذلك: شاب يزور والديه ويكرمهما ويصل أرحامه باستمرار، فيبارك الله في عمره ورزقه، فقد روي عن صلى الله عليه وآله: من أهدى الصدق في كلامه، والإنصاف من نفسه، وبر والديه، ووصل رحمه؛ أنسى له أجله، ووسع عليه في رزقه، ومتع بعقله، ولقن حجته وقت مساء لته». (٧٥)

عنه صلى الله عليه وآله: «حسن الخلق وصلة الأرحام وبر القرابة؛ تزيد في الأعمار، وتعمر الديار ولو كان القوم فجارا». (٧٦)

٨- الاستغفار: مثال على ذلك: شخص يستغفر الله يومياً، فيفتح الله عليه أبواب الرزق؛ لأن الله وعدنا بذلك قائلاً: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٧٧﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٧٨﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٧٩﴾﴾.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثرُوا الاستغفار تجلبوا الرزق». (٧٨)

٩- الزواج: يقول تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

١٠- التدبير والاقتصاد: مثال على ذلك: شخص يُنْفِقُ بوعي واعتدال، فلا يسرف ولا يبخل، فيجد أن ماله يدوم ويكفي احتياجاته ببركة التدبير والاقتصاد. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٨٠﴾﴾.

١١- الشكر: يقول تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٨١﴾﴾، والزيادة هي البركة.

١٢- الإنفاق في سبيل الله: يقول تعالى: ﴿يُمَحِّقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴿٨٢﴾﴾، أي أن الله يجعل المال المتصدق به مباركاً، فيثمر الخير ويعود بالنعيم على صاحبه بأشكال مختلفة، مثل: زيادة الرزق، الحماية من البلاء، أو نشر البركة في حياة المتصدق.

وهناك موجبات أخرى عديدة، وردت في كل واحدة منها نصوصاً شرعية تثبت أنها تجلب البركة، نذكر منها: العدل، التجارة، الصلاة، حسن الجوار، التسمية بأسماء الأنبياء، الزكاة، الصدق والوفاء، الأكل من جوانب الطعام وليس الوسط، والاجتماع على الأكل، القناعة، والصبر، التسمية بقول بسم الله الرحمن الرحيم،

الصدقة، الرفق، لعق الأصابع بعد الأكل، التسليم عند دخول البيت، إطعام الطعام، الزيادة في العطاء، الزواج، طلب العلم، غسل رجلي العروس ليلة الزفاف وخلع خفها، أكل العسل، وغيرها، ولمعرفة النصوص الواردة فيها وفي غيرها ننصح بقراءة كتاب: الخير والبركة في الكتاب والسنة للشيخ محمد الريشهري.

المَبَثُّ الرَّابِعُ: مَوَازِيحُ الْبَرَكَاتِ

كثيراً ما يتساءل الناس عن أسباب فقدان البركة!!
البركة قد تزول من حياة الإنسان بسبب أفعال خاطئة يقوم بها، وهي تتأثر بعاملين رئيسيين:

١. عدم السعي لجلب البركة: البركة لا تأتي تلقائياً؛ يجب أن نستجلبها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله، مثل: الصدقة، الإحسان، وأداء العبادات وغيرها - من الأمور التي ذكرناها في مبحث موجبات البركة-. إذا أهملنا هذه الأعمال، فلن تكون البركة جزءاً من حياتنا.

٢. ارتكاب الذنوب والمعاصي: الذنوب هي السبب الأكبر في محو البركة؛ فهي تمنع الخير وتُغلق أبواب التوفيق، قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «احذروا الذنوب؛ فإن العبد ليذنب فيحبس عنه الرزق»^(٨٣). حتى الأعمال المكروهة، رغم أنها ليست محرمة، قد تكون سبباً لزوال البركة.

فعندما يبتعد الناس عن طاعة الله ويقعون في المعاصي، يُبتلون بنقص الخيرات والبركات، فيُغلق الله عليهم أبواب الرزق والخير. الهدف من ذلك ليس العقوبة فقط، بل تذكير الناس ليعودوا إلى طريق الحق، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٨٤).

في بعض الأحيان، قد تُرفع البركة من حياة الإنسان كاختبار من الله أو تذكير بالعودة إلى الطريق الصحيح. وأحياناً يكون ذلك بسبب إصرار الإنسان على المعاصي، فيكون رفع البركة عقوبة إلهية.

وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدر الرزق ورحمة الخلق، روي عن الإمام علي عليه السلام: «اللهم وأستغفرُك لكل ذنب يدعو إلى الغي»^(٨٥)، ويضل عن الرشد، ويقل الرزق، ويمحو البركة، ويحمل الذكر؛ فصل على محمد وآله، واغفره لي، يا خير الغافرين»^(٨٦).

فرحم الله امرأ استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته!^(٨٧)

إن الأمور التي ترفع البركة كثيرة نذكر منها الآتي:

١- الكذب: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»^(٨٨).

بمعنى إن صدق كل واحد منهما في الإخبار عما يتعلق به، وبيّن كل واحد منهما لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه، كثر نفع المبيع والثلث، وإن كتم البائع عيب السلعة والمشتري عيب الثمن، أو كذبا، مُحقت البركة، وهو النقصان. وقيل: هو أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه أثر.^(٨٩)

٢- ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر: روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسُلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»^(٩٠).

٣- سماع الاغاني: روي عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أو دف أو طنبور»^(٩١) أو نرد ولا يستجاب دعائهم ويرفع الله عنهم البركة»^(٩٢).

٤- الزنا: روي عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أهل الزنى ليس على وجوههم نور ولا بهاء، ولم يجعل الله في رزقهم بركة»^(٩٣).

٥- حبس الدين: عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من حبس عن أخيه المسلم شيئاً من حقه حرم الله عليه بركة الرزق إلا أن يتوب»^(٩٤).

٦- الخيانة وشرب الخمر والسرقه: عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أربع لا تدخل

بيتاً واحدة منهن إلا خرب ولا يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقه، وشرب الخمر». (٩٥)

٧- ترك العلماء: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء كما يفرون من الذئب، ابتلاهم الله بثلاثة أشياء، الأول يرفع البركة من أموالهم والثاني سلط الله عليهم سلطاناً جائراً، والثالث يخرجون من الدنيا بلا إيمان». (٩٦)

٨- التهاون في الصلاة: عن سيدة النساء فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

أنها سألت أباه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقالت: «يا ابتاه، ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره، فإما اللواتي تصيبه في دار الدنيا فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه..». (٩٧)

٩- ترك فريضة الزكاة: عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «وجدنا في كتاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتهما». (٩٨)

١٠- هجر القرآن: عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين». (٩٩)

١١- الحلف على السلعة: عن أبي سعيد، قال: «كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي السوق فيقول: يا أهل السوق، اتقوا الله، وإياكم والحلف فإنه ينفق» (١٠٠) السلعة ويمحق البركة». (١٠١)

قد يطرح السؤال التالي: **في الروايات تأكيد على رفع البركة من الرزق، فما المقصود من ذلك؟، وكيف يرفع الرزق؟**

الجواب: عندما يقول الحديث ما مضمونه: «لم يجعل الله في رزقهم بركة»، الرزق في الإسلام لا يقتصر على المال فقط، بل يشمل كل ما ينعم به الإنسان من خيرات تُسهل حياته وتحقق له السعادة والاستقرار. الرزق مفهوم واسع يشمل الجوانب المادية والمعنوية كالمال، والصحة والعافية، والوقت، والعلم والمعرفة، والذرية

الصالحة، والراحة النفسية، والعلاقات الطيبة، وغيرها من أنواع الرزق.

ومعنى رفع البركة من الرزق يعني أن أحد مصاديق الرزق التي حصل عليها الإنسان المذنب لا تحقق له الخير الحقيقي، ولا تدوم معه، بل تُصرف بطرق لا تجلب له سعادة أو استقرارًا. ولتوضيح ذلك لنقف على أحد مصاديق الرزق وهو (المال) لنعرف كيف ترفع عنه البركة:

١. الإنفاق دون جدوى: قد يحصل المذنب على أموال كثيرة، لكنه يصرفها على أمور غير نافعة، مثل: الترف الزائد أو الشهوات، فلا يبقى لديه شيء يحقق له استقرارًا حقيقيًا.

٢. كثرة المشاكل المالية: الأموال قد تأتي، لكنها تُستهلك بسبب أزمات طارئة مثل: الديون، الغرامات، أو المصاريف غير المتوقعة، مما يجعله دائم القلق بشأن المال.

٣. عدم الشعور بالكفاية: حتى مع توفر المال، يشعر المذنب بعدم الاكتفاء أو الرضا، وكأن المال لا يغني حاجاته الأساسية.

٤. الضياع في التخطيط المالي: عدم التوفيق في إدارة المال، مثل: فشل المشاريع أو ضياع الفرص الاستثمارية، مما يؤدي إلى ضياع الموارد.

٥. تأثير الرزق على الصحة والنفسية: المال الذي يُكتسب دون بركة قد يُنفق على علاج الأمراض أو على أمور تزيد من التوتر النفسي والقلق، بدلًا من جلب السعادة.

من أجل ذلك على الشخص الذي يشعر بزوال البركة من ماله عليه أن يسأل نفسه:

هل مصدر مالي حلال؟، هل المال مكتسب من مصادر غير شرعية، مثل: الربا أو السرقة أو الاحتيال؟

إذا كان كذلك فلا بركة في ماله، روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْحَرَامَ لَا يَنْمِي، وَإِنْ نَمِيَ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَا أَنْفَقَهُ لَمْ يُؤْجَرْ عَلَيْهِ، وَمَا خَلْفَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى

النار». (١٠٢)

- هل كسبت المال بصدق وأمانة؟

روي عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وكررها ثلاث مرات. ثم قال: «وَمَنْ غَشَّ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ نَزَعَ اللَّهُ بَرَكَهَ رِزْقَهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ، وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ». (١٠٣)

الخلاصة: البركة ليست مرتبطة بكمية المال، بل بمصدره وطريقة إنفاقه. المال الحلال المكتسب بصدق وأمانة يجلب الخير والرضا، أما المال المكتسب بطرق غير شرعية أو بالظلم، فهو منزوع البركة، حتى لو كان كثيراً.

الْمَبْتَأُ الْخَامِسُ: رَمَضَانُ شَهْرُ الْبَرَكَةِ

السؤال الذي ينبغي علينا طرحه كمسك لختام محاضرتنا هو:

لماذا يُعدُّ شهر رمضان شهر البركة؟

ونجيب عليه بهاتين النقطتين:

أولاً: إنَّ شهر رمضان شهر البركة لما فيه من ارتباط وثيق بين الصوم والتقوى، وبين التقوى والبركات. فالله تعالى جعل لكل عبادة حكمة وعلّة، وإن خفيت بعض جوانبها عنّا، إلا أنه بيّن بعضها في نصوصه المقدسة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (١٠٤)

فغاية الصيام هي تحقيق التقوى، التي تُحصّن الإنسان من ارتكاب المعاصي، وتقوده إلى الطاعة المطلقة لله تعالى.

ولكن ما الذي يترتب على التقوى؟

لقد ذكرنا خلال البحث أن التقوى سبباً لجلب البركة، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (١٠٥)

إذن، البركات من السماء والأرض مرهونة بالتقوى، والتقوى تُكتسب بالطاعة

والعبادة، وعلى وجه الخصوص عبادة الصوم، التي تعدّ من أسرع الوسائل لتحصيل ملكة التقوى. ومن ثمّ، هناك علاقة مباشرة بين صيام شهر رمضان وبين البركة، حيث تعدّ التقوى الرابط الذي يجلب البركة.

ثانياً: لأنه تتجلى في شهر رمضان مظاهر البركة، وسوف نستخلصها من خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في استقبال شهر رمضان^(١٠٦)، نذكر منها الآتي:

١. الزمن المبارك: لأن كل لحظة فيه فرصة للطاعة والمغفرة؛ لأنه «شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ».

٢. الأنفاس والتسبيح: حتى الأمور العادية تتحول إلى طاعات، منها: أنفاس الصائم تسبيح، ونومه عبادة، لقوله صلى الله عليه وآله: «أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ».

٣. قبول العمل واستجابة الدعاء: إن العمل الصالح في شهر رمضان حينما يثمر نتائج عظيمة يعدّ خير وبركة، منها: قبول الأعمال، واستجابة الدعاء، لقوله صلى الله عليه وآله: «عَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدَعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ»، وقوله: «وَأَرْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ، يُجِيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ، وَيَلْبِيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ».

٤. الغفران والعتق من النار: شهر رمضان شهر البركة لأن المغفرة متاحة بأسر الأعمال، كالإفطار على شق تمر أو شربة ماء. قال صلى الله عليه وآله: «أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ فَطَرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عِتْقٌ نَسَمَةٍ، وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ».^(١٠٧)

٥. مضاعفة الثواب: إن العمل الصالح فيه مضاعف بشكل استثنائي، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته في استقبال شهر رمضان: «وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرَضاً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقَلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ نَحْفُ الْمَوَازِينِ،

وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ».

٦. ليلة القدر: وأي بركة أكثر من ليلة جعلت فيها العبادة تعدل عبادة أكثر من

٨٤ عاماً، لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. (١٠٨)

٧. الأخلاق والمعاملة: الأخلاق الحسنة في رمضان تقود إلى رضوان الله ونجاة

يوم القيامة أكثر من بقية الشهور، وهذا ما أشار إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلِقَ لَهُ جَوْازٌ أَعْلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيماً أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ».

٨. إغلاق أبواب الشر: من بركات هذا الشهر العظيم أن الله تعالى يفتح فيه أبواب

الجنة، ويغلق أبواب النيران، ويغل فيه الشياطين، لقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفْتَحَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُغْلِقَهَا عَلَيْكُمْ، وَأَبْوَابَ النَّارِ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ، وَالشَّيَاطِينَ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ».

ختاماً، شهر رمضان هو هدية إلهية مليئة بالبركة والرحمة والمغفرة، كما بشرنا

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أقبل إليكم شهر الله بالبركة». فلنغتني هذه الفرصة العظيمة بالإقبال على الطاعات، والتحلي بالتقوى والورع عن محارم الله، فهي مفتاح كل خير وبركة. ولا نغفل عن استثمار هذا الشهر المبارك بكل لحظة فيه، لأننا لا نعلم إن كنا سنوفق لنحظى ببركاته في العام المقبل، أم يسبقنا الأجل. فلنجعل هذا الشهر محطة للتغيير، وفرصة للتقرب من الله لنخرج منه برضا الله وبركاته التي تمتد إلى حياتنا وآخرتنا.

وصدق الشاعر^(١٠٩) حينما قال:

يَهْدِي لَنَا الْأَمَالَ وَالْبِرَكَاتِ
وَيُهْدِنَا بِالنُّورِ وَالنَّقَحَاتِ
بِالْحُبِّ تَنْعِشَنَا وَبِالنِّسَمَاتِ
هَدِيَا يُضِيءُ بِمُحْكَمِ الْآيَاتِ
فِيكَ الرِّضَا الْمَوْسُومُ بِالْخَيْرَاتِ
الرُّوحُ الْمَلَائِكُ بِأَعْدَابِ الْكَلِمَاتِ
الْمَلِكُ الْكَرِيمُ إِلَى الصَّبَاحِ الْآتِي
وَارْفِقْ بِهِمْ بِالْعَفْوِ وَالرَّحْمَاتِ

رَمْضَانُ هَلْ بَوَافِرِ الْخَيْرَاتِ
يُحْيِي الْقُلُوبَ بِهَدْيِ رَبِّ رَاحِمِ
شَهْرَ الْفَضَائِلِ جِئْنَا، تَجَلَّوْا عَنَّا^(١١٠)
فِيكَ الْكِتَابُ تَنْزَلَتْ أَنْوَارُهُ
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ الْجَمِيلِ بِهَاوَاهَا^(١١١)
خَيْرٌ مِنَ الْأَلْفِ الشُّهُورِ، تَنْزَلُ
فِيهَا الْبَشَائِرُ وَالسَّلَامُ يَخُصُّنَا
يَا رَبُّ فَاقْبَلْ مِنْ عِبَادِكَ حُبَّهُمْ

أبوذيات عن شهر رمضان:

وفجر غفران ربناه لاح سفره
شهر من النعم فاضت عليه

شهر الخير مد للناس سفرة
كان رحمت بجنان الخلد سفره

أصوم وادعي للباري واصلي
بفضلها ادخل الجنة الزهية

شهر رمضان بالرحمة وصل لي
عساها تصير أعمالي وصل لي

ومن كثرا لائم صايرورم ضان
شهر بيه التداوي من الأذية

تعب من الذنب كلبي ورمضان
ابد لتحيريا كلبي ورمضان

يل المذوب الذنوب وبيك. من جاي
بخيت الي حظه بقدر الزكية

هلة برمضان شهر الخير... من جاي
دخيلك لا تروح اكريلي.. من جاي

ونلتم بيد وحدة الجار... والجار
شهر الخير ادعوا نضل سوييه

نريد اليوم ننسى الصار... والجار
لأن رمضان جرنه بحضنه.. والجار





ا ر م ض ا

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةً عَلَيَّهَا السَّلَامُ

عَظَّمَ اللهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ

الناسِةُ

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ

للشاعر: شرف الدين البوصيري

فليس لهم خطب وإن جلّ جاهد
تساوى الأذاني عندهم والأبعاد
على بهرمان الصدق منكم وخامد
عليه كتاب الله بالمدح وافد
مكارم أخلاق لكم ومحامد
لرَدّت علينا بالعيوب القصائد
بضائعها عند الأنام كواسد
على عمد لا يرجع القول عامد
وقد صدّهم حرمانهم أن يساعدوا
فلن يقدر الزند الذي هو صالد
لها كرم مجد طريف وتالد
إليها حلال هديها والقلائد
هي الغاية القصوى لمن هو قاصد
لما ضلّ من ذكر المكارم ناشد
بما أنا من در المناقب ناضد
بما أنا من عادات فضلك عائد
ولا اهتز من أرض المكارم هامد
لقيت واني إن شكوت لحامد
خطوباً بها ضاقت علي المراصد
ومن لهموم القلب عني طارد
فإنك لم تخلف لديك المواعد
نراجعه في كربنا ونعاود
فما أحد عما تقدّر حائد

وأنتم أناس أذهب الرجس عنهم
إذا ما رضوا لله أو غضبوا له
وسيان من جمر العدا متوقد
وفدت عليكم بالمديح وكلكم
وقد بينت لي هل أتى كم أتى بها
فلو لا تغضبيكم لنا في مديحكم
ولم ارتزق من غيركم بتجارة
عمدت لقوم منهم فكأنني
أطلب من قوم سواكم مساعداً
ومن وجد الزند الذي هو ثاقب
وحسبي إذا مدح ابنة الحسن التي
واني لمهد من ثنائي قلائداً
هي العروة الوثقى هي الرتب العلا
كأنني إذا أنشدت في الناس مدحها
أسيدتي ها قد رجوتك معلناً
وأعين آمالي إليك نواظر
ولو لا ندى كفيك ما اخضرّ يابس
إلى الله أشكوي ابنة الحسن الذي
ومالي لا أشكو لآل محمد
ومن لصروف الدهر عني صارف
دعوناك مضطرين يا رب فاستجب
فليس لنا غوث سواك وملجأ
فقدر لنا الخير الذي أنت اهله

المحاضرة الثانية

الزَّوْجُ الْمُبَكَّرُ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يُقْرُئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْكَارَ مِنَ النِّسَاءِ بِمَنْزِلَةِ الثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ، فَإِذَا أَيْعَ (١١٢) الثَّمَرُ فَلَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا اجْتِنَاؤُهُ (١١٣)، وَإِلَّا أَفْسَدَتْهُ الشَّمْسُ وَغَيَّرَتْهُ الرِّيحُ، وَإِنَّ الْأَبْكَارَ إِذَا أَدْرَكَنَّ مَا تُدْرِكُ النِّسَاءُ، فَلَا دَوَاءَ لَهُنَّ إِلَّا الْبُعُولُ، وَإِلَّا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِنَّ الْفِتْنَةُ». (١١٤)

الزواج المبكر قضية تثير الكثير من الجدل في عصرنا الحالي، حيث تنقسم الآراء بشأنه بين مؤيد يرى فيه حلاً للعديد من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، ومعارض يعده السبب الرئيسي في فشل الحياة الزوجية.

وبعض المعارضين يتصفون بالازدواجية، حيث أن المرأة التي تزوجت في سن مبكرة وتُرزق بالأبناء في ريعان شبابها يُعاملها المعارضون أحياناً وكأنها ضحية للظلم الاجتماعي، وتتهم أسرتها بالتقصير لأنها سمحت لها بالزواج في هذه السن. في الوقت نفسه نجد أن نفس المجتمع الذي ينتقد هذه المرأة، يوجه اللوم إلى الفتاة التي بلغت سنّاً متأخرة دون زواج، وبأنها مسؤولة عن تأخر نصيبها لأنها لم تتزوج بسن مبكر!

لكن في خضم هذا الجدل، يبقى الحكم الفاصل هو شريعة الإسلام، التي وضعت قواعد حكيمة تراعي مصلحة الفرد والمجتمع. وإننا اليوم في حاجة ماسة إلى وقفة جادة لتوضيح رأي الإسلام في الزواج المبكر، وبيان أثره الإيجابي في حماية الفرد والمجتمع، وإبراز الحكمة الإلهية التي تجعل منه نعمة عظيمة تضمن الاستقرار الأسري وتحفظ القيم الأخلاقية من الانهيار.

المَبَكَّتُ الأَوَّلُ: الرِّزَاجُ المُبَكَّرُ فِي الإِسْلَامِ

(الرِّزَاجُ المُبَكَّرُ) يتكون من كلمتين رئيسيتين:

الكلمة الأولى: الرِّزَاجُ

نعني به: ارتباط الرجل بالمرأة وفقاً لمراسيم شرعية ودينية. والزواج أمر معلوم للجميع، وقد أولته الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً وحثت عليه بشدة.

الكلمة الثانية: المُبَكَّرُ

المبكر مشتق من «بَكَرَ»، بمعنى عَجَّلَ أو بادر بالقيام بأمر ما في وقت مبكر. (١١٥)

ومن ثمَّ، فإن الزواج المبكر يشير إلى زواج الشباب والفتيات في سن مبكرة، أي في أوائل أعمارهم، بمجرد أن تتحقق فيهم شروط الكفاءة والاستعداد.

السؤال الأول الذي ينبغي علينا طرحه هو: **ما هو رأي الشريعة الإسلامية في الزواج المبكر؟**

الجواب: إن الشريعة الإسلامية تؤيد الزواج المبكر باعتباره وسيلة للعفة وصون النفس من الوقوع في المحرمات، وحفظ القيم الأخلاقية. وقد شرَّع الزواج ليكون أساساً لبناء أسرة متماسكة ومجتمع صالح.

أما فيما يتعلق بسنِّ الزواج في الشريعة الإسلامية، (فلم تُحدد عمراً معيناً بعدد السنوات لإتمام الزواج. وإنما يرتبط أمر الزواج المبكر بتحقيق مجموعة من الأمور) (١١٦)، التي لو توفرت سيكون الزواج مرغوباً ويترتب عليها نجاحه، وهي كالآتي:

أولاً: البلوغ والنضج الجسدي: يُشترط أن تكون الفتاة قد بلغت سن التكليف الشرعي، ولقد وردت روايات في بلوغ الفتاة، يمكن تصنيفها إلى عدة مجاميع، فمنها ما يركز على العلامة الجسدية لبلوغها، وهي العادة الشهرية، ومنها ما يعتبر السن علامة على البلوغ، وهنا تختلف هذه الروايات في سن المرأة، فبعضها يحدد

البلوغ بالتاسعة، وقد أفتى بها مشهور الفقهاء، ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) حيث قال: «علامة البلوغ في الأنثى اكمال تسع سنين هلالية»^(١١٧)، وهو يعادل ثمان سنين ميلادية وثمانية أشهر وعشرون يوماً تقريباً. ومنها ما يحدده بالثالثة عشرة^(١١٨).

وعلامة البلوغ في الذكر أحد الأمور الثلاثة:

١. نبات الشعر الخشن على العانة، ولا اعتبار بالزغب والشعر الضعيف.
٢. خروج المنى، سواء خرج يقظة أو نوماً بجماع أو احتلام أو غيرهما.
٣. اكمال خمس عشرة سنة هلالية على المشهور.^(١١٩)

وقال أيضاً: «لا يبعد كون نبات الشعر الخشن في الخد وفي الشارب علامة للبلوغ، وأما نباته في الصدر وتحت الإبط، وكذا غلظة الصوت ونحوهما فليست أمانة عليه».^(١٢٠)

ثانياً: عدم وجود مفسدة في الزواج: يقول سماحة السيد السيستاني (دام ظله): «يشترط في صحة تزويج الأب والجدّ ونفوذه عدم المفسدة»^(١٢١).

على سبيل المثال، إذا قام الأب أو الجدّ بتزويج فتاة صغيرة من رجل فاسد الأخلاق والعقيدة، فإن هذا يُعتبر مفسدة.

ثالثاً: النضج الجسمي والنفسي: وهو أحد عوامل نجاح الحياة الزوجية، يقول سماحة السيد السيستاني (دام ظله): «يشترط في صحة تزويج الأب والجدّ ونفوذه عدم المفسدة - بل الأحوط الأولى مراعاة المصلحة فيه -»^(١٢٢)، ومن مصاديق مصلحتها قوله (دام ظله): «ليس لولي الفتاة تزويجها إلا وفقاً لمصلحتها، ولا مصلحة لها غالباً في الزواج إلا بعد بلوغها النضج الجسمي والاستعداد النفسي للممارسة الجنسية».^(١٢٣)

مثال ذلك: فتاة تبلغ من العمر ١٢ عاماً، ورغم بلوغها الجسدي، إلا أنها لم تصل إلى النضج الجسمي الكافي لتحمل العلاقة الجنسية دون أن تتعرض للأذى الصحي، وقد تكون غير مستعدة نفسياً لتقبل طبيعة الممارسة الزوجية، لذا ينبغي

تأجيل الزواج لحين نضجها.

رابعاً: اختيار الزوج الكفاء: ينبغي اختيار الزوج القادر على تحمل مسؤوليات الزواج عقلياً وبدنياً، بأن يكون ناضجاً وقادراً على اتخاذ القرارات بحكمة وإدارة الأسرة، إضافة إلى تمتعه بالصحة الكافية للقيام بواجباته الزوجية. كما ينبغي أن يتحلّى بالدين والأخلاق، وأن يكون قادراً على توفير حياة كريمة، مما يحقق مصلحة الفتاة وسعادتها.

فإذا توافرت هذه الشروط، يكون الزواج مرغوباً بغض النظر عن العمر؛ لأنه سيحقق مقاصد الزواج الشرعية، منها: تحقيق مبدأ العفة وحفظ الفتاة من الوقوع في المحرمات، لأن تحصينها أخلاقياً يُعد خطوة أساسية لحماية المجتمع من الفساد). مثال ذلك: فتاة تبلغ من العمر ١٦ عاماً، نضجت جسدياً ونفسياً، وتعيش في بيئة مليئة بالإغراءات، مثل: انتشار العلاقات غير الشرعية أو التعرض للإعلام الذي يشجع على الانحراف الأخلاقي. في هذه الحالة، يُعد تزويجها بشخص كفؤ ملتزم بدينه وأخلاقه وسيلة لحمايتها من الوقوع في الفتنة أو ارتكاب المحرمات.

ربما يتبادر إلى الأذهان تساؤل: هل يحق للبالغ العاقل -سواء كان ذكراً أو أنثى - أن يستقل بقرار زواجه دون الحاجة إلى إذن الأب (ولي أمره) (١٢٤)؟

الجواب:

إذا كان الولد بالغاً عاقلاً رشيداً فإنه يستقل بقرار زواجه ولا ولاية لأبيه عليه ولا يشترط إذنه ورضاه. لكن الأمر يختلف بالنسبة للفتاة البالغة العاقلة الرشيد إذا كانت بكرًا، حيث يرى أغلب الفقهاء استمرار ولاية الأب عليها فلا تتزوج إلا بإذنه (١٢٥)، وأما إذا كانت ثيبًا فلا ولاية عليها.

يقول سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في كتابه منهاج الصالحين -ج ٣- مسألة ٦٧: « لا ولاية للأب ولا الجد للأب على البالغ الرشيد (١٢٦)، ولا على البالغة الرشيدة إذا كانت ثيبًا -المرأة الثيب وهي التي دخل بها سابقاً بزواج صحيح (١٢٧)- ، وأما إذا كانت بكرًا (١٢٨) فإن كانت مالكة لأمرها ومستقلة (١٢٩) في شؤون حياتها

لم يكن لأبيها ولا جدها لأبيها أن يزوجها من دون رضاها على الأقوى، وهل لها أن تتزوج من دون إذن أحدهما؟ فيه إشكال فلا تترك مراعاة مقتضى الاحتياط فيه. وأما إذا كانت غير مستقلة^(١٣٠) في شؤون حياتها فليس لها أن تتزوج من دون إذن أبيها أو جدها لأبيها على الأظهر، وهل لأبيها أو جدها لأبيها أن يزوجها من دون رضاها؟ فيه إشكال فلا تترك مراعاة مقتضى الاحتياط فيه.^(١٣١)

إن هذه الولاية إنما تنطلق (من مراعاة مصلحة البنت، فلأنها بكر لا تجربة لها في الحياة الزوجية، ولكونها غير مخالطة للرجال فمعرفتها بصفاتهم وأخلاقياتهم محدودة، ولما قد يغلب عليها من الاندفاع العاطفي، لكل ذلك يخشى عليها من أن لا يكون قرارها في اختيار الزوج موضوعياً مناسباً، فتتورط في حياة زوجية لا تسعد بها، ولا يمكنها الخلاص منها بسهولة، باعتبار أن قرار الانفصال والطلاق بيد الزوج.

كما أنها لو حصل بينها وبين زوجها أي مشكل فستحتاج إلى وقوف أهلها معها، وإذا ما كان الزواج خلاف رأيهم، فستحرم من دعمهم ومساعدتهم عند اللزوم.

لهذه الحثيات التي تصب في مصلحة البنت كان لوليها دور في قرار زواجها، وتشير إلى ذلك بعض الأحاديث، منها ما ورد في صحيحة الفضل بن عبد الملك عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا أَرَادَ أَبُوهَا أَنْ يَزُوجَهَا هُوَ أَنْظِرْ لَهَا»^(١٣٢). أي هو أصوب نظراً لتحقيق مصلحتها، لخبرته الاجتماعية، وحرصه على مستقبل ابنته، ولموضوعيته في اتخاذ القرار دون الوقوع تحت سيطرة الأحاسيس والعواطف.^(١٣٣)

الْمَبَكْتُ الثَّانِي: أَدِلَّةُ تَأْيِيدِ الشَّرِيعَةِ لِلزَّوْجِ الْمُبَكَّرِ

ربّ تساؤل يرد: ما هي الأدلة التي تثبت تأييد الشريعة الإسلامية للزواج المبكر؟

نختصر الإجابة بالأدلة الروائية، ونذكر منها الآتي:

١. روي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: نزل جبرئيل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد، إن ربك يُقرئك السلام، ويقول: إن الأ Bakar من النساء بمنزلة الثمر على

الشجر، فإذا أነع^(١٣٤) الثمر فلا دواء له إلا اجتناؤه^(١٣٥)، وإلا أفسدته الشمس وغيرته الريح، وإن الأبقار إذا أدركن ما تدرك النساء، فلا دواء لهن إلا البُعول، وإلا لم يؤمن عليهن الفتنة؛ فصعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المنبر فخطب الناس، ثم أعلمهم ما أمر الله تعالى به^(١٣٦).

يُشبه الحديث الشريف الفتاة البكر بالثمر على الشجر، الذي إذا نضج ووصل إلى مرحلة الإيناع يكون أفضل وقت لقطفه، وإلا فإنه قد يتعرض للتلف بسبب الشمس أو الريح. وهذا تشبيه بليغ يوضح أهمية تزويج الفتاة عند بلوغها سن النضج، بحيث تكون مستعدة لتحمل مسؤولية الحياة الزوجية.

الحديث يشير إلى أن التأخير في تزويج الفتاة قد يؤدي إلى تعرضها لمشكلات نفسية واجتماعية، مثل الانحراف أو الإحباط، تمامًا كما يُفسد الثمر إذا ترك دون قطف. التعجيل بالزواج، في الوقت المناسب، يُحقق لها الاستقرار النفسي والعاطفي، ويحميها من التأثيرات السلبية التي قد تنشأ من التأخير.

تأملوا أيضاً في قوله صلى الله عليه وآله: «وإن الأبقار إذا أدركن ما تدرك النساء، فلا دواء لهن إلا البُعول، وإلا لم يؤمن عليهن الفتنة»، أي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ينبه إلى خطورة تأخير الزواج ويبين أهميته في حماية الفرد من الفتن، رغم أن عصره كان أقل ابتلاءً بالمغريات مقارنة بعصرنا الحالي. اليوم، ومع هيمنة التكنولوجيا وانتشار وسائل التواصل وما يصاحبها من سفور وعلاقات غير مشروعة، تصبح الحاجة إلى الزواج المبكر أشد إلحاحاً. فهو درع يحمي الشباب من الفساد ويمنحهم استقراراً نفسياً وأخلاقياً في مواجهة أمواج الفتن المتلاطمة.

٢. روي عن الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ومن سعادة المرء ان لا تطمث ابنته في بيته»^(١٣٧).

إن الإسلام يرغب في المسارعة في تزويج البنت أول ما بلغت مبلغ النساء، وذلك بالطمث (العادة الشهرية).

٣. عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلا عجب شيطانه: يا ويله، يا ويله! عصم مني ثلثي دينه. فليتق الله العبد في الثلث الباقي»^(١٣٨).

إنَّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) استخدم عبارة «حادثة سنه»، وهي إشارة إلى الشباب، مما يدل على أن الإسلام يشجع الزواج في مرحلة مبكرة من العمر، خاصة إذا كان الشاب مستعداً لتحمل مسؤولياته.

٤. قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (١٣٩)

الحديث يحث الشباب على الزواج لمن يمتلك القدرة المادية والجسدية (الباءة)؛ لأنه يحقق غض البصر وحفظ الفرج، مما يساعد على تجنب الفواحش. أما من لم يستطع الزواج فعليه بالصوم، لأنه يكبح الشهوات.

إنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخاطب الشباب بقوله: «يا معشر الشباب»، والشباب في المنظور الإسلامي هو من بلغ سن البلوغ الشرعي، أي ١٥ سنة قمرية للذكور أو ظهور علامات البلوغ، مثل: الاحتلام، و٩ سنوات قمرية للفتيات. ويشجع الزواج بعد تحقق النضج العقلي والجسدي، وهو غالباً في هذا العمر المبكر، مع مراعاة الاستعداد لتحمل المسؤولية الزوجية.

الْمَبْنُوتُ الثَّلَاثُ: إِجَابِيَّاتُ الرِّوَاكِ الْمُبَكَّرِ، وَسَلْبِيَّاتُ الرِّوَاكِ الْمُنْتَهِي

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: إِجَابِيَّاتُ الرِّوَاكِ الْمُبَكَّرِ

إيجابيات الزواج المبكر عديدة، نذكر منها الآتي:

أ- على المستوى الصحي: ونذكر منها ما يتعلق بالأمور الآتية:

١- الإخصاب «إمكانية الحمل»: إنَّ نسبة الخصوبة «أي الحمل خلال فترة الزواج» عند الفتيات في سن مبكر تفوق الفتيات في الأعمار الأخرى.

(وإنَّ البحوث العلمية والدراسات العالمية، تثبت أنه لا يوجد زيادة في مضاعفات الحمل عند النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥-١٩ سنة، وإنَّ المضاعفات التي تحصل عند الحوامل أقل من ١٥ سنة هي نسبياً قليلة، هذا ما أثبتته العالم الأمريكي: «ساتين» من مستشفى بارك لاند في مدينة «تكساس Satin» من

(Parkland Hospital – Texas). (١٤٠)

وقد قام مختص في أمراض النساء والولادة اسمه: «ديفيد هارتلي» في مستشفى «أبها» العسكري، ببحث قارن فيه حالات حمل وولادة في سن ١٧-١٢ سنة، وهو ما يعدنه زواجاً مبكراً جداً، وحالات حمل وولادة في سن ٢٥-٢٠ سنة، وهو ما يعد زواجاً عادياً، فوجد أن حالات الحمل المبكر كانت مشاكلها أقل من حالات الحمل العادي. (١٤١)

٢- الأورام الخبيثة: هي أقل عند النساء اللواتي يبدأن الحمل والإنجاب في السنين المبكرة. ومن المثلث طبيياً أن الأمراض المزمنة تبدأ بالظهور أو تزيد استفحالاً كلما تقدّم الإنسان عمراً، وهذه الأمراض المزمنة تزيد مخاطر الحمل والإنجاب وأحياناً تقف عائقاً للحمل والإنجاب.

٣- الصحة النفسية: الزواج المبكر يسهم في تحقيق السكينة والاستقرار النفسي؛ حيث يجد الإنسان في شريكه الأمان العاطفي والمودة التي تخفف من مشاعر القلق والاكتئاب. كما أن وجود الأسرة يمنح الفرد بيئة آمنة توفر الدعم النفسي والاجتماعي، مما يحقق الطمأنينة التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. (١٤٢)

ب- على المستوى الاجتماعي: ونذكر منها الآتي:

١- تحمّل الزوجين للمسؤولية وعدم الاعتماد على الآخرين بدل العيش بلامبالاة وتضييع الوقت والعمر.

٢- التقليل من الوقوع في الرذيلة والانحراف والشذوذ الجنسي^(١٤٣) من جهة الفتاة، ومن جهة الشاب، فنسبة الزنى واللواط في الأرياف أقل من نسبة الزنى واللواط في المدن ولا ينكر هذا إلا مكابر لأن الأرياف تعرف الزواج المبكر، وإنما يلجأ الشباب إلى اللواط في الغالب لأن هناك موانع من الزواج المبكر مثل: غلاء المهور وغيرها.

وفرة العجز عن الزواج يعيش فيها الشاب مع الوسواس وينظر إلى إشباع الغرائز على أنها أهم مقاصده وأهدافه، ولا سيما مع الخروج مع رفقة السوء وتردي

أوضاع الشباب، مما يضره في دينه وتبقى عنده رواسب هذه الفترة ولو تزوج بعدها، وبعضهم لم يستطع التغلب على مثل هذه الرواسب، والزواج المبكر يقطع عليه مثل هذه الفترة الخطيرة، ويصرف اهتماماته إلى أمور أهم في حقه، ولذلك تجد الشاب الصغير من أهل الأرياف يأتي المدينة يعمل ويتعب ويكدح ليرسل المال إلى زوجته وأولاده ووالديه في الريف، وتجد من هو أكبر سناً من شباب المدينة يقضي الساعات الطويلة أمام الإنترنت، وتجد له علاقات مع فتيات، في الوقت الذي هو عالة على والديه.

٣- المحافظة على النسل. التكاثر في أفراد الأمة، فالأمة التي يتزوج شبابها مبكراً يكثر عدد أفرادها بما لا يكثر عدد أفراد غيرها من الأمم.

٤- إن التقارب في السن بين الآباء والأبناء يمكن الآباء من رعاية أبنائهم وهم أقوياء كما يستفيدون من خدمة أبنائهم لهم. يقول الدكتور كارل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»^(١٤٤)، وهو ينتقد الحضارة المادية الغربية: (وكلما قصرت المسافة الزمنية التي تفصل بين جيلين كلما كان تأثير الكبار الأدبي على الصغار أكثر قوة، ومن ثم يجب أن تكون النساء أمهات في سن صغيرة، حتى لا تفصلهن عن أطفالهن ثغرة كبيرة لا يمكن سدها، حتى بالحب.^(١٤٥))

ج- على المستوى الديني: الزواج المبكر يحمي الدين

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيما شاب تزوج في حداثة^(١٤٦) سنه، عجز^(١٤٧) شيطانه: يا ويله! عَصَم^(١٤٨) مني دينه». ^(١٤٩)

الحديث يوضح أن الزواج يحفظ «ثلثي الدين»، مما يشير إلى دوره الكبير في حماية الإنسان من الانزلاق نحو المحرمات، لا سيما في مرحلة الشباب حيث تكون الشهوات أقوى.

الإسلام يدرك أن فترة الشباب هي الأكثر عرضة للفتن والانحرافات، والزواج المبكر يوفر وسيلة شرعية لتحقيق العفة والاستقرار النفسي والاجتماعي.

المطلب الثاني: أضرار تأخير الزواج

إنّ تقاليد المجتمع، بفرضها القيود الاقتصادية والاجتماعية، نجحت في وضع حواجز حديدية أمام مسألة الزواج، حتى أصبح الزواج لا يتم إلا في سنّ الثلاثين أو أكثر^(١٥٠). ويترتب على هذا التأخير العديد من الآثار السلبية التي تؤثر على الفرد والمجتمع، وأبرزها:

١. الوقوع في الفتن والمعاصي: تأخير الزواج يُعرض الشباب لمغريات العصر من وسائل الإعلام والتبرج، مما قد يؤدي إلى الوقوع في المحرمات مثل: العادة السرية أو العلاقات غير المشروعة. الإسلام حثّ على حفظ الفرج وتحصين النفس بالزواج المبكر.

٢. إهدار الطاقات النفسية والجسدية: الشاب والشابة في سنوات الشباب يمتلكان حيوية وطاقات تحتاج إلى توجيه سليم، وتأخير الزواج يُهدر هذه الطاقات في أنشطة غير مفيدة مثل: العلاقات السطحية والمغامرات العاطفية.

٣. العنوسة: تأخير الزواج خاصة عند النساء يؤدي إلى خسارة سنوات الشباب والنضارة، مع صعوبة الحصول على شريك حياة مناسب لاحقاً.

٤. الانحرافات الجنسية والجرائم: التأخير في الزواج له ارتباط بزيادة نسب الجرائم والفوضى نتيجة لارتفاع معدلات الكبت النفسي والاجتماعي، وهو ما يدفع البعض إلى سلوكيات منحرفة للتعبير عن حاجاتهم المكبوتة كالاغتصاب والقتل، وهذا ما أشارت إليه بعض الدراسات الاجتماعية بأن تحقيق الاستقرار الأسري يساعد في تقليل السلوكيات الإجرامية والانحراف.

المَبَكْتُ الرَّابِعُ: لِمَاذَا الذُّبُّ عَلَى الرَّوَّاجِ الْمُبَكِّرِ؟

ابتداءً ينبغي أن نعرف: إن صاحب الباطل إذا أراد أن يدعو إلى باطله، فإنه لا يصرح به؛ لأنه لن يجد قبولا بذلك، وإنما يأتي له بكلام مقبول يقبله السامع، وهذا الذي فعله إبليس لعنه الله فهو لم يقل لهم: كلوا واعصوا الله، كلوا التخرجوا من الجنة!!، وإنما قال:

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(١٥١)، وهذا الأمر ينطبق على الفاسدين المفسدين وعلى رأسهم أعداء الإسلام والإنسانية الذين حينما جاؤوا ليستعبدوا الشعوب الغنية بالبترول وخيراتها، لا يقولون: هدفنا من هذه الحروب هو البترول، وإنما يقولون: العالم مهدد بأسلحة نووية يمكن أن تطلقها الدولة الفلانية في أي وقت!! ومن هذا الباب موضوعنا الذي نحن فيه، موضوع: (الزواج المبكر) ذلك الموضوع الذي كثفت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية الكلام عليه. والسؤال الذي ينبغي علينا طرحه ومعرفة جوابه هو

لماذا أعداء الإسلام حريصون على رفض الزواج المبكر، وفرض منعه على كل دول العالم؟

الجواب: إن هجوم أعداء الإسلام على الزواج المبكر يحمل في طياته أهدافاً خطيرة تسعى للتشكيك في الإسلام وتشويهه تعالىمه. ومن هذه الأهداف:

الهدف الأول: التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي

يدّعي أعداء الإسلام أن منع الزواج المبكر يستند إلى أسس طبية واجتماعية حديثة، ويستخدمون هذا الادعاء للطعن في الأحاديث والروايات التي تحث عليه. يسعون من خلال ذلك إلى فرض تشريعات وقوانين منحرفة تتعارض مع تعاليم الإسلام، كبديل عن الأحكام الشرعية. هذا الطعن يمهد الطريق لرفض أحكام صريحة في الشريعة، مثل: فرض الحجاب، تحريم العلاقات غير الشرعية، وشرب الخمر، تحت شعارات خادعة مثل: «التحديث» و«الحرية الشخصية»، مما يكشف محاولاتهم لتقويض التشريع الإسلامي وتشويه هويته.

الهدف الثاني: التشكيك في النبي محمد وآل النبي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

يسعى هؤلاء إلى الطعن في شخصية النبي وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وبعض أصحابه، بسبب زواجهم من نسوة بسن مبكر، كزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من عائشة^(١٥٢) وزواج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بفاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

وهي بنت عمرها (٩-١١) عاما^(١٥٣). الهدف من هذا الانتقاد والتشكيك هو إضعاف ارتباط المسلمين بنبيهم وتعاليمه.

الهدف الثالث: تقليل أعداد المسلمين والحد من تكاثرهم

الزواج المبكر أحد أعظم أسباب تكاثر المسلمين، وهو ما يُزعج أعداء الإسلام الذين يدركون أن زيادة عدد المسلمين تعزز قوتهم. الرحالة الألماني «بول أشميد» ذكر في كتابه الإسلام قوة الغد أن خصوبة النسل لدى المسلمين من أبرز عناصر قوتهم، وإذا اجتمعت هذه القوة مع وحدة العقيدة والثروة الطبيعية، فإنها تشكل تهديداً لأوروبا وسيادتها. على الجانب الآخر، تعمل بعض الجهات الغربية والنصرانية على تشجيع الزواج المبكر والإكثار من النسل بين أتباعها، كما ظهر في اجتماع البابا شنودة عام ١٩٧٣، حيث شدد على منع تحديد النسل بين المسيحيين وتشجيع الزواج المبكر بينهم، في مقابل حملات تحديد النسل بين المسلمين.^(١٥٤)

الهدف الرابع: الدعوة إلى الانحراف الأخلاقي

الزواج المبكر يحفظ الشباب والفتيات من الانحراف الأخلاقي، في حين أن تأخيره مع وجود وسائل الإثارة مثل: الفضائيات ومواقع الإنترنت يؤدي إلى انتشار الفساد. الشاب والفتاة في سن المراهقة يواجهان صراعاً مع الشهوة، خاصة مع انتشار الاختلاط في الجامعات والأسواق. ومع منع الزواج حتى سن ١٧ أو أكثر، يتفاقم هذا الصراع لينتج عنه انحلال أخلاقي واسع.

الهدف الخامس: تشويه الزواج الشرعي والتنفير منه

يرى هؤلاء أن الزواج المبكر يعوق المرأة عن تحقيق أهدافهم المزعومة في «تحرير المرأة». لذا، يدعون إلى تأخير الزواج بحجج مثل: «حقوق المرأة» و«نبذ العنف»، كما دعت إلى ذلك «وثيقة بكين». الهدف الحقيقي من هذه الدعوات هو تدمير قيم الأسرة الإسلامية وتشويه مفهوم الزواج الشرعي.^(١٥٥)

الْمَبْنُوتُ الْخَامِسُ: الرَّدُّ عَلَى الشَّبَهَاتِ الْمُعَارِضَةِ لِلزَّوْاجِ الْمُبَكَّرِ

ونذكر منها الشبهات الآتية:

الشبهة الأولى: إن الزواج المبكر يؤدي إلى فشل الحياة الزوجية!!

الجواب:

هذا الادعاء غير دقيق، إذ إن نجاح الحياة الزوجية لا يعتمد على العمر، بل على النضج العقلي، والتفاهم، وتحمل المسؤولية، وغيرها من الأمور التي ذكرناها في المبحث الأول والتي ينبغي مراعاتها في الزواج، بما في ذلك الزواج المبكر. فقد تكون فتاة في السابعة عشرة من عمرها أكثر وعياً وحكمة من أخرى في الثلاثين. فالنضج يُقاس بالقدرة على اتخاذ قرارات صائبة، وتحمل المسؤولية، والتفكير بعقلانية، وليس بعدد السنوات.

هناك الكثير من الزيجات المبكرة الناجحة التي بنيت على أسس صحيحة، كما أن تأخير الزواج لا يضمن النجاح دائماً. العبرة ليست في العمر، بل في التهيئة السليمة للطرفين والتوجيه الصحيح.

أما المشكلات والصعوبات، فهي لا تقتصر على الزواج المبكر فقط، بل قد تنشأ بسبب عوامل أخرى مثل: الضغوط الاقتصادية، غياب المسؤولية المشتركة، أو الغيرة، مما يؤكد أن عمر الزواج ليس العامل الحاسم في نجاح العلاقة.

الشبهة الثانية: تُثار بعض الاعتراضات على الزواج المبكر بزعم أن الفتيات اللواتي تزوجن في سن مبكرة يشعر بعضهن بالندم لاحقاً بسبب تحملهن المسؤولية في وقت مبكر، مما حال دون استمتاعهن بمرحلة الشباب في اللهو واللعب أو تكوين علاقات عاطفية مع الرجال. ويُقال إن ذلك قد يعود إلى تسرعهن في الارتباط بشخص تحت تأثير مشاعر الحب دون تفكير عميق لصغر سنهن.

ونجيب عليه بهاتين النقطتين:

١. إن التسرع في الحب ليس مرتبطاً بزمان الزواج، وإنما بطبيعة العاطفة والتفكير غير المتأن، مما يجعل القضية تتعلق بالنضج العقلي والتوجيه السليم أكثر من ارتباطها بعمر الزواج نفسه. فالنضج العقلي ليس محددًا بعمر معين.

٢. الله سبحانه وتعالى خلقنا لحكمة عظيمة وغاية سامية، حيث قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١٥٦)، فالإنسان لم يُخلق ليقضي حياته في اللهو واللعب، بل لتحقيق عبادة الله والسعي في إعمار الأرض لينال في النهاية رضى الله وجنت فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

واللهو واللعب صفتان تُنسبان للأطفال غالباً، لكن عندما تصل الفتاة أو الفتى إلى مرحلة البلوغ وتُصبح المرأة ناضجة، ينبغي أن تقلل من اللهو وتُركز على أهداف حياتها الأسمى. ومن أعظم أهداف المرأة تكوين أسرة صالحة وتربية أبناء يُرضون الله وينفعون الأمة. أما إقامة العلاقات مع الرجال الأجانب فهي تُفضي إلى الحرام والمهانة، وكثيراً ما سمعنا عن فتيات خدعن رجال غير صالحين وسلبوا شرفهن وتركوا خلفهم الندم والذل.

من أجل ذلك إذا تقدّم للمرأة البالغة رجل صالح يعزها ويكرمها ويمنحها حقوقها، ولا يترتب على زواجها مفسدة، وكانت مهينة للقيام بوظائف الأمومة وتحمل مسؤوليات الزواج من الناحية العقلية والبدنية، فمن الحكمة أن تقبل بالزواج لتنال الخير والعفة والعزة، بدلاً من أن تستبدل ذلك بالشر والذلة والمهانة. إن الزواج الصالح هو مفتاح السعادة والكرامة، وهو الطريق الذي يُرضي الله ويُحقق السكينة.

الشبهة الثالثة: الإسلام يظلم الفتاة حينما يُجيز لولي أمرها تزويجها وهي قاصر قبل سن الـ ١٨ لما يترتب عليه من أضرار ومفاسد!!!
ونرد عليه بالنقاط الآتية:

أولاً: القاصر بين التشريع الوضعي والتشريع الإسلامي

الاعتراض على زواج الفتاة دون سن ١٨ يستند إلى تعريف القاصر في القوانين الوضعية، والتي تختلف معاييرها بين الدول؛ حيث تحدد بعض الدول القاصر بمن

هو دون ١٨ عامًا، وأخرى بأقل من ذلك ليصل من هو دون ١٤ عامًا.

لكن في الإسلام، لا يُشرع البشر مقابل تشريع الله تعالى، إذ الشريعة الإسلامية هي الحاكمة، وقد حددت القاصر بأنها من لم تبلغ سن البلوغ الشرعي المتمثل بإتمام تسع سنوات قمرية^(١٥٧)، أي تعدّ قاصرًا إذا كانت أقل من ذلك. والشريعة أجازت للأب تزويج ابنته القاصر بعقد شرعي، مع عدم جواز الدخول بها قبل بلوغها النضج الجسدي والاستعداد النفسي للممارسة الجنسية^(١٥٨). ويتوقف صحة عقده على الإجازة من البنت بعد بلوغها^(١٥٩).

ومن المفارقات أن القوانين الوضعية والساوية تتفق على منع الدخول على الفتاة القاصر، لكنها يختلفان في التطبيق؛ فالشريعة الإسلامية تمنع الدخول على الفتاة القاصر من أي رجل، سواء كان زوجها أو غيره، حرصًا على مصلحتها الجسدية والنفسية. بينما بعض المعارضين من دعاة حقوق الإنسان يمنعون الزوج وحده، ويغضون الطرف عن ممارسة الفتاة للجنس خارج إطار الزواج، مما يعكس تناقضًا واضحًا في مواقفهم.

بعبارة أخرى: إذا كان زواج الفتاة في سن السابعة عشرة أو أقل يعدّ «ظلمًا» بزعمهم، فلماذا لا يعدّ ممارسة الفتاة للجنس خارج إطار الزواج في نفس العمر قبحًا أو مفسدة؟ بل إنهم يروجون لذلك بوصفه حقًا شخصيًا وطبيعيًا. وفي دول الغرب، تنتشر العلاقات غير الشرعية قبل سن ١٨ بشكل كبير، حتى إن نسبة الفتيات اللواتي يصلن إلى سن ١٨ مع الحفاظ على عذريتهن أصبحت قليلة للغاية، وقد يُنظر إليهن بازدراء أو يُتَّهمن بالتخلف أو وجود عقدة نفسية.

هذا التناقض يُظهر أن الاعتراض على زواج القاصرات في المجتمعات الإسلامية ليس قائمًا على مبدأ حماية الفتاة أو مصلحتها، بل على محاولة تشويه تعاليم الإسلام وإحلال قيم ثقافية تخالف أحكام الشريعة، التي تضع مصلحة الفتاة وكرامتها فوق كل اعتبار، من خلال إطار شرعي يحفظ حقوقها ويدفع عنها المفساد.

ثانيًا: إن الزواج في الشريعة الإسلامية ومنه زواج القاصر يُشترط فيه تحقيق مصلحة الفتاة وأن لا يترتب عليه مفسدة وإلا يبطل العقد، وفقًا للقاعدة الفقهية:

«لا ضرر ولا ضرار»، وهذا ما أكدته فتاوى مراجع الدين، ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في فتوى رقمها ٢٥٤ / ي بتاريخ: ٢٦ / ٩ / ٢٠١٩ م ما نصه: أنه ليس لولي الفتاة تزوجها إلا وفقاً لمصلحتها، ولا مصلحة لها غالباً في الزواج إلا بعد بلوغها النضح الجسمي والاستعداد النفسي للممارسة الجنسية، وسنوضح ذلك في المبحث القادم.

ثانياً: (ينبغي أن نعلم أن الجواز والاباحة في التشريع الاسلامي لا يعني وجوب فعل ذلك الشيء أو لزوم تطبيقه أبداً، فإن المشرّع عندما يعطي حرية الاختيار للأشخاص في قضية معينة كمسألتنا هذه على سبيل المثال: فإنه يبين أنه لا يمنعها ولا يجبر الناس عليها، وهذا معناه أنه ترك تشخيص المصلحة والتقبل وبالتالي الاقدام أو عدم الاقدام على ذلك الفعل للشخص نفسه (المكلف أو المواطن) فتكون الاستفادة من هذا القانون بالجواز تابعة للظروف الشخصية والبيئة الاجتماعية والعرف^(١٦٠)، وكذلك النفس وتقبلها لذلك الفعل لاختلاف الظروف والطبقات والمراتب كما أسلفنا.

فذلك التشريع بالجواز والإباحة هو في الحقيقة معالجة لبعض المشاكل التي تمر بالإنسان ولا تحل إلا بحلول استثنائية تقدر بقدرها!

فمثلاً لو أننا تخيلنا أن فتاة صغيرة ذات السبع أو الثمان سنوات قد وجدت في بيت بائس لا أباً لها يصرف عليها ولا أخ لها يحميها ولا قدرة لها على العيش الرغيد، فهل نقول: إنها لا يجوز لها الارتباط المقدس برجل غني ينتشلها من الضياع والتشرد ويصرف عليها الكثير من المال ويوفر لها اللقمة الهنيئة السائغة الطيبة بدل الاستجداء كما هو منتشر في العالم الثالث؟! ولا تقل توجد ملاجئ أيتام جيدة. فهذه لا تتوفر في كل مكان! ولا تقل ما ذنبها. لأن ذلك واقع ومشكلة موجودة يجب حلها. وهذا الحل لا بأس به بالقياس الى ما هي عليه أو خروجها الى الشارع أو الدعارة مثلاً.

ومن ثمّ يجب مع ذلك الحفاظ على الفتاة من الضرر. فحرم الدخول بها حفاظاً عليها! فهذا المقدار يضمن حل المشكلة مع الحفاظ على خصوصية كونها صغيرة.

وهذه واحدة من فوائد ذلك، ولها فوائد أخرى: منها العقد على البنت الصغيرة لإيجاد سبيل الى التقارب السببي بواسطة ذلك العقد لان أم الصغيرة سوف تحرم مؤبداً على ذلك الرجل فيستطيع الدخول والخروج بحرية أكثر، ويجب عليه حينها النفقة بمجرد العقد فتتم التوسعة على تلك الصبية وأهلها أما بالمهر وأما بالإنفاق فكلاهما واجب عليه، وكذلك سوف تنتفع من الارث إذا مات.

هذا بالإضافة الى فائدة جواز قضاء الشهوة دون الدخول ولو كان ذلك نادراً أو شاذاً ولكنه يوفر الحصانة من الوقوع في الحرام والفساد.

فلا يمكن الجزم بعد ذلك كله بأن هذا الحكم مجحف ومقزز وغير منطقي! مع الاخذ بنظر الاعتبار اختلاف سن البلوغ وتباينه من فتاة لأخرى، واختلاف قابلية الإنسان وتقبله ومزاجه ونفسيته بين شخص وآخر، وحالة تقديم بعض الآباء ذلك الحل على غيره مثل: الخلاص من البؤس والضياع عن طريق ذلك التزويج وتلك العلة الاجتماعية المقدسة والمحترمة لدى الجميع. هذا كله بشرط كون ذلك التزويج لا يضر بمصلحة الفتاة!

ومن ثمّ فهذا النوع من الزواج يعدُّ أفضل وأكثر عقلاً ومنطقاً وملائمة للفطرة من الزواج المثلي والشذوذ الجنسي.

وبالمقابل لا يمكن الاقتصار على بعض أنواع الزواج كما هو عند إخواننا من السنة في الوقت الحاضر، فلا يجوز الزواج عندهم إلا الدائم! بإغلاق الباب غير صحيح، مثلما أن فتحه على مصراعيه غير صحيح، ولكن التقنين والتنظيم واشتراط شروط معينة لحفظ النظام والنسل مع عدم التسبب بالكبت والحرمان وغلق الابواب هو الحل الأنجع على ما يقتضيه العقل والمنطق كما نرى والله العالم).^(١٦١)

ثالثاً: بإمكان الحاكم الشرعي أن يمنع بعض الأمور المحللة، مثال ذلك: حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة^(١٦٢)، أي أن هذا التحريم كان تحريم حكومي أي قرار حكومي من أجل مصلحة معينة في ظرف معين ومدة محددة.

وأيضاً هذه الصلاحية موجودة عند الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من بعد الرسول صلى الله عليه وآله. فالإمام إذا وجد مفسدة تترتب على تطبيق أمر محلل في حالة معينة يمنعه. وكذلك الحال مع الحاكم الشرعي من علمائنا الأبرار كفتوى المرجع الديني السيد محمد حسن الشيرازي (قدس سره) الذي أمر بتحريم التبناك كالأتي: « استعمال التبناك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن استعمله كمن حارب الإمام عجل الله فرجه. وذلك رداً على الاتفاقية التي منحت احتكار تجارة التبناك لشركة بريطانية، معتبراً استخدامها تحدياً لسيادة المسلمين ومصالحهم.

بالمقابل يجوز للحاكم الشرعي تحريم الزواج من القاصر إذا تترتب عليه مفسدة. لذا نعترض على الصورة التي ينقلها المعارضون للناس بان الإسلام يميز الزواج من الصغيرة وهذا يعني انه يدعو الى الإباحية... بل هناك ضوابط في هذا التشريع. فالترخيص مقيد بعدم تترتب المفسدة والا يجرم... بل يمكن لولي البنت أن يمنع هذا الزواج حتى لو لم تترتب عليه أي مفسدة.

الشبهة الرابعة: أن الزواج المبكر يؤدي إلى حرمان المرأة من التعليم!!

ونرد عليه بالنقاط الآتية:

١. إن القول بأن الزواج المبكر يؤدي بالضرورة إلى الحرمان من التعليم ليس قاعدة عامة أو حتمية، بل يعتمد الأمر على الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المحيطة بالفرد. هناك العديد من الحالات التي تمكنت فيها الفتيات والشباب المتزوجون من مواصلة تعليمهم والتفوق فيه، خاصة في بيئات تدعم التعليم وتعتبره حقاً أساسياً للجميع.

٢. إن الإسلام دين يحث على طلب العلم للجميع، رجالاً ونساءً، في جميع مراحل الحياة، بغض النظر عن الحالة الاجتماعية. وقد أثبتت سير الصحابيات والنساء المسلمات عبر التاريخ أن الزواج لم يكن حاجزاً أمام السعي وراء العلم.

بل إن الإسلام يعد العلم ركناً أساسياً في بناء الأسرة الصالحة، ووسيلة لتحقيق التنمية الفردية والمجتمعية.

٣. تنبع هذه الشبهة من اعتقاد خاطئ بأن الهدف الأساسي للمرأة في الحياة هو التفوق الدراسي والحصول على الشهادات العليا والوظيفة ذات الراتب الشهري العالي، بينما يعتبرون الزواج والإنجاب وتربية الأولاد أموراً ثانوية. في الإسلام، الوظيفة الأساسية للمرأة هي بناء الأسرة وتربية الأجيال، وهو دور محوري في تحقيق استقرار المجتمع ونهضته. ومع ذلك، الإسلام لا يمنع المرأة من طلب العلم أو العمل. فإذا أمكنها الموازنة بين مسؤولياتها الأسرية وأهدافها التعليمية والمهنية، فبها ونعمت، وإلا فالعاقل يقدم الأهم على المهم.

٤. إن النتيجة المترتبة على رفض العديد من النساء الزواج من رجال كفؤين من أجل إكمال الدراسة والحصول على شهادات عليا، هي الندم لاحقاً؛ لأن العمر يمضي، ونضارة المرأة وإشراقها تتلاشى مع الوقت، وقد يعزف عنها من رفضته سابقاً، وفي بعض الحالات، تضطر النسوة للقبول برجال بمواصفات أقل مما كن يطمحن إليه، أو تعرضن للاستغلال بسبب حاجتهن للزواج في سن متأخرة. وصدق الإمام علي عليه السلام حينما قال: «انتهزوا فرص الخير، فإنها تمر مر السحاب»^(١٦٣)، وهنا يبرز أهمية الموازنة بين الأولويات، حيث إن الزواج من زوج كفاء فرصة قد لا تتكرر، بينما يمكن الجمع بين إكمال التعليم وتحقيق الاستقرار الأسري في كثير من الأحيان.

٥. المتزوجة تكون مشبعة عاطفياً بفضل تحصينها بالزواج، مما يعزز استقرارها النفسي ويزيد من تركيزها في الدراسة والتعلم.

الشبهة الخامسة: يدعي بعضهم أن للزواج المبكر مخاطر متعددة على الفتاة من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية، كالادعاء بأن الفتاة تتعرض إلى فقر الدم وخاصة خلال فترة الحمل. وقد تزداد نسبة الوفيات بين الأمهات الصغيرات لقلة الدراية والوعي بالتربية والتغذية!!

أأنتم أعلم أم الله!؟

هو جواب مختصر مفاده أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(١٦٤)، فعلينا أن نقرّ بجهلنا وقصورنا أوّل، وبشيء من التوعية والانتباه والمسؤولية يمكن تجنب كل ما تقدّم.

إنّ البحوث العلميّة والدراسات العالميّة تثبت أنّه لا يوجد زيادة في مضاعفات الحمل عند النساء اللاتي تتراوح أعمارهنّ ما بين ١٥-١٩ سنة.

أمّا ادعاء سوء التغذية فهو بحاجة إلى زيادة وعي من البيت والأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام ودور الرعاية الصحيّة.

كما إنّ أولياء الأمور يستطيعون تقدير أمور الزواج المتعلقة ببناتهم فإذا وجد في ابنته القدرة على ذلك زوّجها، وإذا لم يجد فيها القدرة على ذلك لم يزوّجها. فحرص الإسلام الحنيف على التعجيل بالزواج وتسهيل إجراءاته ضماناً للعفاف لا يتعارض مع التريث والتمهّل في أخذ قرار الزواج.^(١٦٥)

المَبْنُوتُ السَّادِسُ: مُعَالَجَةُ تَحْدِيّاتِ الزَّوْاجِ المُبَكِّرِ

كل مشروع يُقدّم عليه الإنسان في الحياة لا يخلو من التحديات، والزواج، بما في ذلك الزواج المبكر، ليس استثناءً. ومن أبرز التحديات التي قد تواجه الزواج المبكر هما:

التحدّي الأول: ضعف التآلف والانسجام بين الزوجين

هذا الضعف بسبب نقص النضج أو قلة التجربة، وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قال له رجل: إنّنا نزوج صبياننا وهم صغار، فأجابه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا تزوجوا وهم صغار لم يكادوا يتألّفوا».^(١٦٦)

أي أن الزواج في سن مبكرة قد يؤدي إلى صعوبة في التكيف والتأقلم مع الحياة الزوجية.

وحينما نسلط الضوء على المشاكل الزوجية في الفترة الأخيرة نجد أن هذه المشكلة

ليست مقتصرة على الزواج المبكر فحسب، بل قد تواجه حتى من يتزوجون في العشرينات أو الثلاثينات وما بعدها، حيث يمكن أن ينشأ ضعف التآلف نتيجة غياب التفاهم أو نقص الاستعداد النفسي والعقلي. لذلك، فإن التهيئة السليمة للطرفين قبل الزواج تُعدّ أساسية لضمان نجاح العلاقة الزوجية بغض النظر عن العمر.

ولمعالجة مسألة صعوبة التآلف والتكيف، يمكن تقديم حلول واقعية ومهمة لضمان أن يكون الزواج تجربة ناجحة ومستقرة. إليك بعض الحلول:

١. التهيئة النفسية والاجتماعية:

- التثقيف قبل الزواج: تقديم برامج تدريبية ودورات توعية للشباب والفتيات المقبلين على الزواج لتعليمهم أساسيات الحياة الزوجية، وكيفية بناء علاقة قائمة على التفاهم والاحترام.

- التوجيه الأسري: دور الأهل أساسي في تقديم النصح والإرشاد للشباب، بما يعزز نضجهم النفسي والاجتماعي قبل الدخول في الحياة الزوجية.

- تنمية مهارات التواصل: تعليم الشباب كيفية التعامل مع التحديات والخلافات الزوجية بطريقة عقلانية بعيداً عن التسرع.

٢. مراعاة النضج الجسدي والعقلي:

- الانتظار حتى النضج الكافي: الحرص على أن يكون الزواج بعد بلوغ الفتى والفتاة النضج الجسدي والعقلي الذي يمكنهم من تحمل المسؤولية.

- التقييم الصحي: التأكد من أن الشاب والفتاة يتمتعان بصحة جيدة وقدرة جسدية على تحمل متطلبات الزواج، بما في ذلك الإنجاب وتربية الأطفال.

٣. الدعم المستمر بعد الزواج:

- الإرشاد الزوجي: توفير مرشدين أو مستشارين زوجيين لمساعدة الأزواج

الشباب في التعامل مع صعوبات التأقلم خلال السنوات الأولى من الزواج.
 - دعم المجتمع: بناء شبكات دعم اجتماعية تساعد الأزواج الشباب على تخطي الصعوبات، سواء من خلال برامج مجتمعية أو مبادرات عائلية.

٤. اختيار التوقيت المناسب:

- التأني في قرار الزواج: عدم التسرع في تزويج الشباب قبل التأكد من جاهزيتهم لتحمل المسؤوليات النفسية والاجتماعية.
 - إجراء تقييم شامل: ينبغي أن ينظر الأهل والشباب إلى الزواج كخطوة جدية تحتاج إلى تخطيط مسبق وتحليل للتحديات المتوقعة.

٥. تعزيز القيم الدينية والأخلاقية:

- التربية على الالتزام والمسؤولية: توجيه الشباب منذ الصغر ليكونوا مسؤولين وقادرين على الالتزام بواجبات الزواج.
 - التذكير بالمقاصد الشرعية للزواج: غرس مفهوم أن الزواج ليس مجرد ارتباط عاطفي، بل مسؤولية لبناء أسرة مستقرة تعزز القيم الأخلاقية والدينية.

التحدّي الثاني: كيفية التعامل مع حالات رفض الأهل لزواج الفتاة بحجة

صغر سنّها

التحدّي الثاني الذي يواجه الزواج المبكر هو رفض الأهل زواج ابنتهم من شاب بحجة صغر سنّها، سواء كان الشاب كفوًّا أم غير مؤهل. التعامل مع هذه الحالات يحتاج إلى حكمة وتوازن، مع مراعاة النقاط الآتية:

أولاً: إذا كان الشاب كفوًّا:

يقول سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في منهاج الصالحين: ينبغي أن لا يرد الخاطب إذا كان ممن يرضى خلقه ودينه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: « إذا

جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (١٦٧). (١٦٨)

لذا إذا رفضه الأهل فمن الأفضل أن يعيدوا النظر في موقفهم، مع مراعاة النقاط الآتية:

١. الحفاظ على عفة الفتاة وسمعتها:

رفض الأهل قد يدفع الفتاة للتواصل مع الشاب سرًا أو التفكير في الهروب، مما يعرضها لأذى نفسي واجتماعي. القبول بزواجها من شاب صالح تحت إشراف الأهل يحفظ كرامتها ويجنبها الوقوع في المحظورات.

٢. الشاب الكفو فرصة لا تُفوت:

إذا كان الشاب مؤمنًا وصالِحًا، فهو فرصة قد لا تتكرر. تأخير الزواج بحجة صغر السن قد يؤدي لضياع فرصة مناسبة تضمن للفتاة حياة مستقرة مع شريك مسؤول ومراعٍ لحقوقها.

٣. التروي في الإنجاب:

ينبغي للفتاة المتزوجة مبكرًا التروي في مسألة الإنجاب حتى تتأكد من استقرار حياتها الزوجية، وصلاح زوجها وقدرته على تحمل مسؤوليتها ومسؤولية الأطفال مستقبلًا.

ثانيًا: إذا كان الشاب غير مؤهل (فاسق أو مخادع):

في حال كان الشاب المتقدم غير مؤهل للزواج بسبب ضعف دينه أو أخلاقه، أو سلوكياته غير السوية، يجب أن يوضح الأهل للفتاة الأسباب الحقيقية للرفض بطريقة عقلانية ومحترمة، مع الأخذ بالنقاط الآتية:

١. التوضيح بحكمة وشفافية:

على الأهل أن يشرحوا للفتاة أسباب رفضهم بطريقة مقنعة ومنطقية، مع تقديم أمثلة على سلوكيات الشاب التي تؤكد أنه غير مناسب لتحمل المسؤولية أو الحفاظ على حقوقها. مثال: إذا كان الشاب معروفًا بسوء السلوك أو الفساد الأخلاقي،

يمكن توضيح ذلك بالأدلة الواقعية.

٢. حمايتها من الأذى:

يجب على الأهل التأكيد أن قرارهم نابع من حرصهم على مصلحتها وحمايتها من شخص قد يستغلها أو يسبب لها معاناة في المستقبل.

مثال: توضيح أن الارتباط بشخص مخادع قد يؤدي إلى حياة مليئة بالمشكلات وعدم الأمان.

٣. بيان خطورة اتخاذ قرارات متهورة:

على الفتاة أن تدرك أن الزواج بشخص غير مؤهل قد يؤدي إلى الإضرار بسمعتها وحياتها النفسية والاجتماعية. فينبغي إقناعها بأن الحب وحده لا يكفي لبناء زواج ناجح.

٤. تقديم بدائل إيجابية:

يمكن للأهل طمأنة الفتاة بأن هناك فرصاً أفضل في المستقبل مع أشخاص صالحين ومؤهلين، مع التأكيد على أن الوقت كفيلاً بجلب الخير لها إذا صبرت.

النص سليم ولكنه يحتاج إلى تعديل بسيط لضمان الدقة والوضوح.

الصياغة المقترحة:

طلب وساطة إذا لزم الأمر: في حال أصرت الفتاة على رغبتها، يمكن اللجوء إلى شخص موثوق من الأسرة أو مستشار أسري للتدخل بحكمة لإقناع الأهل بموقفها. وإذا أصر الأهل على رفض الرجل الصالح رغم كفاءته وأهليته للزواج، يمكن للفتاة طلب وساطة من شخص مؤثر وموثوق لتوضيح وجهة نظرها وإقناع الأهل بتغيير قرارهم بما يخدم مصلحتها.

الْمَبْكَةُ السَّابِعُ: الرَّوَّاجُ الْمُبَكَّرُ فِي حَيَاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَبْنَائِهِمْ

الزواج المبكر كان جزءاً من حياة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأبنائهم، حيث عُرف عنهم الحرص على تزويج بناتهم عندما يبلغن مبلغ النساء ويصبحن مؤهلات للزواج. وكانت القدوة في ذلك السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

، سيدة نساء العالمين، التي كان عمرها يوم زواجها على الأرجح عشر سنين^(١٦٩)، لتصبح نموذجاً يُحتذى به في التعاليم الإسلامية. وقد اقتدت بها بنات الوحي والرسالة، مثل: صاحبة الذكرى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، (تزوجت وهي في الخامسة عشرة من عمرها بإسحاق المؤمن ابن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ).^(١٧٠)

وُلدت السيدة نفيسة بمكة المكرمة عام ١٤٥ هـ، وعاشت في المدينة، وكانت عابدة زاهدة معروفة بصيام النهار وقيام الليل، حتى لُقبت بـ: «نفيسة العلم» في صغرها. أدمنت الحج مشياً، وأدت ثلاثين حجة أغلبها على الأقدام. عُرفت بعبادتها، وقالت عنها ابنة أخيها: «خدمتها أربعين سنة ولم أرها نامت بليل أو فطرت بنهار».

نتيجة للضغوط على العلويين، هاجرت السيدة نفيسة من المدينة المنورة إلى مصر، حيث وصلت القاهرة عام ١٩٣ هـ. قصدها الناس للعلم والدعاء، وظلت تُعلم وتدعو الناس حتى وفاتها.

يروى أن سبب وفاتها هو المرض، وحينما احتضرت عَلَيْهَا السَّلَامُ

وهي صائمة ألزموها الفطر، فقالت: «واعجبا لي منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن القاه وأنا صائمة وأفطر الآن هذا لا يكون»، ثم قرأت سورة الأنعام فلما وصلت الى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١٧١)، ماتت في رمضان سنة ٢٠٨ هـ.

قيل: كانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي، قرأت فيه ستة آلاف ختمة فلما ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع تلك

الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف والحزن عليها وصُليَّ عليها في مشهد حافل لم ير مثله بحيث امتلأت الفلوات والقبعات، ثم دفنت في قبرها الذي حفرته في بيتها بدرب السباع بالمراعة.

وأراد زوجها نقلها بعد موتها الى المدينة ودفنها في البقيع فسأله أهل مصر تركها عندهم للتبرك وبذلوا له مالاً كثيراً فلم يرض فرأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال له: «يا إسحق لا تعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها». (١٧٢)

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَتِي وَمَوْلَاتِي يَا نَفِيسَةَ يَوْمٍ وُلِدَتْ وَيَوْمَ مِتَّتْ وَيَوْمَ تُبْعَثِينَ حَيًّا

ماتت من البجى محمداً منعها
ولا أحد على خدها صفعها
يا ويلى على الزهراء وامرها
ووفلان سكتها وعصرها
ولا حد تجرأ وكسر ضلعها
ابذل وهضم كظت عمرها
وللعشرين ما وصل عمرها
ولليوم ما نعرف قبرها

(نصارى)

كومك يبيويه مارعوني
وامن البچه اعليك امنعوني
للحبايط اوليهه اعصروني
او بره المدينة طلّعوني
واخلاف عينك مرموني
او وره الباب لمن هيا سوني
كسروا اضلوعي او سكتوني

(أبو ذية)

لبست الحزن طول العمر يلباب
انشدك وين مسن سكت يلباب
ذهيل او مابت لي افكار يلباب
يوم العصروا الزهره الزجيه

أفاطم يسقط منها الجنين
وتحرق باب فنانها الطغام
ومتدفع عن حقها راغمه
ومتأتي على خدرها هاجمه
ومتدت علي وجها لا طمه
فتبت يد كسرت ضلعها





٧ رمضان

وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ

الناسيةُ

وفاةُ أبي طالبٍ عليه السّلامُ، ناصرِ الإسلامِ

القصيدة للشاعر محمد المرهون

ويا حاميَ الإسلامِ بالنفسِ واليَدِ
فأدبَيْتَها بالفعلِ دونَ تردُّدِ
وأنقذتَهُ من كيدِ عادٍ ومُلحدِ
وأقوى عمادٍ في الجهادِ ومُسندِ
كُلِّ نَفيسٍ في الوجودِ وعَسجدِ
إلى جنبِهِ في كُلِّ أمرٍ ومشهدِ
وتستدفعُ البَلوى بأعظمِ مُنجدِ
إلى أن دنى منك الجِمامُ بمرصدِ
وأنك سِرُّ اللهِ بالأمسِ والغدِ
كُلِّ بقاعِ الأرضِ فيها وجلمدِ
عليه فأضحى يَاطمُ الخدُّ باليدِ
بدمعِ وقلبٍ بالشَّجا مُتوقِّدِ

أيا سيِّدَ البطحاءِ يا عمَّ أحمدِ
لقد خَصَّكَ الباري بحمَلِ أمانةِ
نصرتَ رسولَ اللهِ في كُلِّ موقفِ
كنتَ له نِعَمَ الكَفيلِ بأمرِهِ
ذلتَ له مالاً ووُلداً وأنفُساً
أمرتَ علياً بالوقوفِ وجعفرأ
لقد كُنْتَ تستسقي الغمامَ بوجهِهِ
وما زلتَ ترعاهُ وتحفظُ سرَّهُ
مَضيتَ على دينِ النبيِّ مُحَمَّدِ
بفقدِكَ عمَّ الحزنِ أرجاءَ مَكَّةِ
مُصابِكُ هَدَّ المصطفى حينَ وقَعِهِ
وظلَّ أبو السَّبطينَ بعدَكَ باكياً



المحاضرة الثالثة

أَرْبَعُ مُوَلِّكَاتٍ.. كَيْفَ نَتَجَنَّبُهَا؟

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ خَلِيقٌ بَأَنَّ لَا يَنْزِلُ بِهِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا، قِيلَ: وَمَا هُنَّ؟، قَالَ: الْعَجَلَةُ وَاللَّجَاجَةُ وَالْعُجْبُ وَالتَّوَانِي» (١٧٣).

من المعلوم، إن الحياة مليئة بالتحديات والمصاعب، وكثيرًا ما نجد أنفسنا أمام مشكلات معقدة، سواء على المستوى الشخصي، أو الاجتماعي، أو حتى في أمور العمل والعلاقات. ولكن هل تساءلنا يومًا: ما السبب الحقيقي وراء الكثير من هذه الأزمات؟ لماذا نجد أنفسنا مرارًا وتكرارًا نقع في الأخطاء ذاتها، ونعاني من العواقب ذاتها؟

لقد لخص لنا الإمام علي عليه السلام في هذا الحديث الشريف أربعة عوامل رئيسية تؤدي إلى الهلاك، وتجلب المكروه للإنسان، وهي: (العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني). وكان أمير المؤمنين عليه السلام يضع أمامنا خريطة واضحة، يُخبرنا فيها أن هذه الصفات ليست مجرد عيوب أخلاقية، بل هي أسباب مباشرة لكثير من المآسي التي تحلّ بالإنسان.

فكم من قرارات متسرعة أوقعت أصحابها في الندم؟

وكم من عناد أضاع فرصًا عظيمة وأفسد العلاقات؟

وكم من غطرسة وغرور كانت سببًا في خسارة الهيبة والاحترام؟

وكم من تأجيل وتسويق أدى إلى ضياع الأحلام وفوات الفرص؟

إن هذه المهلكات ليست مجرد مفاهيم نظرية، بل هي حقائق ملموسة، نراها يوميًا في حياتنا. نجدها في قصص الفاشلين، وفي صفحات التاريخ، بل وربما نجدها في أنفسنا إذا تأملنا بصدق. لذا، فإن إدراك خطورة هذه الصفات هو الخطوة الأولى

نحو إصلاح الذات، وبناء مجتمع أكثر وعياً وحكمة.

في هذه المحاضرة، سنتناول هذه المهلكات الأربع بعمق، وسنسلط الضوء على تأثيرها المدمر، وكيف يمكننا تجاوزها وتحقيق التوازن الذي أوصانا به الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. فتعالوا معنا لنبحر في هذه الحكمة النورانية، لعلنا ننجو من المهالك، ونعيش حياة بعيدة عن المكروه.

المَبَكَّتُ الْأَوَّلُ: العَجَلَةُ

المهلكة الأولى التي حذر منها الإمام عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث قيد البحث هي «العجلة»، وهي نوعان: عجلة مذمومة وعجلة ممدوحة، وسوف نتناول كل نوع منهما في المطلبين الآتين:

الْقَطَبُ الْأَوَّلُ: العَجَلَةُ الْمَذْمُومَةُ

العجلة المذمومة هي التسرع في اتخاذ القرارات أو القيام بالأعمال دون تفكير كافٍ أو تأمل في العواقب. وهي ناتجة عن ضعف النفس وصغرها^(١٧٤)، مما يجعل الإنسان مندفعاً نحو الفعل دون روية، من أمثلة ذلك:

❖ العجلة في الحكم على الناس: شخص يغضب من زميله بسبب سوء فهم بسيط، فيقرر قطع العلاقة فوراً، ثم يكتشف لاحقاً أنه أساء التقدير وخسر صديقاً مخلصاً.

❖ العجلة في اتخاذ القرارات المالية: شخص يسمع عن فرصة استثمارية فيسارع بوضع ماله دون دراسة، فيخسر كل شيء.

❖ العجلة في الكلام: شخص يتحدث دون تفكير، ثم يندم على ما قاله لأنه جرح مشاعر الآخرين.

❖ العجلة في قرار الطلاق: زوجان يمران بخلاف حاد، فيقرر أحدهما الطلاق فوراً بدافع الغضب، دون محاولة التفاهم أو الإصلاح، ليكتشف لاحقاً أن القرار كان متسرعاً، وأن الأطفال أصبحوا مشتتين بينهما، يعانون من غياب الاستقرار

الأسري.

❁ العجلة في الشراء بسبب العروض الزائفة: شخص يرى إعلاناً عن تخفيضات كبيرة في متجر، فيسارع بالشراء دون مقارنة الأسعار أو التفكير في حاجته للمنتج، ليجد لاحقاً أنه اشترى شيئاً بسعر أعلى مما يستحق.

❁ ترك العمل بسبب موقف عابر: موظف يشعر بالظلم في يوم سيء من مديره، فيقدم استقالته فوراً، ثم يدرك لاحقاً أنه فقد فرصة جيدة بسبب لحظة انفعال.

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ: الْعَجَلَةُ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

رب تساؤل يرد: **ما هي وجهة نظر الإسلام تجاه العجلة؟**

الجواب: لقد حذر الإسلام من العجلة بشدة، بنصوص شرعية عديدة، نذكر منها ما ورد ذكره في النصوص القرآنية:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾. (١٧٥)
٢. قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. (١٧٦)
٣. قوله تعالى: ﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. (١٧٧)

وأما ما ورد ذكره في النصوص الروائية فهي عديدة، نذكر منها الآتي:

١. روي عن الإمام علي عليه السلام: «العجلُ يُوجِبُ العِثَارَ»^(١٧٨)، أي يوجب التعثر والسقوط. مثال ذلك: شخص يتسرع في عبور الشارع دون النظر، فيتعرض لحادث.

٢. روي عنه عليه السلام: «مَعَ الْعَجَلِ يَكْثُرُ الزَّلَلُ»^(١٧٩).

أي مع العجل يكثر السقوط في الخطأ والهفوات. مثال ذلك: طالب يجب على أسئلة الامتحان بسرعة دون قراءة جيدة، فيرتكب أخطاءً فادحة.

٣. روي عنه عليه السلام - في وصيته لابنه الحسن عليه السلام لما حضره الموت - : «أنهاك

عن التسرع بالقول والفعل»^(١٨٠).

مثال عن التسرع بالقول: شخص يغضب فينطق بكلمات جارحة ثم يندم عليها لاحقاً.

مثال عن التسرع بالفعل: قائد يتخذ قراراً عسكرياً دون تخطيط، مما يؤدي إلى خسائر فادحة.

إن سبب ذم العجلة بشدة هو أن الأعمال تحتاج إلى وعي وبصيرة، وهما لا يتحققان إلا بالتأمل والتروي، بينما تمنعها العجلة، مما يترتب عليها مخاطر سنطرحها في الفرع الآتي:

الفرع الثاني: مساوئ العجلة

ونذكر منها الآتي:

١. الندم والخسارة: أي قرار متسرع غالباً ما يؤدي إلى الندم. روي عن الإمام علي عليه السلام: «العجل قبل الإمكان يوجب الغصة». (١٨١)

أي أن التسرع في القيام بشيء. (قبل الإمكان) أي قبل أن تتوفر الظروف المناسبة أو الشروط اللازمة لفعل شيء ما. (يوجب الغصة) أي يؤدي إلى الندم، الألم، أو الفشل، كما أن الغصة في الحلق تُشعر الإنسان بالضيق. من أمثلة ذلك:

٢. ضعف المكانة والاحترام: الإنسان العجول يُنظر إليه على أنه غير ناضج أو غير حكيم.

٣. فقدان الفرص الحقيقية: العجلة قد تجعل الإنسان يتجاهل خيارات أفضل كانت تحتاج لبعض الصبر والتفكير.

٤. الوقوع في فخ الشيطان: الشيطان يدفع الإنسان إلى التسرع ليوقع في الأخطاء ويبعده عن التفكير السليم، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم بقوله: «العجلة من الشيطان». (١٨٢)

الْفَرْعُ الثَّلَاثُ: أَسْبَابُ الْعَجَلَةِ

ونذكر منها الأسباب الآتية:

١. ضعف النفس وقلة الصبر: المتعجل يفتقر إلى الصبر والتروي، فيتصرف بردود فعل سريعة دون تفكير. مثال: امرأة لم تتحمل مشكلات أهلها، فتسرت في الزواج بأول من تقدم لها دون التأكد من أهليته، فواجهت مشكلات زوجية كبيرة، بينما كان الصبر والتأني سيمنحانها شريكاً أكثر توافقاً.
٢. عدم القدرة على التحكم في المشاعر والانفعالات: الشخص الذي لا يستطيع ضبط مشاعره يكون أكثر عرضة للعجلة، لأن قراراته غالباً ما تكون ناتجة عن انفعالات لحظية مثل: الغضب، أو الحماس الزائد، دون تفكير منطقي في العواقب.
٣. الخوف من ضياع الفرص: يعتقد بعضهم أن السرعة ضرورية لاغتنام الفرص، فيقعون في أخطاء جسيمة. مثال: رجل تسرع في منح ثقته لشخص آخر، فاستثمر كل أمواله في مشروع خاسر وفقدها.
٤. التأثير بالآخرين: قد يندفع الإنسان لمجاراة من حوله، حتى لو كان ذلك خطأ. مثال: امرأة أجرت عملية تجميل متسرة بسبب تأثرها بترويج على مواقع التواصل، فصدقت المديح في التعليقات، لكن العملية فشلت وأدت إلى تشوه وجهها.
٥. التسرع في طلب النتائج: بعضهم يسعى للنجاح بسرعة، فيتخذ قرارات متسرة تنتهي بالفشل، كمن تزوجت رجلاً غنياً طمعاً في ماله، ثم اكتشفت فساده، فاضطرت لطلب الطلاق والتنازل عن مهرها.
٦. الجهل بالعواقب: الشخص المتسرع لا يدرك أن العجلة قد تفضي إلى ندم دائم، فيتخذ قرارات دون تفكير في نتائجها. ومثال ذلك: فتاة تندفع للتواصل مع رجل أجنبي دون وعي بعواقب الأمر، فيستغلها لاحقاً بتهديدها، إما بابتزازها مالياً أو بنشر صورها على مواقع التواصل الاجتماعي.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: عِلاجُ الْعَجَلَةِ الْمَذْمُومَةِ

السؤال الذي ينبغي علينا طرحه هو: **كيف نتجنب العجلة؟**

الجواب: باتباع الخطوات الآتية:

١. التأمني والتثبت في اتخاذ القرارات:

إنَّ «التأمني» و«التثبت» هما الصفات المضادة للعجلة، ويقصد بهما التروي والتفكير العميق قبل اتخاذ القرار، والتأكد من صحة المعلومات قبل التصرف، لتجنب الوقوع في الأخطاء والندم^(١٨٣).

فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْأَنَاةَ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١٨٤)، وروي عنه أيضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا أَهْلَكَ النَّاسَ الْعَجَلَةَ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ تَثَبَتُوا لَمْ يَهْلِكْ أَحَدٌ»^(١٨٥).

كيفية التطبيق:

❖ التفكير قبل الفعل: لا ينبغي القيام بأي عمل إلا بعد التفكير في نتائجه المحتملة، وتقييم العواقب الإيجابية والسلبية.

❖ التحقق من المعلومات: قبل إصدار الأحكام أو اتخاذ القرارات، يجب التأكد من صحة الأخبار والمعلومات.

أمثلة تطبيقية:

✓ في الزواج: قبل الزواج، التأمني يكون في التفكير العميق دون استعجال،

والتثبت يكون في التحقق من أخلاق الطرف الآخر ودينه من مصادر موثوقة.

✓ في اتخاذ القرارات المالية: شخص يقرر شراء سيارة فور رؤيتها، لكنه يتمهل

ويطرح أسئلة مثل: «هل هذا القرار صحيح؟ هل لدي معلومات كافية؟ هل

تناسب احتياجاتي؟».

✓ في العلاقات الاجتماعية: شخص يسمع خبراً مزعجاً عن صديقه، فيقرر ألا

يرد بغضب أو يتخذ موقفاً حتى يتأكد من صحة الخبر.

٢. تقوية الصبر والتدرب عليه:

إن الصبر هو مفتاح التروي، لأنه يساعد الإنسان على التحكم في انفعالاته وعدم التسرع في اتخاذ قرارات قد يندم عليها لاحقاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. (١٨٦)

كيفية التطبيق:

◆ عند الشعور بالغضب أو الرغبة في اتخاذ قرار متسرع، يجب التوقف للحظة وإعطاء النفس وقتاً للهدوء.

◆ الانشغال بشيء مفيد مثل العمل أو الذكر، أو ممارسة نشاط يساعد على تهدئة النفس.

◆ التروي في الردود الشفهية أو الكتابية حتى لا تُقال كلمات يندم عليها لاحقاً. مثال تطبيقي: شخص يشعر بالغضب من رسالة مستفزة، بدلاً من الرد فوراً، يقوم بتأجيل الرد حتى يهدأ، ثم يعيد النظر في طريقة تعامله مع الموقف بحكمة.

٣. التخطيط المسبق:

التخطيط المسبق يمنع الفشل في الأمور الكبيرة والقرارات بعيدة المدى. ينبغي وضع خطة واضحة قبل الإقدام على أي خطوة مهمة، وتجنب الارتجال الناتج عن العجلة.

مثال: قرر أحد المستثمرين إطلاق مشروع جديد وكان متحمساً للبدء بسرعة وتحقيق الأرباح. بدلاً من التخطيط المسبق لاختيار فريق العمل بعناية، استعجل في توظيف أشخاص دون التحقق من نزاهتهم وكفاءتهم، ولم يُجرِ بحثاً كافياً عن خلفياتهم المهنية، ووقع عقوداً طويلة الأمد معهم دون وضع شروط قانونية لحماية حقوقه. هذا الاندفاع أدى إلى وقوعه في مشاكل كبيرة.

٤. الاستشارة وطلب الرأي:

عند مواجهة قرار مهم، يُنصح باستشارة ذوي الخبرة، وعلماء الدين الحكماء، وأصحاب التجارب، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١٨٧). وروى عن الإمام علي عليه السلام: «خير من شاورت، ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم»^(١٨٨).

٥. الاستفادة من تجارب الآخرين:

التعلم من أخطاء من استعجلوا وندموا يمكن أن يكون درسًا قيمًا. ويمكن قراءة قصص الشخصيات التي فشلت بسبب العجلة تساعد في تجنب الوقوع في نفس الأخطاء.

٦. توفر الإمكانيات والخبرة قبل الإقدام:

التسرع في تحقيق الأهداف دون امتلاك المهارات والخبرة اللازمة يؤدي إلى الفشل والندم. قال الإمام علي عليه السلام: «العَجَلُ قَبْلَ الإِمْكَانِ يوجبُ الغُصَّةَ»^(١٨٩).

مثال: شخص يسعى لفتح مشروع، فعين شخصًا لا يمتلك الإمكانيات والخبرة الكافية، مما تسبب في خسارة المشروع.

٧. التدرج في التعلم واتخاذ القرارات:

التأني في اكتساب المعرفة يضمن النجاح، بينما التسرع يؤدي للفشل. مثال: شخص يلقي محاضرات دينية أو علمية دون تأهيل كافٍ، فيخطئ في الإجابة على الأسئلة، فيضلل الناس ويفقد مصداقيته، فيندم على استعجاله.

٨. التوقيت المناسب بين التأني والمبادرة:

إن معرفة متى يكون التأني مطلوبًا ومتى تكون السرعة ضرورية هو مفتاح النجاح في اتخاذ القرارات. فالتسرع في فعل شيء قبل أوانه يؤدي إلى الفشل والندم، بينما التأخير غير المبرر يؤدي إلى ضياع الفرصة. مثال: أن الزراعة لها وقت محدد، فإن الشخص الذي يزرع البذور في غير موسمها أو يستعجل الحصاد قبل نضوج المحصول سيخسر جهده، وكذلك من يُهمل الزراعة في وقتها فلن يحصد شيئًا لاحقًا.

القاعدة الذهبية: «لكل شيء وقته، فلا تستعجل قبل أوانه، ولا تؤخر ما ينبغي الإسراع فيه!»

الخلاصة: إن كل نقطة من هذه النقاط تُعالج جانباً معيناً من العجلة، وتُسهّم مجتمعة في بناء شخصية متأنية وحكيمة في اتخاذ القرارات.

المطلب الثاني: العجلة الممدوحة

العجلة الممدوحة: هي المبادرة والمسارعة إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحة دون تأخير، قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ ^(١٩٠)، فذيل الآية يصرّح بأن سبب عجلة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو لنيل رضا الله، وهو أمر ممدوح ^(١٩١)، وما يتعلق بالروايات فهي كثيرة، تحث على العجلة في موارد الخير، منها: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب من الخير ما يعجل» ^(١٩٢).

ومن موارد الخير التي ينبغي عدم التباطؤ فيها: المسارعة إلى أداء البر، ودفع الشر، فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التثبت خير من العجلة إلا في فرص البر، العجلة مذمومة في كل أمر إلا فيما يدفع الشر» ^(١٩٣)، يشير هذا الحديث إلى أن التروي مقدم على العجلة في كل شيء إلا في أمرين: فرص البر ^(١٩٤)، ودفع الشر.

من أجل ذلك ينبغي علينا المسارعة في أدائها، وعدم إهمالها وتأخيرها بغير مبرر؛ لأن شياطين الجن والأنس سيحاولون الوسوسة من أجل طلب (الأعذار والتسوية ليوم بعد آخر، مما يؤدي غالباً إلى تعطل الأعمال وظهور المشكلات فيها، وشاهد هذا الكلام هو الحديث الوارد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ هَمَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَعْجَلْهُ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ تَأْخِيرٌ فَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَظْرَةٌ» ^(١٩٥). (١٩٦)

ومن أبرز مظاهرها العجلة الممدوحة في فرص البر:

١. أداء الصلاة في أول وقتها: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «صَلُّوا صَلَاتِكُمْ فِي أَوَّلِ وَقْتِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُضَاعِفُ لَكُمْ» ^(١٩٧).

٢. التوبة: روي عن الإمام علي عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ ويسوفُ التوبة بطول الأمل». (١٩٨)

٣. قضاء ما في الذمة من عبادات وديون: يجب الإسراع في أداء الصيام، الصلاة، الحج، الزكاة، الكفارات، والخمس، وعدم تأخيرها، حتى لا تُنسى أو تعيقها الظروف، أو يسبق الأجل فيحاسب عليها.

٤. المسارعة إلى إبراء الذمة من حقوق الآخرين، سواء كانت حقوقاً مالية، أو مظالم معنوية كالغيبة، أو الاعتداء على الحقوق، لأن التأخير يؤدي إلى ضياع الحقوق أو تعذر إرجاعها.

٥. مساعدة المحتاجين فوراً: شخص يرى فقيراً بحاجة إلى طعام أو مال، فلا ينبغي له تأجيل مساعدته، لأن التأخير قد يزيد من معاناته.

٦. الصلح بين المتخاصمين: عند حدوث خلاف بين شخصين، فمن الخير المسارعة في الإصلاح قبل أن يتفاقم النزاع ويؤدي إلى قطيعة أو عداوة دائمة. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث». (١٩٩)

ومن مظاهر العجلة الممدوحة في دفع الشر:

١. إنقاذ شخص في خطر: شخص يرى طفلاً على وشك السقوط في بئر أو التعرض لحادث، فلا ينبغي له التفكير كثيراً، بل يجب أن يتصرف فوراً لإنقاذه.

٢. دفع الظلم عن المظلوم: إذا رأى شخص ظلماً يقع على إنسان ضعيف، كالتعدي عليه بالضرب أو السرقة، فعليه أن يتدخل فوراً لوقف الظلم أو إبلاغ الجهات المختصة، ولا يكتفي بالقول باللهجة العامية العراقية «شعليه»، «شلي كار»!!

٣. التصرف السريع في الأزمات: عند اندلاع حريق أو وقوع كارثة، يجب المسارعة إلى إبلاغ الجهات المختصة أو التدخل عند القدرة، لتفادي الأضرار وإنقاذ الأرواح.

الخلاصة: (إنَّ العجلة المذمومة هي التي تكون في الأمور التي تحتاج إلى تأنُّ وتفكير أثناء البحث والدراسة قبل اتخاذ القرار، وأكثرها تنحصر في الأمور الدنيوية

أمّا السرعة والعجلة الممدوحتان فهما اللتان يكونان بعد التثبت واتخاذ قرار الشروع بالعمل، والتصميم على التنفيذ، لذلك نقرأ في الروايات: «سارعوا في عمل الخير» أي بعد أن يثبت أن هذا العمل خير فلا مجال للتأخير والتسويف، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا عرض لك شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشداً»^(٢٠٠).^(٢٠١)

قد يظن بعضهم أن النهي عن العجلة المذمومة يعني الدعوة إلى التواني!!، وهذا غير صحيح وسنجيب عليه في نهاية المبحث الرابع.

المَبْتَأُ الثَّانِي: اللَّجَاجَةُ

المهلكة الثانية التي حذر منها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث قيد البحث هي: «اللَّجَاجَةُ»، وسناقشها في المطالب الآتية:

المَطْلَبُ الأوَّلُ: تَعْرِيفُ اللَّجَاجَةِ وَأَدِلَّتُهَا

اللَّجَاجَةُ^(٢٠٢): هي الإصرار الشديد على رأي أو موقفٍ دون دليل شرعي أو تفكيرٍ منطقي، حتى لو تبين خطؤه. وهذا يؤدي إلى العناد المذموم^(٢٠٣) والخصومات التي قد تُوقع الإنسان في المشكلات مع الآخرين.

مثال رقم (١): شخص يناقش قضية علمية، ويثبت له الآخرون بالدليل خطأ رأيه، لكنه يرفض الاعتراف بالخطأ ويستمر في الجدال لمجرد المكابرة.

مثال رقم (٢): زوج يمتنع عن الإنفاق على زوجته رغم أن النفقة واجبة عليه شرعاً، لكنه يُصرّ بعناد على أنه غير مُلزم بذلك، مدعيًا أن الزوجة تعمل أو أن أهلها يستطيعون مساعدتها، دون أي دليل شرعي يبيح له هذا الامتناع. وعندما تُذكره بأن النفقة حق شرعي لها، يستمر في رفضه بلا حجة شرعية صحيحة، بل بناءً على رأيه الشخصي فقط.

لقد نهى الإسلام عن اللجاجة وحذرنا منها، فقد روي عن رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ؛ فَإِنَّ أَوْلَهَا جَهْلٌ وَأَخْرَهَا نَدَامَةٌ». (٢٠٤)

الجهل - في هذا الحديث - لا يعني مجرد نقص المعرفة، بل هو الإصرار على الباطل ورفض الاستماع للعقل والمنطق، حيث يتصرف الإنسان بغير حكمة، متبعاً الهوى والعناد، مما يؤدي به إلى الندم بعد فوات الأوان.

واللجوج الذي يرفض الحق مع علمه به ويسمى جاحداً، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. (٢٠٥)

وهناك بعض الأمثال التي تضرب على اللجوج المعاند على الباطل، منها: «عنزة ولو طارت» الذي يُستخدم للدلالة على الإصرار على الرأي الخاطئ رغم وضوح الحقيقة. تعود قصة المثل إلى شخصين شاهداً جسماً أسود من بعيد، فظن أحدهما أنه غراب، بينما أصر الآخر على أنه عنزة. عندما اقتربا، طار الغراب، فقال الأول: «ألم أقل لك إنه غراب؟» فردّ الآخر بعناد: «عنزة ولو طارت». هذا المثل يُجسّد مفهوم اللجاجة، أي الإصرار على الخطأ والعناد دون مبرر.

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَسْبَابُ اللَّجَاجَةِ

إنَّ أسباب اللجاجة باختصار:

١. الغرور والتكبر: يرفض الشخص الاعتراف بالخطأ خوفاً من فقدان مكانته.
٢. الجهل وقلة الوعي: يتمسك برأيه دون علم أو دليل صحيح.
٣. التعصب: ينحاز لفكرة معينة أو جهة دون تقبل النقاش.
٤. الخوف من التراجع: يخشى الاعتراف بالخطأ لأنه يراه ضعفاً.
٥. الرغبة في إثبات الذات بأسلوب خاطئ: بعض الأشخاص يتمسكون بآرائهم عناداً ظناً أن ذلك يعزز شخصيتهم أو يثبت مكانتهم أمام الآخرين.
٦. سوء التربية والبيئة: نشأ في بيئة تعزز الإصرار بلا مبرر.

٧. المنافسة غير الشريفة: يرفض التراجع ليثبت تفوقه على الآخرين.
 ٨. الانتقام أو العناد الشخصي: يرفض قبول الحق بدافع العداوة أو الكراهية.

المَطْلَبُ الثَّلَاثُ: مَسَاوِيَةُ اللَّجَاةِ

إن الآثار المترتبة على اللجاجة عديدة، نذكر منها الآتي:

١. ضياع الحق: روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: اللجاج بذر الشر «(٢٠٦)»، أي أن العناد والإصرار غير المبرر هو أصل كثير من المشاكل والفساد، ومنها: ضياع الحقوق، لأن الشخص اللجوج يرفض التراجع عن الخطأ أو قبول الحق، مما يؤدي إلى ظلم نفسه أو زوجته وأولاده والآخرين.

٢. إثارة النزاعات: العناد يؤدي إلى الخلافات والمشاحنات بين الأفراد والمجتمعات، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللجاج مثار الحروب». «(٢٠٧)»

٣. الفشل في اتخاذ القرارات: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللجوج لا رأي له» «(٢٠٨)»، أي الشخص العنيد لا يستطيع اتخاذ قرارات صحيحة، لأنه متمسك برأيه حتى لو كان خاطئاً.

٤. الخسائر المادية والمعنوية: روي عن الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّجَاةُ مَسْلَبَةٌ لِلْسَّلَامَةِ، وَمُؤَدِّيَةٌ إِلَى النَّدَامَةِ» «(٢٠٩)»، أي اللجاجة والإصرار على الخطأ، تؤدي إلى فقدان السلامة المادية أو المعنوية.

مثال عن فقدان السلامة المادية: رجل يُنصح بعدم الدخول في مشروع تجاري غير مدروس، لكن بعناده يصرّ على استثماره، رغم تحذيرات الخبراء، فيخسر ماله ويندم لاحقاً.

مثال عن فقدان السلامة المعنوية: شخص يرفض الاستماع لنصائح الأطباء بضرورة علاج مرضه، ويصر بعناد على أنه بصحة جيدة، حتى تتفاقم حالته ويصل إلى مرحلة يصعب علاجها، فيندم حيث لا ينفع الندم.

٥. التراجع الاجتماعي: كثرة الجدال والعناد تجعل الشخص مكروهاً بين الناس؛

لأن « خير الأخلاق أبعدها عن اللجاج » (٢١٠).

٦. الندم لاحقاً: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « اللجاج أكثر الأشياء مضرّة في العاجل والآجل » (٢١١)، أي بعد فوات الأوان، يدرك اللجوج خطأه لكنه لا يستطيع إصلاح ما أفسده فيندم.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: عِلَاجُ اللَّجَاجَةِ

نختصر العلاج بالنقاط الآتية:

١. التواضع وقبول الحق: إن الإنسان لا يمكنه التخلص من اللجاجة إلا إذا أدرك خطأه واقتنع بضرورة قبول الحق، والحق هو ما جاء به منهاج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢١٢)، وهذا هو الأساس في العلاج، لأن قبول الحق يتطلّب التواضع وتحمل مرارته. فقد ورد عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اصبر على مرارة الحق، وإياك أن تنخدع لحلاوة الباطل» (٢١٣)، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الحق منجاة لكل عامل» (٢١٤)، أي أن ترك العناد وقبول الحق فيه نجاتنا.

٢. زيادة الإيمان والوعي والتعلم: كلما ازداد إيمان الإنسان وعمله بتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أدرك خطأ سلوكه المخالف للشريعة، فيزول العناد المذموم، لأن طاعة الشريعة تقضي على اللجاجة.

٣. التفكير قبل الإصرار: التأمل في العواقب يمنع التمسك بالرأي الخاطئ.

٤. الاستشارة وقبول النصيحة: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من استبد برأيه هلك» (٢١٥)، مما يؤكد أهمية سماع آراء الآخرين.

٥. مجاهدة النفس والتخلص من الكبر: اللجاجة غالباً ناتجة عن الكبر، وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أكدوا أن الكبر مفتاح الضلال.

٦. طلب العون من الله بالدعاء: كالدعاء المروي عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: « اللهم صل على محمد وآل محمد، وأرني الحق حقاً فأتبعه، والباطل باطلاً فأجتنبه،

ولا تجعله عليّ متشابها، فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي متبعا لرضاك وطاعتك». (٢١٦)

المَبَكْتُ الثَّالِثُ: العُجْبُ

المهلكة الثالثة التي حذّر منها الإمام علي عليه السّلام في الحديث قيد البحث هي: «العجب»، والتي سنتناولها في المطالب الآتية:

المَطْلَبُ الأوَّلُ: العُجْبُ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

يقول الشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات: «العُجْبُ هو استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفة كمال (٢١٧)، سواء كانت له تلك الصفة في الواقع (٢١٨) أم لا (٢١٩)، وسواء كانت صفة كمال في نفس الأمر (٢٢٠) أم لا (٢٢١)». (٢٢٢)

لقد نهتنا الشريعة عنه في نصوص عديدة، منها:

◇ عن الباقر عليه السّلام: «من دخله العجب هلك». (٢٢٣)

◇ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ!، قَالَ: كَيْفَ أَبَشِّرُ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْذِرُ الصَّادِقِينَ؟!، قَالَ: يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَنِّي أَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَأَعْفُو عَنْ الذَّنْبِ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ أَلَّا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَنْصِبُهُ لِلْحِسَابِ إِلَّا هَلَكَ». (٢٢٤)

والجدير بالذكر: أنّ العُجْبَ الذميمة هو استكثار العمل الصالح، والإدلال به، أمّا السرور به مع التواضع لله تعالى، والشكر له على توفيقه لطاعته، فذلك ممدوح ولا ضير فيه. (٢٢٥)

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَسْبَابُ العُجْبِ

نذكر منها الآتي:

١. الانبهار بالنفس، أو بالعمل: عندما ينبهر الإنسان بعبادته أو أعماله، يتحول هذا الانبهار إلى حجاب يمنعه عن الله، فيظن أنه مستغن عن رحمته، مما قد يقوده إلى الكبر والضلال، كما كان حال إبليس وفرعون. الرؤية الصحيحة للنفس هي إدراك

الفقر الدائم إلى الله، مما يجعل الإنسان يرى أعماله قليلة أمام عظمة رحمته، ويتجنب العُجب الذي يؤدي إلى الاستكبار والضياع.

٢. الجهل بحقيقة النفس: عدم إدراك الإنسان لنقائصه وعيوبه يجعله يظن أنه كامل، مما يؤدي إلى الإعجاب بنفسه.

٣. نسيان فضل الله: عندما ينسى الإنسان أن ما لديه من نِعَم هو بفضل الله، ينسب الفضل لنفسه، فيُعجب بأعماله.

٤. استصغار الذنوب: التقليل من شأن المعاصي والاعتقاد بأنها غير مؤثرة، مما يزيد من شعور العُجب.

الْقَطْلَبُ الثَّلَاثُ: مَسَاوِيءُ الْعُجْبِ

للعُجب أضرارٌ ومساوئٌ:

١- إنه سببُ الأنانيَّة والتكبر، فَمَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ ازدهاه العُجب، وتعالى على الناس، وتجبر عليهم، وذلك يُسبب مقت الناس وهوانهم له.

٢- إنه يعمي صاحبه عن نقائصه ومساوئه، فلا يهتم بتجميل نفسه، وملافاة نقائصه، مما يجعله في غمرة الجهل والتخلف.

٣- العجب يجعل الإنسان يرى طاعاته عظيمة ويفتخر بها، بينما ينسى ذنوبه. وهذا خطر كبير، لأن نسيان الذنوب يمنع التوبة ويعرّض الإنسان لسخط الله. كما أن الإعجاب بالطاعة قد يفسدها، لأن العابد قد لا ينتبه إلى نقصها وعيوبها، مثل: قلة الإخلاص، الرياء، أو الغفلة عن الخشوع، مما قد يمنع قبولها عند الله. (٢٢٦)

الْقَطْلَبُ الرَّابِعُ: عِلَاجُ الْعُجْبِ

ونظره كالآتي (٢٢٧):

١. العلاج العام: يكمن بإدراك أن كل نعمة عند الإنسان هي من الله، فلا يحق له أن يفتخر بها أو يفتخر على الآخرين.

٢. العلاج التفصيلي: التخلص من أسباب العجب من خلال التفكير السليم، وذلك كما يلي:

أ. إن كان العجب بسبب العلم: ينبغي أن يعرف الإنسان أن العلم الحقيقي هو معرفة الله ومعرفة النفس، والإنسان غالباً جاهل بهما. ولو كان عالماً حقاً لازداد خشية وتواضعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. (٢٢٨)

وأن الإنسان مهما تعلم، يبقى علمه محدوداً، والعالم الحقيقي هو الذي يدرك أنه بحاجة دائمة للتعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (٢٢٩)

مثال: عالم متواضع يدرك أن علمه محدود، فيستمر في البحث والتعلم، بينما الجاهل يعجب بنفسه معتقداً أنه يعرف كل شيء.

ب. إن كان العجب بسبب العبادة: الهدف من العبادة هو تحصيل العبودية الحقيقية والتواضع، والعجب بها يفسدها.

علينا أن نتذكر دائماً أن العبادة تحتاج إلى نية صادقة، وأن الإنسان لا يستطيع تأديتها كما يستحق الله، لذا يجب أن يكون متواضعاً.

◆ مثال: شخص يؤدي الصلاة بخشوع ويفتخر بأنه أفضل من غيره، بينما المؤمن الصادق يرى نفسه مقصراً رغم اجتهاده، وله أسوة حسنة بأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ المعروف بتواضعه حتى لقب بـ: (أبي تراب) الذي (كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة). (٢٣٠)

ج. إن كان العجب بسبب العائلة أو الأصل:

النسب ليس مقياساً للشرف، فالفخر الحقيقي بأعمال الإنسان لا بأصوله.

روي أنه افتخر رجلان عند الكلیم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان إلى أن عدّ تسعة، فأوحى الله إلى الكلیم قل له: «كُلُّ التَّسْعَةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ». (٢٣١)

د. إن كان العجب بسبب الجمال:

الجمال سريع الزوال، يتغير مع الحوادث، المرض، الشيب، الهرم، والموت.

بعد الوفاة، يتحول الجسد إلى جيفة قدرة، فكيف يفتخر الإنسان بجمالٍ فان؟،
وصدق الإمام عليّ عليه السَّلام حينما قال: «ما لابن آدم والفخر، وإنما أوله نُطفةٌ مَدْرَةٌ،
وآخره جيفةٌ قَدْرَةٌ، وهو فيما بين ذلك يَحْمِلُ العَدْرَةَ». (٢٣٢)

و. إن كان سببه المال: إن قيمة الإنسان ليست بكثرة ماله، فالمال معرض للضياع
بالغصب، الحرق، الغرق، أو غيرها من الحوادث. والقصور والمركوبات والزينة
وغیرها سنتركها جميعا عند الموت.

كثير من الكفار والمنافقين أغنى من المؤمنين، فهل يعني ذلك أنهم أفضل؟، وكم
ثري مغرور بماله، لكنه لا يستطيع شراء راحة البال أو رضا الله.

نقل أن وحداً من أولاد الملوك افتخر على غلام حكيم، فقال له الغلام: إن كان
فخرك بأبيك فالفخر له، وإن كان من ملبوسك فالشرف له، وإن كان من مركوبك
فالفضل له، ولو أخذ كلَّ حقه لم يبق فيك ما يصلح لافتخارك. (٢٣٣)

ز. إن كان سببه القوة والبطش: فقوة الإنسان ضعيفة جداً أمام الأمراض
والأوجاع. ولو تحرك عرق في جسده، فقد يصبح عاجزاً تماماً، حتى الذباب قد
يسلبه شيئاً من طعامه وصحته ونظافته وراحته ولا يستطيع استرجاعه!

إن الدراسات تؤكد أن هناك حيوانات أقوى منه بكثير، بل حتى بعض الحشرات
كالنمل، مثل: نمل الحقول الأمريكية، يمكنها حمل أوزان تصل إلى ٥٠٠٠ ضعف
وزنها، مما يجعلها أقوى بكثير من الإنسان من حيث نسبة القوة إلى الوزن (٢٣٤)، فلماذا
العُجب بقوة أجسامنا؟

ح. إن كان سببه الأعمال الصالحة: يجب على الإنسان ألا يفتخر بكثرة أعماله
الصالحة، ظناً منه أنه خير من غيره، لأن القبول بيد الله وحده، وقد يكون غيره أكثر
إخلاصاً وتقوى، روي عن الإمام الرضا عليه السَّلام أنه قال: «لا يَتِمُّ عَقْلُ امرئٍ مُسْلِمٍ
حَتَّى تَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ... (فلما وصل للعاشرة) قال عَلَيْهِ السَّلامُ: لا يَرَى أَحَدًا
إِلَّا قَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَتَقَى، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ رَجُلٌ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى وَرَجُلٌ شَرٌّ مِنْهُ
وَأَدْنَى، فَإِذَا لَقِيَ الَّذِي شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى قَالَ لَعَلَّ خَيْرٌ هَذَا بَاطِنٌ وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَخَيْرِي
ظَاهِرٌ وَهُوَ شَرٌّ لِي، وَإِذَا رَأَى الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتَقَى تَوَاضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ، فَإِذَا فَعَلَ

ذَلِكَ فَقَدْ عَلَا مَجْدُهُ وَطَابَ خَيْرُهُ وَحَسُنَ ذِكْرُهُ وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ». (٢٣٥)

الْمَبَكْتُ الرَّابِعُ: التَّوَانِي

المهلكة الرابعة التي حذر منها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث قيد البحث هي: «التواني» الذي يُعَرَّفُ بأنه: التأخير والتسويق في أداء الأعمال بعد وضوحها، مما يؤدي إلى ضياع الفرص والندم. يُعد التواني صفة مذمومة لأنه يعكس تقاعساً وتكاسلاً عن أداء الواجبات في وقتها المناسب.

وستناول صفة التواني بالتفصيل في المطالب الآتية:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: أَسْبَابُ التَّوَانِي

من أبرز هذه الأسباب:

١. الغفلة: الانشغال عن الهدف الأساسي للإنسان، يؤدي إلى إهمال الواجبات والتكاسل في أدائها. قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ويل لمن غلبت عليه الغفلة، فنسي الرحلة ولم يستعد». (٢٣٦)

٢. الكسل: عدم الرغبة في بذل الجهد، مما يؤدي إلى تأجيل الأعمال وتراكمها، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق». (٢٣٧)

٣. اتباع الهوى وطول الأمل: إن اتباع الهوى يؤدي إلى التواني، لأن الانشغال بالشهوات والملذات يجعل الإنسان يؤجل الأعمال المهمة، ويسوّف في أداء الواجبات، مما يسبب ضياع الفرص والندم لاحقاً.

وأيضاً من الأمور التي تدفع إلى التواني والتأجيل هو طول الأمل بالاعتقاد بوجود متسع من الوقت لإنجاز المهام، روي عن قال أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إني أخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يرد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة». (٢٣٨)

٤. الضجر (الملل والسأم): الضجر هو أحد أسباب التواني، لأنه يجعل الإنسان يفقد الحافز للاستمرار في أداء الأعمال، فيؤجلها أو يتركها دون إنجاز.

المطلبُ الثاني: مساوئُ التواني

نذكر منها الآتي:

١. ضياع الفرص: الفرص لا تنتظر، والتردد في اتخاذ القرار بعد وضوحه يؤدي إلى فوات الخير، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الفرصة تمرّ مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير». (٢٣٩)

مثال: شخص يُعرض عليه عمل مناسب، لكنه يتردد في القبول بحجج واهية، حتى يتم توظيف شخص آخر، فيندم على تضييع الفرصة.

٢. تراكم المسؤوليات: كلما تأخرت في إنجاز مهمة، تضاعفت عليك الواجبات حتى تصبح عبئاً ثقيلاً.

مثال: طالب يؤجل دراسته حتى تتراكم عليه الدروس، فيجد نفسه عاجزاً عن الاستعداد للامتحان.

٣. الندم والحسرة: كثيرون يدركون بعد فوات الأوان أنهم أضاعوا وقتهم في التردد والتأجيل.

مثال: شخص يتكاسل عن بر والديه بحجة الانشغال، حتى يفاجأ بوفاة أحدهما دون أن يراه، فيشعر بندم لا يمكن إصلاحه.

٤. ضعف الثقة بالنفس: التواني يزرع في النفس الإحساس بالفشل، لأن الإنسان يعتاد على عدم المبادرة، مما يفقده الثقة بقدراته.

مثال: شخص يريد البدء بمشروع، لكنه يؤجل ويخشى المخاطرة، حتى يرى غيره يحقق النجاح الذي كان يمكن أن يكون له.

٥. التقصير في الطاعات: من يسوّف في أداء العبادات يفقد تدريجياً روحها، وقد ينتهي به الحال إلى تركها. مثال: شخص يؤخر الصلاة بحجة الانشغال، حتى يعتاد على التأخير، وربما ينساها في النهاية.

الْمَطْلَبُ الثَّلَاثُ: عِلَاجُ التَّوَانِي

للعلاج من صفة التواني المذمومة ننصح باتباع النقاط الآتية:

١. تقوية الوعي بأهمية الوقت: العاقل هو الذي يدرك أن العمر محدود، وكل لحظة تمر لا تعود. قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إضاعة الفرصة غصة»^(٢٤٠)، فمن أضاع وقته ندم لاحقاً.

٢. تنظيم الأولويات: ترتيب المهام وفق الأهمية والاستعجال في إنجاز الضروري منها. مثال: طالب يحدد وقتاً ثابتاً للمذاكرة بدل تأجيلها لليلة الامتحان.

٣. التدرّب على الحزم واتخاذ القرار: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي»^(٢٤١)، بمعنى أن النجاح يتحقق بالحزم، لكن الحزم نفسه يحتاج إلى تفكير وتدبر قبل اتخاذ القرار. فلا يكون الحزم مجرد تسرع، بل يجب أن يكون مبنياً على دراسة دقيقة واستشارة، حتى يكون القرار صائباً. مثال: قائد جيش يريد اتخاذ قرار بالتحرك نحو المعركة، فلو استعجل دون استشارة أهل الخبرة، قد يوقع جيشه في الهزيمة. لكن إن فكر جيداً، وناقش خطته مع مستشاريه، ثم قرر بحزم، فإنه يكون أقرب إلى النصر.

٤. الاستعانة بالدعاء والتوكل على الله: ينبغي طلب العون من الله في التغلب على الكسل والتواني، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل»^(٢٤٢).

٥. علاج الضجر: بـ: (تنويع الأساليب) وذلك بتغيير طرق العمل لكسر الروتين، مثل: الدراسة بأسلوب جديد. و (تقسيم المهام) أي إنجاز المهام على مراحل لتجنب الإرهاق والملل. و (الراحة المتوازنة) بأخذ فترات راحة قصيرة دون الإفراط فيها.

٦. مجاهدة النفس وترك التعلق بالراحة الزائدة: ينبغي التغلب على الميل إلى الراحة والتكاسل، فالحياة تحتاج إلى سعي وجهد. مثال: شخص يستيقظ مبكراً للعمل رغم رغبته في النوم الطويل.

رب تساؤل يرد: **هل أن النهي عن التّواني المذموم يعني الدعوة إلى العجلة؟!**

الجواب: في الحقيقة، حينما يحثّ العقل والشريعة على اجتناب التّواني، فليس المقصود بذلك التشجيع على العجلة، لأن كليهما صفتان مذمومتان، وإنما المقصود هو (التّأني). فهناك فرق واضح بين هذه المفاهيم، وللتوضيح نقول:

العجلة تفريط، لأنها تسرّع غير مدروس يسبب الأخطاء.

التّواني إفراط، لأنه تأخير غير مبرر وتسويق بعد وضوح الأمر، مما يؤدي إلى ضياع الفرص والندم.

التّأني هو التوازن بينهما، وهو التروي والتفكير العميق قبل اتخاذ القرار، لضمان الوصول إلى الخيار الصحيح بعيداً عن الاندفاع.

لنطبق هذه المفاهيم على مثال رجل يبحث عن شريكة لحياته:

في حالة العجلة: يعجب الرجل بامرأة فينجذب إليها سريعاً دون أن يسأل عن دينها أو أخلاقها أو طباعها، فيقرر الزواج منها فوراً دون تحرُّر أو استشارة. وبعد الزواج، يُفاجأ بصفات لا تناسبه أو بسلوكيات لا تليق به، فيندم على استعجاله بعد فوات الأوان.

في حالة التواني: بعد أن يعجب بامرأة ويتحقق من صلاحها، يتردد في اتخاذ القرار ويسوّف بلا سبب واضح، مما يؤدي إلى ضياع الفرصة بزواجها من شخص آخر، فيندم على ترده الذي لم يكن له مبرر.

في حالة التّأني: حينما يعجب الرجل بامرأة، لا يندفع في القرار، بل يسأل عن أخلاقها ودينها ومعايير أخرى تجعله يطمئن لاختيارها كزوجة صالحة. وبعد أن يتأكد من صلاحها، يقرر الزواج منها وينفذ قراره بدون تأخير، جامعاً بين التروي والحسم في الوقت المناسب.

✦ القاعدة الذهبية: "اتخذ قرارك في وقته المناسب: لا تستعجل فتصاب بالندم، ولا تتردد فتخسر الفرصة!"

الخلاصة: عند التأمل في المشاكل التي يواجهها الإنسان في حياته العائلية،

الزوجية، أو العملية، يجد أن معظمها ناتج عن المهلكات الأربع: «الْعَجَلَةُ وَاللَّجَاجَةُ وَالْعُجْبُ وَالتَّوَانِي» كالتسرع في اتخاذ القرارات، الإصرار على موقف خاطئ، التفريط في الفرص، أو الإعجاب بالنفس. لذا، يجب مجاهدة النفس لتجنبها، فمن فعل ذلك كان جديراً بعدم الوقوع في تبعاتها.

الْمَبْنُوتُ الْأَخِيرُ: أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْهُوَذَجًا

ومن النماذج البارزة في تجنب هذه المهلكات، صاحب الذكرى: عمران بن عبد المطلب، المعروف بـ: «أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ»، عم النبي محمد صلى الله عليه وآله، والملقب بـ: «ناصر الإسلام».

عند مراجعة سيرته الشريفة، نجد أنها تتضمن العديد من المواقف التي تثبت نزاهته عن الصفات المذمومة، وتعكس فطرته السليمة، وتربيته الصالحة في بيت هاشم، وتأثره بدين إبراهيم، وقربه من النبي محمد صلى الله عليه وآله. إليكم بعض هذه المواقف:

❁ (ما يتعلق بنزاهته عن العجلة): عندما طلبت قريش من أبي طالب أن يكفّ ابن أخيه عن الدعوة، لم يتعجل ولم يتسرع في الرد. بل استدعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واستمع إليه، ثم قال له: «أذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله، لا أسلمك لشيء أبداً»^(٢٤٣).

❁ (ما يتعلق بنزاهته عن اللجاجة): عندما أخبره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأن الله سلط الأرضة على معاهدة قريش، فلم تدع فيها اسماً ومحت الظلم والبهتان، لم تأخذه اللجاجة ولم يتردد لحظة في تصديقه، بل واجه قريش بثقة، قائلاً: «إن كان الحديث كما يقول ابن أخي، فأفيقوا، وإن لم ترجعوا، فوالله لا نسلّمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً، دفعنا إليكم صاحبنا».

فقالوا: قد رضينا بما تقول، وتعاقدوا على ذلك، ثم فتحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

❁ (ما يتعلق بنزاهته عن العجب والتواني): رغم أنه كان شيخ قريش وسيدها، لم يُظهر أبو طالب أي كبر أو عُجب بنفسه، ولم يتوان عن نصرته النبي محمد صلى الله عليه وآله، بل كان يرى أن أعظم شرف له هو أن يكون في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال في شعره متواضعا متحمسا:

حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
وَابْشُرْ بِذَلِكَ وَقَرَّ مِنْكَ عَيْونَا
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينَا
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا^(٢٤٤)

وَاللَّهِ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ

وهكذا، كان أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بحق رجلاً حكيماً، ثابتاً على الحق، ومستحقاً للقب «ناصر الإسلام»؛ لأنه نصر نبي الإسلام، ربّاه صغيراً، وحمّاه كبيراً حتى لحظاته الأخيرة. فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند وفاته: «يا عمّاه! وصلت رحماً، وجزيت خيراً، يا عمّ! فلقد ربّيت، وكفلت صغيراً، ونصرت، وأزرت كبيراً»^(٢٤٥).

ثم توفي سيد البطحاء عن نيّف وثمانين سنة بعد السيّدة خديجة بثلاثة أيّام في شهر رمضان^(٢٤٦).

لقد توجع وحزن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على فقد عمّه أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى سمّى عام رحيله ورحيل السيّدة خديجة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ب: (عام الحزن) وهو العام العاشر من بعثته المباركة، وصدق الشاعر حينما قال^(٢٤٧):

أَحْبَابَهُ الصَّفْوَةَ مِنْ غَالِبِ
يَبْكِي عَلَى فَقْدِ أَبِي طَالِبِ
وَاليَتَمُّ مَكْتُوبٌ مِنَ الْكَاتِبِ
مَنْهُ قَرِيشٌ خَيْفَةُ الرَّاهِبِ
عَصَابَةٌ مِنْ شَانَتْ نَاصِبِ
وَصَارَ لِلهَجْرَةِ بِالرَّاغِبِ

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَبْكِي عَلَى
يَبْكِي عَلَى عَمِّ عَطُوفِ قَضَى
يَبْكِي الَّذِي أَوَاهُ فِي حَجْرِهِ
يَبْكِي عَلَى النَّاصِرِ إِذْ أَوْجَسَتْ
حَتَّى قَضَى فَاسْتَوْحَدَتْ بِأَسْهُ
إِذْ أَظْلَمَتْ مَكَّةُ فِي عَيْنِهِ

وبعد وفاة أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل جبرئيل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلًا له: «ذهب ناصرك، فهاجر»، مُشيرًا إلى دوره العظيم في نصرته الإسلام.

لقد شهد الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بإيمانه قائلًا: «لو وُضِعَ إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه»^(٢٤٨). ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأمر أن يحجَّ عن عبد الله، وأمنة، وأبي طالب، في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحجَّ عنهم.^(٢٤٩) لكن أعداء الحق لم يجدوا ذنبًا له سوى أنه والد عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فافتروا عليه الأكاذيب، ليحطوا من مقام أمير المؤمنين، غير أن التاريخ أنصفه، وثبتت مواقفه التي أضاعت درب الإسلام.^(٢٥٠)

فَسَلَامٌ عَلَى أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ مَاتَ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا
ساعد الله قلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بفقد والده أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ. يروى أنه
رثاه بعد رحيله قائلًا^(٢٥١):

وغيثُ المحول ونورُ الظلمِ
فصلّى عليك وليُّ النعمِ

أبا طالب عصمةُ المستجى
لقد هدّ فقدك أهلَ الحفاظِ

شعر شعبي في رثاء سيد البطحاء أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢٥٢):

يازهرة البيت شعظم مكنونك

ياراعي الحميه وطاهرالاردان

راس وبانفضل كلهم يعرفونك

يصابرعل الاذى وللكفرمادنيث

بيا وجهت شرع كلي يكفرونك؟

ياكافل يتيم الهاشـمين شلون

وتراعيه بخطاه شما مشى عيونك

وانته الدافعت عن النبي المهيبوب

صدگ راعي المحنه يخيب ظنونك!

تدفيه بفراش الرحمة وتداريه

وتكله لاتهاب اللي يريدونك

وتنيمه بوسط جفنك خايف وسهران



رمضان

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ

المُناسِبَةُ

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى عَلَيْهَا السَّلَامُ

القصيدة للشاعر مرتضى الشراي العاملي

فِي الدَّيْنِ صَلَّتْ وَالْإِمَامَ مُحَمَّدُ
 أَوْلَى بِحَبْرِكَ مِنْ بَحَارِ يُرْفَدُ
 بِمَدِيحِهَا غُرُّ الْقِصَائِدِ تُنْشَدُ
 الشَّعْبُ يَشْهَدُ وَالصَّحِيفَةُ تَشْهَدُ
 لِمَا الطَّغَاةُ قَسَوْا عَلَيْهِ وَهَدَدُوا؟!
 هِيَ صَدَقَتْ، هِيَ فِي النِّسَاءِ الْأَجُودُ
 مَا هَكَذَا ثَمْرُ الْفَضَائِلِ يُحْصَدُ
 وَصَفَاءُ قَلْبٍ لِلْهِدَايَةِ يُرْشَدُ
 مَهْدَابُهَا فَجْرُ الرِّسَالَةِ يُوَلَّدُ
 لَمْ تَأَلْ جُهْدًا وَالْأَعَادِي تَجْهَدُ
 أَنَّى إِلَى أَعْلَى السَّمَاءِ سَتَّعِدُ؟!
 إِنَّ الْكَمَالَ بِطَبْعِهِ لَا يُرْفَدُ
 لِمَنْ الْبِتُولُ لَهَا تُشْعُّ وَتُوَلَّدُ
 عَنْ ذِكْرِهَا وَهِيَ الْفَرِيدَةُ يَقْعُدُ!
 فَجْرُ الرِّسَالَةِ قَدْ بَدَأَ يَتَوَقَّدُ
 أَوْى إِلَيْهَا وَانْتَقَاهَا أَحْمَدُ
 بَعْلًا لَهَا إِلَّا الرَّسُولُ مُحَمَّدُ
 هِيَ أُمَّ آلِ الْبَيْتِ وَهُمْ الْحُسَدُ

سَبْعُ مِنَ السَّنَوَاتِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ
 هَذَا خَدِيجَةَ، يَا يِرَاعُ أَلَا انْحَنِ
 تَتَنَفَّسُ الْأَشْعَارُ ذَكَرَ خَدِيجَةَ
 مَنْ مَثَلُهَا أَعْطَى الرِّسَالَةَ مَالَهُ؟
 مَنْ مَثَلُهَا الْحِضْنُ الرَّوْمُ لِأَحْمَدِ
 هِيَ دَثَّرَتْ، هِيَ زَمَلَتْ، هِيَ آمَنْتُ
 مَا صَدَّقْتَهُ لِأَنَّهَا هِيَ زَوْجُهُ
 لَكِنْ هُوَ الْعَشْقُ الْمَقْدَسُ لِلْهَدَى
 وَلِذَا اصْطَفَاهَا الرَّبُّ زَوْجًا لِلْهَدَى
 رَوَّتَهُ عَزْمًا، نَاصَرْتَهُ بِمَالِهَا
 يَا شِعْرُ، هَلْ تَبْغِي مَدِيحَ خَدِيجَةَ؟
 زَوْجُ الرَّسُولِ وَلَا يُثْنِي فَوْقَهَا
 أُمَّ الْبِتُولِ. كَفَى بِهِ مِنْ مَحْتَدِ
 كَمْ مُدَّعٍ عَشِقَ الرَّسُولَ وَإِذْ بِهِ
 عَجَبًا لَهُمْ! وَخَدِيجَةَ فِي حِجْرِهَا
 هِيَ رَابِعُ الْكَمَالِ، أَفْضَلُ زَوْجَةٍ
 بِكْرًا تَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ وَلَمْ يَكُنْ
 لَقَدْ افْتَرَوْا هَذَا عَلَيْهَا أَنَّهَا

حتى أتى اليوم الذي به تلحدُ
أبداً وظلّ لذكرها يتعهدُ
ويردُّ قولَ مسيئةٍ ويفندُ
أمّ الطهارة، للطهارة مقصدُ
فغدتُ على سمعِ الخلودِ تردُّ
طلباً إليك وأنتِ نعم المقصدُ
حُسنِي، وعيشُ في الجنائن أرغدُ
مستهدفون من الأعداء نُضهدُ
كبرى بها الأعناق ظلت تُحصدُ!
فوق الصدور هي الوسامُ الأجدُ
ما طار طيرٌ ثم عاد يغردُ

ظلتُ وحيدة قلبه وفراشه
ظلتُ وحيدة قلبه لم ينسها
بل ظلّ يكرمُ صاحباتِ خديجة
نبع الحنانِ خديجةً، بل بحرهُ
ضمختُ قافيتي بمدحِ خديجة
يا أمّ فاطمة البتولِ وإن لي
تفريجُ همّ طال، ثمّ نهايةُ
ولكلِّ إخواني، فنحن بحبكم
إذ حبُّكم هو من قرونِ تهمة
طوبى لها من تهمة هي فخرنا
مني السلامُ عليكِ زوجِ رسولنا

السَّلَامُ عَلَيْكَ

يَا خَدِجَةَ كَبِيرَةَ

المحاضرة الرابعة

مخاطر التبرج والسفور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. (٢٥٣)

من الآيات القرآنية التي تأمر المرأة برعاية العفة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٢٥٤).

المبكت الأولى: التبرُّج والسفور

لكي نقف على مفهوم الآية الكريمة ينبغي أن نسلط الضوء على بعض مفرداتها. المفردة الأولى التي تحتاج إلى توضيح هي كلمة (التبرج) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾. [٢٥٥].

إن التبرج مأخوذ من البرج، وهو الأمر الظاهر المرتفع، ومعناه: إظهار المرأة زينتها وإبداء محاسنها للرجال (٢٥٦)، مما يستدعي إثارة شهوتهم (٢٥٧). أي أن هناك علاقة بين التزيين والتبرج، فالتزيين بمعنى اتخاذ الزينة لتحسين الشيء وتجميله (٢٥٨). والتبرج: إظهار تلك الزينة للأعمم ممن يحل له النظر إليها أو لا يحل. لذا يذكر الفقهاء بأن التبرج على قسمين:

الأول: ما هو جائز، كتبرج المرأة لزوجها أو تبرجها أمام المحارم من الرجال مع أمن الريبة، أو أمام الصبي والمجنون، أو أمام النساء. (٢٥٩)

الثاني: ما هو محرّم، كتبرج المرأة المسلمة وظهرها أمام الرجال الأجانب بزینتها أو إبداء محاسنها لهم، رغم أن الله تعالى حرّم تزيين المرأة أمام الرجال الأجانب، لقوله

تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾^(٢٦٠)، وهذا النوع المحرم من التبرج قد ذكره تعالى في الآية قيد البحث، ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢٦١)، كذلك أشير في الأحاديث وكتب التفسير.^(٢٦٢)

لكن ما هو المراد من «الجاهلية»؟

يقول السيد ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره للآية قيد البحث^(٢٦٣): (الظاهر أنّها الجاهلية التي كانت في زمان النبي صلى الله عليه وآله، ولم تكن النساء محجّبات حينها كما ورد في التواريخ، وكنّ يلقين أطراف خمرهن على ظهورهنّ مع إظهار نحورهنّ وجزء من صدورهنّ وأقراطهنّ وقد منع القرآن الكريم أزواج النبي من مثل هذه الأعمال.

ولا شك أنّ هذا الحكم عامّ، والتركيز على نساء النبي من باب التأكيد الأشدّ، تماما كما نقول لعالم: أنت عالم فلا تكذب، فلا يعني هذا أنّ الكذب مجاز ومباح للآخرين، بل المراد أنّ العالم ينبغي أن يتّقي هذا العمل بصورة أكد.

إنّ هذا التعبير يبيّن أنّ جاهلية أخرى ستأتي كالجاهلية الأولى التي ذكرها القرآن، ونحن نرى اليوم آثار هذا التنبؤ القرآني في عالم التمدّن المادّي، إلا أنّ المفسّرين القدامى لم يتنبّؤوا ويعلموا بمثل هذا الأمر، لذلك فقد جهدوا في تفسير هذه الكلمة، ولذلك عدّ بعضهم الجاهلية الأولى هي الفاصلة بين «آدم» و«نوح»، أو الفاصلة بين عصر «داود» و«سليمان» حيث كانت النساء تخرج بثياب يتّضح منها البدن، وفسّروا الجاهلية العربية قبل الإسلام بالجاهلية الثانية! ولكن لا حاجة إلى هذه الكلمات كما قلنا، بل الظاهر أنّ الجاهلية الأولى هي الجاهلية قبل الإسلام، والتي أشير إليها في موضع آخر من القرآن الكريم - في الآية (١٤٣) من سورة آل عمران، والآية (٥٠) من سورة المائدة، والآية (٢٦) من سورة الفتح - والجاهلية الثانية هي الجاهلية التي ستكون فيما بعد، كجاهلية عصرنا).^(٢٦٤)

لقد تنبأ المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن ذلك، ومنهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث روى الأصمغ بن نباتة عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «سمعتة يقول: يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة - وهو شر الأزمنة - نسوة كاشفات عاريات، متبرجات من

الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالداً». (٢٦٥)

فالمرأة التي تضع المكياج، أو تركب الرموش والأظافر، أو تصبغها، تُعدّ متبرجة، كما تُسمى أيضاً (سافرة). وكذلك الحال لمن تضع عدسات العين الملونة، أو تنفخ شفيتها، أو ترتدي الملابس الضيقة، أو الشفافة، أو المزخرفة، أو ذات الألوان الجذابة التي تلفت النظر، أو الملابس غير الساترة لأجزاء البدن، فكل ذلك يدخل في نطاق التبرج والسفور.

وكل امرأة تستعرض نفسها، وتظهر زينتها وجمالها للأجانب، أو تقوم بأي فعل يلفت أنظار الرجال، تُوصف بالتبرج والسفور.

قد تقول إحدان: لكن المتعارف عليه لدينا أن السافرة هي من تكشف شعرها أمام الرجال الأجانب، أما التي تستر شعرها بالخمار أو الحجاب، فلا تُعدّ سافرة، حتى لو كانت متبرجة!

الجواب: إن هذا المفهوم غير صحيح، وسيتم توضيحه كالآتي:

السفور لغة: الظهور والوضوح، قال ابن فارس: السين والفاء والراء أصل واحد يدلُّ على الانكشاف والجلء. ومن ذلك السّفَر، سمي بذلك لأنّ الناس ينكشفون عن أماكنهم (٢٦٦).

والسفور بالمعنى الاصطلاحي يشير إلى كشف الوجه أو أي جزء من أجزاء من الجسد دون ستر. ولكن استثنى الفقهاء إلى جواز أن تكشف المرأة عن وجهها وكفيها أمام الأجنبي، بشرط الالتزام ببعض الضوابط، ومنها: عدم الخوف من الوقوع في الحرام، وأن لا يكون الكشف بداعي إيقاع الرجل في النظر المحرم (٢٦٧)، وأن لا يكون مزيناً. وبعضهم أضاف شرطاً آخر وهو: أن لا يكون جمال المرأة لافتاً للنظر. ولكن بعضهم الآخر من الفقهاء كالسيد الخوئي (ره) احتاط وجوباً بستر وجهها بغض النظر عن هذه الشروط. (٢٦٨)

باختصار: السافرة بمعنى (الكاشفة)، ويشمل كل من كشفت جزءاً من أجزاء البدن المحرّم إظهاره أمام الرجال الأجانب، لأن كل جزء منه هو حدّ من حدود الله ووجب على المرأة ستره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾^(٢٦٩)، فتارة المرأة تُسفر -أي تكشف- عن شعر رأسها، وأخرى تُسفر عن جزء من ذراعها أو ساقها، وقد تغطي شعر رأسها وساقها وذراعيها ولكنها تُسفر عن تفاصيل جسدها بلبس الثياب الضيقة، أو تسفر عن زينتها أمام الرجال الأجانب كأن تضع المكياج في وجهها أو تصبغ الأظافر.. فحينها يصح أن نطلق على كل واحدة منها بأنها (سافرة).

غاية الأمر أن هناك تفاوتاً في السفور: فبعض النساء يسفرن عن الكل، وبعضهن يسفرن عن الجزء. لكن النتيجة واحدة. على سبيل المثال: من يُصلي بعض الصلوات ويترك أخرى يُعد تاركاً للصلاة، سواء ترك جميع الصلوات أو بعضها. وبالمثل، من قتل تسعين شخصاً يُسمى قاتلاً، ومن قتل شخصاً واحداً يُسمى قاتلاً أيضاً. فكلمة «المحجبة» لا تُطلق إلا على المرأة التي تلتزم بالحجاب الشرعي الكامل، مع مراعاة جميع الضوابط الشرعية. أما إذا قصرت في هذه الشروط، مثل الخروج متبرجة أو ارتداء الملابس الضيقة، فهي تُعد سافرة.

ولكن مع شديد الأسف في المدة الأخيرة صار الناس يطلقون كلمة «المحجبة» على كل من تضع قطعة قماش على رأسها، حتى لو لم تلتزم ببقية الضوابط الشرعية. وهذا أدى إلى تشجيع بعض النساء على التهاون في هذا الحكم والتجاوز عليه تدريجياً. وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «كَيْفَ بَكُمْ إِذَا فَسَدَتْ نِسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ وَلَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ مُنْكَرٍ قِيلَ وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ فَكَيْفَ بَكُمْ إِذَا أَتَيْتُمُ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمَعْرُوفِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ كَيْفَ بَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا». (٢٧٠)

وأما كلمة المحجبة فلا تطلق إلا على المرأة الملتزمة بالحجاب الشرعي الكامل الذي قد راعت فيه كل الضوابط الشرعية التي ذكرها الفقهاء من كونه ساتراً للبدن المرأة، وخالياً من الزينة، ويكون فضفاضاً عريضاً، ولا يكون من لباس الشهرة، ولا

يترتب على اللباس بعض العناوين المحرمة: كالتشبه بالكفار، أو التشبه بالرجال. وإلا إذا قصرت في بعض هذه الشروط كأن تخرج متبرجة أو ترتدي ثياباً ضيقة وما شابه فهي سافرة حتى لو كانت ساترة لشعر رأسها.

سؤال: هل يُعقل أن نساوي بين السافرة سفوراً كلياً، كمن تُظهر محاسن شعرها وبدنها، وبين السافرة سفوراً جزئياً، كمن تغطي شعرها لكنها تُبرز مفاتن بدننا بارتداء الملابس الضيقة؟

الجواب: من الناحية الشرعية، لا يمكن المساواة المطلقة بين السفور الكلي والجزئي، إذ إنهما يختلفان في الدرجة، لكنها يشتركان في مخالفة أمر الله تعالى، أي أن كليهما عاصيتان.

أمثلة توضيحية على درجات السفور والتبرج:

١. المرأة التي تكشف شعرها وتزين، وتبرز مفاتنها أمام الرجال الأجانب، كمن ترتدي الملابس الضيقة والمجسّمة، تعدّ سافرة ومتبرجة بدرجة (٩) من ١٠.
٢. المرأة التي تغطي شعرها وترتدي ثياباً واسعة وجوارب سميكة، لكنها تضع مساحيق التجميل على وجهها، تعدّ متبرجة بدرجة (٢-٥) من ١٠، حسب نوع وكثافة المكياج.
٣. المرأة التي تغطي شعرها وترتدي ثياباً عريضة، لكنها ترتدي جوارب شفافة تصف قدمها، تُعدّ متبرجة بدرجة (٢) من ١٠.

إذن، التبرج لا يقتصر على كشف الشعر فقط، بل يشمل كل ما يبرز الزينة والمفاتن أمام الأجانب، وعليه فإن العقاب يتفاوت حسب درجة السفور والتبرج، فكلما زادت الدرجة زاد العقاب، سواء كان دنيوياً أو أخروياً.

إنّ هذا التدرج في المسؤولية والعقاب ليس أمراً مستحدثاً، بل هو مبدأ قانوني متعارف عليه في جميع التشريعات. للتوضيح سنذكر أمثلة من القوانين الرسمية:

١. من يرتكب الغش فقط يُعاقب بالسجن لمدة ستة أشهر إلى عامين حسب نوع الغش.
٢. من يغش ويسرق أموالاً كبيرة قد يُحكم عليه بالسجن حتى ١٥ عاماً.
٣. من يغش ويسرق ويقتل يُعاقب بالإعدام أو السجن المؤبد.

وبالمثل، فإن العقوبة الأخروية تتفاوت حسب عدد المخالفات ونوعها، وحجمها، ومدتها، لكنها لا تُرفع تماماً إلا بالتوبة الصادقة.

الْمَبَكْتُ التَّائِبِي: مَخَاطِرُ التَّبَرُّجِ وَالسَّفُورِ

يترتب على التبرج والسفور آثار عديدة، منها آثار دنيوية، ومنها آثار أخروية، ولقد ذكرنا في محاضرة (فلسفة الحجاب) ^(٢٧١) الآثار الدنيوية المحسوسة التي أثبتتها الدراسات والاحصائيات الحديثة، ولكن هناك آثار دنيوية غير محسوسة -لا تدركها الحواس-، وآثار أخروية لا بد من التطرق إليها كتكملة لبحث (فلسفة الحجاب)، وسنذكرهما في المطلبين الآتيين:

المُطَلَبُ الأوَّلُ: الأَثَارُ الدُّنْيَوِيَّةُ غَيْرُ المُحْسُوسَةِ

إن أهم الآثار الدنيوية غير المحسوسة المترتبة على سفور النساء هي كالاتي:

١. اللعن: أي البعد عن رحمة الله -أعاذنا الله وإياكم من غضبه وسخطه- فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "سَيَكُونُ آخِرُ أُمَّتِي نِسَاءً كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ، العَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ" ^(٢٧٢)

وورد اللعن في نص آخر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرَكِبُونَ عَلَى السُّرُوجِ، كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العِجَافِ، العَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ...» ^(٢٧٣).

ومن المعلوم إن الإنسان يكون ملعوناً إذا آذى الله ورسوله بدليل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ^(٢٧٤).

ولا شك أن السفور والتبرج مما ينافي تعاليم الدين، إذ إن المرأة السافرة، منذ خروجها من بيتها دون حجاب شرعي إلى حين عودتها، تكون في حالة إيذاء لله ورسوله وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فإن كانت موظفة، أو طالبة، أو عاملة، فإن مدة هذا الإيذاء تتناسب مع عدد ساعات انكشافها أمام الرجال الأجانب، والتي قد تصل

في العادة إلى ٦-٨ ساعات يومياً.

فكيف لمن تبادت في هذا الأمر أن تُرجى لها رحمة الله، وهي تعيش في حال من المخالفة الصريحة لأوامره؟ أليس من الأولى أن تخشى غضبه وعقوبته، وقد توعد الله من يؤذيه ورسوله باللعنة في الدنيا والآخرة، أي الطرد من رحمته؟!

اعتراض محتمل: كيف يتأذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بسفور النساء وهو في عالم آخر؟

والجواب أن النبي وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على علم بأفعال العباد وأعمالهم اليومية، وهذا ثابت بالنصوص الشرعية التي تؤكد عرض الأعمال عليهم. فقد روي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تعرض الأعمال على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢٧٥) وسكت». ^(٢٧٦)، وهذا يعني أن المرأة المتبرجة والسافرة تبقى ملعونة في كل لحظة من لحظات تبرجها وسفورها، لأنها في حالة عصيان مستمر، وتأثيرها السلبي على المجتمع لا يتوقف، مما يستوجب اللعن والطرد من رحمة الله، كما توعدت بذلك النصوص الشرعية.

٢. التلوث الروحي:

في عالمنا المادي، نجد أن المادة المكشوفة تكون أكثر عرضة للتلوث والتلف، وهذا المبدأ ينطبق تماماً على القلب والروح. خذ على سبيل المثال: قطعة الحديد اللامعة؛ إذا تعرضت للرطوبة والأوساخ، تبدأ بالصدأ والتآكل تدريجياً حتى تفقد بريقها وتضعف قوتها. والأمثلة ذاتها ينطبق على المرأة الصافية التي تعكس النور ببقاء، فإذا تراكمت عليها الأوساخ، فقدت شفافيتها وأصبحت معتمة، فلم تعد تعكس الحقيقة كما كانت.

وهكذا هو القلب الإنساني؛ فهو في أصله طاهر نقي عند الولادة، لكن عندما يصل الإنسان إلى سن التكليف، ويذنب ويعصي تبدأ الذنوب بالتراكم على قلبه،

فتشكل حاجزاً يحجبه عن إدراك الحق، حتى يصبح كالأعمى عن رؤية النور، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢٧٧)، ومن الذنوب التي تلوث القلب وتضعف صفاء الروح: التبرج والسفور، من أجل ذلك أمرنا الله تعالى إلى ضرورة الحجاب لحفظ طهارة القلوب، قال تعالى: [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ].^(٢٧٨)

إن القلب البشري يتأثر بأعماله وبكل ما يحيط به؛ بالكلمة، والنظرة، والاختلاط، والجو الحميم، حتى دون أن يدرك الإنسان ذلك. فالتلوث الروحي غير مرئي لكنه يتراكم تدريجياً، ويظهر أثره مع مرور الوقت على السلوك، والأفعال، والطباع. وهو يشبه المرض الخبيث الذي ينمو في الجسد بصمت، فإن غفل عنه الإنسان استفحل، أما إن أدركه مبكراً، استطاع معالجته قبل أن استفحل أثره.

ويترتب على تلوث القلب بالذنوب الآثار الآتية:

أولاً: قسوة القلب: إن الذنوب المتراكمة - ومنها: التبرج والسفور - ينتج عنها قسوة القلب، ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب"^(٢٧٩)، ومن علامات قسوة القلب الاستخفاف بالصلاة والعبادة، وعدم الرغبة في تعظيم الشعائر الدينية، والميل لسماع الأغاني ورغبة في التمرد على قوانين الله.

ثانياً: زوال البركة: قال الإمام الصادق عليه السلام: «احذروا الذنوب؛ فإن العبد ليذنب فيحبس عنه الرزق»^(٢٨٠)، - وقد ذكرنا في المحاضرة الأولى أثر الذنوب في محو البركة -.

ثالثاً: ضيق الصدر: قد تظنّ المرأة المتبرجة أن إبراز زينتها وكشف محاسنها سيمنحها الشعور بالسعادة والرضا، لكنها سرعان ما تكتشف العكس، إذ تعيش في ضيق نفسي مستمر، يرافقه كثرة الهموم والاضطرابات، وفقدان الإحساس بالراحة والطمأنينة.

وهذا الشعور لا يأتي من فراغ، بل هو نتيجة الإعراض عن ذكر الله من خلال المخالفة العملية لأوامره، حيث أمرها بالحجاب، لكنها خالفته، فانقلبت النتيجة

إلى شقاء نفسي، كما أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. (٢٨١)

رابعاً: الذلة والمهانة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (٢٨٢)، توضح هذه الآية أن من يختار المعصية ويعرض عن طاعة الله يُحرم من الكرامة الإلهية، ويعيش في ذل نفسي واجتماعي في الدنيا، ويكون مصيره الخزي والعذاب في الآخرة. إن المرأة المتبرجة والسافرة تشبه الفقير الذي يستجدي الصدقة من الآخرين، لكنها تستجدي نظرات الإعجاب وكلمات الغزل، فتفقد وقارها وهبتها، وتحوّل إلى محط أنظار غير محترمة، بل قد تتعرض للامتهان في المعاملة وعدم التقدير.

إضافة إلى ذلك، فإن تحليها عن الحياء والعفة يجعلها عرضة لاغتيال الناس، سواء كانوا صالحين أم طالحين، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» (٢٨٣)، وهذا يعني أنها، باختيارها التبرج، تهين نفسها بنفسها قبل أن يهينها الآخرون، فتعيش في ذلة الدنيا، وتلقى إهانة أعظم في الآخرة، حين تقف أمام الله وقد خالفت أوامره.

خامساً: سلب التوفيق: التوفيق الإلهي هو نعمة عظيمة لا تمنح إلا للمتقين، الذين يسيرون على طريق الطاعة ويلتزمون بأوامر الله. أما المتبرجة، فهي تحرم نفسها من هذه الرحمة الخاصة، لأنها اختارت أن تعرض عن أوامر الله، ولم تسع لامتلاك ملكة التقوى التي تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي.

والنتيجة الحتمية لذلك أن الله ينساها ويحجب عنها رحمته وتوفيقه، لأنها نسيت أوامره وتجاوزت حدوده، كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾. (٢٨٤)

٣. تحمّل آثار المتابعين والمقلدين لها: إن المتبرجة والسافرة لا تكتفي بتحمل وزر تبرجها فحسب، بل تتضاعف ذنوبها كلما أثرت بلباسها وسلوكها على غيرها، فأوقعتهم في التقليد والانحراف، قال تعالى: ﴿وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ (٢٨٥)، روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ومن استن سنة حق كان له اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيمة، ومن استن بسنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها

إلى يوم القيامة» (٢٨٦).

مثال حسابي: امرأة متبرجة رأها (٣٠) شخصاً، فتأثر بها (١٠) منهم وقلدنها. كل واحدة منهم أثرت بدورها على (١٠) أخريات. بذلك، تكون المتبرجة الأصلية قد جرت إلى المعصية (١١٠) أشخاص، وهكذا يستمر الأمر إلى يوم القيامة، وكلما زاد عدد المتأثرين، تضاعفت ذنوبها دون أن ينقص من أوزارهم شيء.

٤. تعجيل نزول النقم: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تعجل النقم» (٢٨٧). (لقد حذر المولى عز وجل من المجاهرة بالمعصية والإثم كالتبرج والسفور، ووعد بالانتقام والهلاك والخذلان لكل من يتجرأ على ذلك) (٢٨٨)، حيث قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٨٩).

المطلب الثاني: الآثار الأخروية.

إن من أخطر العواقب المترتبة على التبرج والسفور هي: الآثار الأخروية التي تواجه المرأة بعد موتها وانتقالها إلى دار الحساب، حيث تتجسد أعمال الإنسان هناك بوضوح. ومن هذه الآثار:

العقوبة الأولى: العمى والفضيحة بنزع الستر

الدنيا - كما نعلم - مزرعة الآخرة، وما يفعله الإنسان في حياته الدنيا يتجسد في الآخرة بصورة تناسب عمله، ونذكر منها:

﴿العمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢٩٠)، وهذا يعني أن من أعمت بصيرتها في الدنيا عن الحق، وعاشت في ضلال وغفلة ومعصية، ستُعاقب في الآخرة بنفس جنس عملها، أي ستعمى في الآخرة عن طريق الجنة، وتضل السبيل عنها.

﴿الفضيحة بنزع الستر: إن المرأة السافرة والمتبرجة، التي قصرت في ستر جسدها بالستر الشرعي، كأن ترتدي الثياب الضيقة أو القصيرة - التي تكشف أجزاء من

بدنها-، قد وصفتها الروايات بأنها من (الكاسيات العاريات) ^(٢٩١)، أي أنها تلبس ثياباً لكنها لا تحقق الستر المطلوب، فيكون لباسها أشبه بعدم اللباس، إذ إنه يبرز مفاتنها ومحاسنها للرجال الأجانب، فتكون بمنزلة العارية.

ولذلك، لا تستحق الستر يوم القيامة، بل تُفضح أمام الخلق، مذلولة ومهانة، جزاءً وفاقاً لما كانت تفعله في الدنيا، فهذا هو مصير العاصين غير التائبين.

يا لها من ذلة عظيمة! فقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يُحْشِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عِرَاءٍ» ^(٢٩٢)، بينما المؤمن المتقي سوف يستره الله، ولكن اختلفت الروايات في بيان هذا الستر، فيحتمل أن يستر بالنور، فقد روي عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

حينما سألت أبيها قائلة: «يا أبتِ أخبرني كيف يكون حال الناس يوم القيامة؟». قال صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، يُشْغَلُونَ فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا والد إلى الولد، ولا ولد إلى أمه». قالت: «هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟». قال: «يا فاطمة، تبلى الأكفان وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمنين، وتبدو عورة الكافرين». قالت يا أبتِ ما يستر المؤمنين؟، قالت: «يا أبتِ، ما يستر المؤمنين؟». قال صلى الله عليه وآله: «نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور». ^(٢٩٣)

وهناك حديث آخر مروى عن أبي خديجة عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ السُّتْرَ يَكُونُ بِالْأَكْفَانِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «تَأْنِقُوا فِي الْأَكْفَانِ فَأَنْتُمْ تَبْعَثُونَ بِهَا». ^(٢٩٤) وفي احتجاج الطبرسي قال الزنديق للصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كيف يحشر الناس بالأكفان وقد بليت؟»، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الذي أحى أبدانهم وقد بليت يجدد ^(٢٩٥)." أكفانهم ومن مات بلا كفن ستر الله عورته

الخلاصة: إن الله يستر عورة المؤمن، سواء بالنور أو بالكفن أو بكليهما، في حين يُفضح الفاسق والكافر يوم القيامة، جزاءً لما اقترفوه في الدنيا. ومعلوم أن مصطلح الفاسق يشمل كل من ارتكب الحرام، ومن بينهن السافرة والمتبرجة.

أما المرأة المؤمنة العاقلة، فهي تختار اللباس الذي يسترها في الدنيا والآخرة، والذي يُسمى بـ: (لباس التقوى)، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ^(٢٩٦)،

وثن هذا اللباس هو (التقوى)، أي بالعمل بكل الواجبات وترك كل المحرمات، ومنه ترك السفور والتبرج والالتزام بالستر والحجاب الشرعي الكامل الظاهري والباطني السلوكي.

روى أحد خطباء المنبر الثقات في إحدى القنوات الفضائية أنه قال: ذات ليلة جاءني شاب وحدثني بهذه القضية التي حدثت لنفسه: قال: كانت لي أخت غير محجبة.. وفي عنفوان شبابها فارقت الحياة، وحين الدفن نزلت في قبرها وكشفت عن خدها ووضعتُ على التراب، ثم خرجت من القبر. وبعد أن تمّ الدفن وانتهى كل شيء.. انتبهت الى أن جواز سفري _الذي كان في جيبى الأعلى _ مفقود، وأيقنتُ أنه قد سقط في القبر.. حينما انحنيت على الجنازة لوضع خد أختي على التراب من دون أن انتبه الى ذلك .

والآن.. ما العمل؟ وهل يجوز نبش القبر؟ أستولى علي القلق والحيرة.. وأسرتُ الى دار أحد علماء الدين المعروفين، وذكرت له مشكلتي هذه، وسألته عن حل شرعي لها.

فقال: إن حُرمة نبش القبر انما هي لسبب هتك حُرمة الميت، والآن.. بما أنه لم ينقض على دفن أختك سوى ساعة.. وللضرورة لا مانع من نبش القبر. وأسرتُ الى المقبرة وأخبرتُ حَفار القبور بذلك، فجاءَ ونبشَ القبر.. ولما نزلتُ فيه كانت المفاجأة الغريبة!! فقد وجدتُ جنازة اختي مجردة بلا أكفان!!! ووجدتُ جواز السفر في القبر، فأخذتهُ وخرجتُ من القبر خائفاً مذعوراً!!! وعُدتُ الى دار العالم الديني _الذي أفتى لي بجواز نبش القبر _ وأخبرتهُ بأنني وجدتُ أختي بلا أكفان!!

فسألني: هل أختك سافرة غير محجبة؟ قلتُ: نعم.

قال: هذا هو السبب.. لأن أن المرأة المتبرجة في الدنيا.. إذا وُضعت في قبرها.. لسان حال القبر يُحاطبها قائلاً: يوم كنت جميلة والناس يرغبون فيك.. كنت متبرجة، واليوم وبعد الموت لا يرغب فيك أحد.. صرت مستورة!! ثم يسلب منها الكفن.

وهذا هو السرّ في أنك وجدتُ أختك بلا أكفان. (٢٩٧)

ربّ تسأول يرد: ذكرتم أن القبر يخاطب الميت، فهل القبر يتكلم؟ ولماذا لا نسمعه؟

الجواب: إن كل مخلوقات الله لها لغة وكلام، لكننا لا ندركها بسبب قصور إدراكنا الدنيوي، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾ (٢٩٨) لذا فقد روي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «انَّ للقبر كلاماً في كل يوم يقول: أنا بيت الغربية، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران». (٢٩٩) وروى أيضاً عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «ما من موضع قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود. قال: فاذا دخله عبدٌ مؤمنٌ قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، فسترى ذلك. (٣٠٠). (...). قال: فيفسح له مدّ البصر، ويفتح له باب يرى مقعدة من الجنة

وسبب عدم سماعنا لهذا الكلام في الدنيا هو الغفلة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ فَبَصُرْتُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٣٠١)، ولكن بعد الموت والانتقال إلى عالم الآخرة، تتغير الخصائص الحسية، فيصبح الإنسان قادراً على إدراك أمور لم يكن يدركها في الدنيا، حتى الأشياء الجامدة تنطق وتتكلم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾. (٣٠٢)

العقوبة الثانية: الإحراق بنار جهنم

إن الحياة الدنيا لها أحكامها وقوانينها الخاصة، وكذلك الآخرة لها قوانينها ونشأتها المختلفة، كما أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (٣٠٣) فعند التأمل في نار الآخرة، نجد أن خصائصها تختلف تماماً عن نار الدنيا، فقد ورد في الروايات أن ما في القيامة، الجنة، أو النار، يفوق إدراك البشر، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» (٣٠٤).

ومن أبرز هذه الفروقات:

١. نار الدنيا حمراء أو ما شابهها، بينما نار الآخرة سوداء مظلمة كما تقول الروايات.
٢. نار الدنيا تحرق الظاهر أولاً ثم الباطن، بينما نار الآخرة تبدأ بحرق الباطن ثم تنتقل إلى الخارج، كما قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ﴾ (٣٠٥)

٣. نار الدنيا تحرق كل من وقع فيها دون تمييز. بينما نار الآخرة تفرق بين المؤمن والكافر، فتلتقط الكافر والعاصي دون المؤمن، كما قال تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٠٦)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ (٣٠٧)

٤. نار الدنيا وقودها الحطب أو النفط أو ما شابه. بينما نار الآخرة وقودها الناس والحجارة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ الْحِجَارَةُ﴾ (٣٠٨).

٥. نار الدنيا مهما اشتد لهيبها، فهي باردة مقارنة بنار جهنم. بينما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ نَارِكُمْ هَذِهِ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ أَطْفَأَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْمَاءِ ثُمَّ التَّهَبَتْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ آدَمِي أَنْ يَطِيقَهَا». (٣٠٩)

تأملوا هذا الحديث!

إذا كنا لا نتحمّل أن نضع إصبعنا على وهج نار الشمعة، فكيف بنار جهنم التي تفوق نار الدنيا بسبعين ضعفاً؟! .. اللهم الغوث، الغوث، الغوث، خلّصنا من النار بحق قسيم الجنة والنار!

إن الأدلة التي تثبت أن المرأة السافرة والمتبرجة، إذا لم تتب، ستُعذب في النار، كثيرة، ومن بينها:

﴿ذكر في أمالي الصدوق: في خبر المناهي، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ تَتَزَيَّنَ الْمَرْأَةُ لِغَيْرِ زَوْجِهَا، فَإِنْ فَعَلَتْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عِزُّوْجُلُ أَنْ يَحْرِقَهَا بِالنَّارِ.﴾ (٣١٠)

وفي الفقيه روى الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سمعته يقول: «يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات من الدين خارجات، داخلات في الفتن مائلات إلى الشهوات مسرعات إلى اللذات مستحلاتٍ للمحرمات في جهنم خالداً». (٣١١)

❦ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيَّلَاتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ». (٣١٢)

قد يسأل بعضكم عن بعض معاني الحديث، وهي كالاتي:

- (الْمُتَخَيَّلَاتُ) أي المعجبات المتكبرات، والخيلاء بالضم العجب والتكبر.

- (الغراب الأعصم) هو غراب أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء المتبرجات لأن هذا الوصف في الغربان قليل، وهذا يدل على أن النساء المتبرجات أو السافرات المتهاونات في حجابهن سيدخلن النار ولا يدخلن الجنة إلا القليل منهن، والتي قد تكون قد عذبت وعوقبت في عالم البرزخ، أو في مواقف يوم القيامة الخمسين، أو ربما تدخل نار جهنم ولكن ستنالها الشفاعة بعد عذاب طويل في النار، روي عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه إذا كان يوم القيامة وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار مكث عبد في النار سبعون خريفاً والخريف سبعون سنة، ثم إنه يسأل الله عز وجل ويناديه فيقول: يا رب أسألك بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني. فيوحي الله جل جلاله إلى جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: اهبط إلى عبدي فأخرجه... (إلى آخر الخبر)». (٣١٣)

وحقيقة لا يعلم أن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «سبعون سنة» أهي من سنين الدنيا أم الآخرة، فاليوم الدنيوي الواحد يعادل خمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٣١٤)، نستجير بالله من غضب الله.

العقوبة الثالثة: تعليق المرأة من شعرها وطعامها لحم جسدها

تعليق المرأة من شعرها.. ما أفظعه من مشهد!

هذه المرأة التي اغترت بجمال شعرها، واستخدمته وسيلة للإغراء، وعصت أوامر الله بترك الحجاب، سيُعاقبها الله بنفس السبب الذي عصت به، فيعلق شعرها في النار، ويغلي دماغها من شدة العذاب. يروي لنا العلامة المجلسي في بحار الأنوار بأن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي، ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من نساء أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن.. رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها،..... (إلى أن تقول الرواية) فقالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

: حبيبي وقرة عيني، أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال: يا بني، أما المعلقة بشعرها فأنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال». (٣١٥)

قد يستغرب بعضهم من عبارة «يغلي دماغ رأسها»، لكن هذا أهون عذاب في جهنم! فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار عليه نعلان من نار، وشراكان من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي الرجل، ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه، وما في النار أحد أهون عذاباً منه». (٣١٦)

أختي المتبرجة... تذكري أن العذاب ليس مؤقتاً!

لا تظني أن عذاب النار يستمر لدقائق أو ساعات ثم ينتهي، كما يحدث في الدنيا عندما يحترق الإنسان بالنار فيموت سريعاً! كلا، ففي الآخرة لا موت، بل عذاب دائم ومتجدد، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٣١٧)، حتى مع شدة العذاب، يبقون بحاجة إلى الطعام والشراب، كما قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (٣١٨)، لكن طعامهم وشرابهم -أجارنا الله وإياكم منها-

الضريع والزقوم، وشرابهم الحميم والصدید، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾^(٣١٩)، وأما المرأة المتبرجة السافرة، سيكون طعامها لحم جسدها، بدليل نفس الرواية السابقة المروية عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينما أخبر ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

عذاباً آخر لا امرأة أخرى حين قال: «ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها!!!»، ولما سألته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ عن السبب قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا بني، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فأنها كانت تُزِينُ بدنِها للناس». ^(٣٢٠) مشهدٌ تقشعر منه الأبدان!

تخيّل فقط إنساناً يأكل لحم جسده بيديه! كيف يمكن للإنسان أن يأكل نفسه حياً؟! إنه مشهد يفوق كل تصور بشري.

إن المرأة بطبعها حساسة وعاطفية، لا تحتمل رؤية مشاهد القتل، فكيف بها وهي تقوم بنفسها بتقطيع لحمها، وتضعه في فمها؟!.. نستجير بالله من عذابه.

العقوبة الرابعة: تسليط الحيات والعقارب

إنّ تزين المرأة وتبرجها وكشف مفاتها ليس مجرد سلوك عابر، بل هو إحدى أدوات الشيطان التي يستخدمها لاصطياد الرجال وإيقاعهم في الحرام، سواء بعلاقات غير شرعية، أو بالنظر المحرم، أو باللمس وغيره، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «فالعين زناه النظر، .. واليدان زناهما البطش». ^(٣٢١)

قد تقول بعض النساء: «لم أقصد الإغواء، ولم يكن في نيتي إثارة الفتنة»، ولكن في منظور الشرع، العبرة ليست بالنوايا فقط، بل بالنتائج أيضاً. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» ^(٣٢٢)، (المقصود بمجيئها بصورة شيطان هو الحديث عن خصوص المرأة المتبرجة، باعتبار أنّ تبرجها يلتقي مع ما يرمي إليه الشيطان وما جند نفسه لأجله منذ أن طرد من الجنة، وهي مهمة إغواء الإنسان). ^(٣٢٣)

وكما أنها استخدمت جسدها في إغواء الرجال، فإن العقوبة تأتي من جنس الفعل، فيُسلط عليها حيات وعقارب لا تُقارن بما نعرفه في الدنيا، كما روي عن سعيد بن جبير: «حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة يجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً». (٣٢٤) لذا يجب على المرأة أن لا تستخف بهذه العقوبات التي ستلاحقها في الآخرة ابتداءً من عالم البرزخ.

(روي أحد الثقات أن ابنتهم الشابة، بعد وفاتها، كانوا يرونها في الرؤى تشكو من عقرب يأتيها يومياً ليلدغ أصابع قدميها، فتتألم بشدة. وبعد تكرار هذه الرؤى، ذهبوا إلى أحد العلماء يسألونه. فقال لهم: هل كانت ابنتكم محجبة؟ قالوا: نعم. فسألهم: هل كانت ترتدي الجورب عند خروجها؟ قالوا: لا. فقال: فهذا هو السبب!). (٣٢٥) أعادنا الله منها بحق محمد وآل محمد.

الْمَبْنَتْ التَّالِيَةُ: الْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ

بعد أن أطلعنا على بعض مخاطر التبرج والسفور، فإن العقل والشرع يحكمان بضرورة دفع الضرر وتجنب العواقب الوخيمة، وذلك لا يكون إلا بالرجوع إلى الله، ونصح باتباع النقاط الآتية:

١. **الاستغفار والتوبة:** إن أول خطوة نقوم بها لننال رضا الله تعالى، ورضا محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو الاستغفار والتوبة، وهذا ما صرح به تعالى في نهاية الآية الحادية والثلاثين من سورة النور المختصة بأحكام العفة والستر والحجاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي أن الله يأمرنا بأن نتوب إليه، وبالأخص المتبرجة والسافرة والمقصرة في حجابها؛ لأن توبتها ستكون واجبة، والتوبة هي الندم على المعصية، والعزم على ترك المعاودة؛ والالتزام بأحكام العفة والستر والحجاب الشرعي الكامل.

وهذه الخطوة كي تتحقق وجب أن لا تيأس العاصية من روح الله؛ لأن الله غفور

رحيم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (٣٢٦)

٢. الابتعاد عن صديقات السوء: ينبغي الابتعاد عن رفقة الصديقات اللاتي يزيّن المعصية بأنها حسنة، كمن تحب إلى المرأة التبرج والسفور أمام الرجال الأجانب، فقد سئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: أي صاحب شر؟ قال: «المزيّن لك معصية الله» (٣٢٧). واعلمي أن صديقة السوء لن تكون عوناً لك يوم القيامة، بل ستحوّل إلى عدوّ لك، لذا ينبغي الحرص على اختيار الصديقة المؤمنة، التقية، العفيفة، وهذا ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾. (٣٢٨)

٣. المحاسبة والمراقبة: ينبغي محاسبة ومراقبة أنفسنا وبناتنا لكون الإنسان معرض للزلل، ومع الأسف نجد بعض الميرين -كبعض الآباء والأمهات- يمدحون ابنتهم لما تخرج متبرجة ومرتزينة، كقولهم: (الله ... ما هذا الجمال!!)، في حين أن كلامهم هذا يشجعها على الفسوق، ويكونوا آثمين لأنهم راضون بعملها المحرّم، فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم». (٣٢٩)

٤. الاقتداء ببنات الوحي والرسالة: وعلى رأسهن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، التي ثبت أنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأيضاً الاقتداء بابنتها العقيلة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، والاقتداء بأمها خديجة بنت خويلد التي روي أنها من أكمل نساء الدنيا، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله». (٣٣٠)

لقد كانت عَلَيْهَا السَّلَامُ من أعف النساء وأطهرهن حتى لقبت بـ: (الطاهرة)، وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّقت بها جاء من الله ووازرته على أمره (٣٣١). وقد شيد الله دينه بهال خديجة كما قال صلى الله عليه وآله: «ما قام ولا

استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب» (٣٣٢).

كانت خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ تقوم بأدوار بطولية ورسالية، لا سيما في أصعب الظروف التي مرت به صلى الله عليه وآله، فكانت مؤنسته عندما يرجع إلى بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فتزِيل عنه الهموم والغموم والآلام، وتستقبله بالحب، وتسمعه أجمل الكلمات التي من شأنها أن تذهب عنه الآلام والجراح التي تحمّلها لأجل نشر هذه الرسالة الخالدة العظيمة، فقد روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ما اغتممت بغمّ أيام حياة أبي طالب وخديجة» (٣٣٣).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجلبها في حياتها وحتى بعد وفاتها، ويعتز بها ويقدر مواقفها المشرفة، كما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يا خديجة إن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مرارا» (٣٣٤)، وروي ابن هشام في سيرته (٣٣٥) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لم يرزقني الله زوجة أفضل من خديجة أبداً».

وذكر ابن الجوزي في تاريخه (٣٣٦) عن عائشة: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ

فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد الناس».

أقامت عَلَيْهَا السَّلَامُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أربعاً وعشرين سنة وشهراً، ولم يتزوج غيرها، إلا بعد أن توفيت عَلَيْهَا السَّلَامُ (٣٣٧).

وجاء في كتاب شجرة طوبى: «ولما مرضت خديجة المرضة التي توفيت فيها حضرتها أسماء بنت عميس، قالت أسماء: حضرت وفاة خديجة فبكت، فقلت: أتبكين وأنت سيّدة نساء العالمين (٣٣٨)، وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله، مبشرة على لسانه بالجنة؟ فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرّها، وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثه عهد بصبا، وأخاف

أن لا يكون لها من يتولَّى أمرها، فقلت: يا سيدتي! لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فلمَّا كانت ليلة زفاف فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمر النساء فخرجن، فقالت أسماء: فبقيت أنا، فلمَّا رأى رسول الله سوادِي قال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس، فقال: ألم آمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، وما قصدت خلافاً، ولكنني أعطيت خديجة عهداً هكذا، فبكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله، فدعا لي.

أيها المؤمنون، يعزُّ على خديجة لو كانت حاضرة وتسمع أنين قرَّة عينها فاطمة بين الحائط والباب، حين عصروها، وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها، وسودوا متنها، ولطموا خدَّها، فإنا الله وإنا إليه راجعون.

قال الراوي: ولما اشتدَّ مرضها قالت: يا رسول الله! اسمع وصاياي أولاً: فإني قاصرة في حقك، فأعفني يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله: حاشا وكلا، ما رأيت منك تقصيراً، فقد بلغت جهدك، وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت أموالك وصرفت في سبيل الله جميع مالك، قالت: يا رسول الله! الوصية الثانية: أوصيك بهذه - وأشارت إلى فاطمة - فإنها غريبة من بعدي، فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدَّها، ولا يصحن في وجهها، ولا يرينها مكروهاً.

أقول: يعزُّ على خديجة لو كانت حاضرة حين لطمها فلان حتى أثرت اللطمة في خدَّها، وتناثر قرطاهها. وصدق الشاعر حينما نعى الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في أبوذيتها:

عصرها أو نكر كل حكاها ولاها
ابسقر طاح الكسر ضلع الزجيه

او مثل امصيبتي ما سدت واجرت
او علي كادوه وأنه انغشه اعليه

الزهره ابدفعته الظالم ولاها
العدو منه النبي اتبره ولاها

سطرني او دم تسيل العين واجرت
ابني والضلع والباب واجرت

قالت خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَأَمَّا الوصية الثالثة فإني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإني مستحية منك يا رسول الله، فقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخرج من الحجرة، فدعت فاطمة وقالت: يا حبيبتي وقرّة عيني قولي لأبيك إن أُمّي تقول أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفني فيه، فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً، فلما توفيت خديجة أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرائيل وقال: يا رسول الله إن الله يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمد إن كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدها الله إليها، فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبها جاء به جبرائيل ثانياً، فكان لها كفنان، كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣٣٩).

وكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُمي العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعام الحزن (٣٤٠).

ذكرت المصادر أن السيدة خديجة توفيت في السنة العاشرة للبعثة وقبل الهجرة من مكة إلى المدينة بثلاث سنين. (٣٤١) عن عمر - حسب أكثر المصادر - ناهز الخامسة والستين. (٣٤٢) وقال ابن سعد نفسه وغيره من الباحثين: إنها توفيت في شهر رمضان من السنة العاشرة. (٣٤٣)

وعند دفنها نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في مقبرة الحجون (٣٤٤). (٣٤٥)

فَسَلَامٌ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى يَوْمَ وُلِدَتْ، وَيَوْمَ مَاتَتْ، وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيَّةً.

أبوذية بمناسبة وفاة السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ:

تشيب الراس لمن تمر مره
واخذ منه خديجة بهل مسيه

النوايب ابد ماتراد مره
ومحمد عام هذا الحزن مره

ساعد الله قلب ابنتها الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ترى ما هو لسان حالها حينما فقدت
أمها السيدة خديجة؟!

وعيني لا غفت عكج (ونامت)
ولا اشوفج طريحة ابين ادييه

ابحضنج زهرتي شبت (ونامت)
وريته ينكضي عمري (واناميت)

ولا طيفج يفاركني (واناحي)
يمه فركتج صعبت عليه

عليج ابچاي ما يفتر (ونوحاي)
روحي عودها ببس (واناحي)

واشوفن همي بعيوني واردها
غياجج ذبل اسنيني الزهيه

سوالف عشرتج راحت واردها
حياتي انتي يايه وردها

ولا واحد نشد عني وسألني
وظلت دمعتي ابعجج جريه (٣٤٦)

غياجج غير احوالي وسلني
الفرح يايه فارقتي وسلني

سَيِّدَةُ نِسَاءٍ كَثِيرَةٍ



١٢ رمضان

الْوَأخَاءُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ



المُنَاسِبَةُ

المُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

القصيدة للشاعرة: سحر الخفاجي

وما حوته من الاخبار والكتب
في يوم مولده مفاخر الرتب
فهل لمولده في البيت من ريب
راس الفضائل عند البيت في رجب
من جدّه اسدٌ ومن اخوه نبي؟
من مثله فارس الهيحاء في الكرب
تنبيك انباءه ضربا من العجب
في حدّه الفرق بين الحيّ والعطب
عند الركوع مشيرا من فداه ابي
آخاه في يثرب هل ذا من الكذب؟
يروى الظما كأسه من كوثر عذب
من كان نفس النبي صدقا بلا كذب
فارق اهل الجنان عن أهلي اللهب
كالشمس بازغة رغما عن الحجب
فازداد حبا وميض النور كالشهب
اعلاه رب العلى عن ذلك الثلب
شمس وما ضره الغريال ذو الثقب
من باب منزله ما سدّ كالغرب
في مدحه هل اتى حينا من الحقب
ما مثل ذا شرف في القرب والنسب
صلى قبيل الورى اذ ذاك وهو صبي
للمؤمنين امير الفرس والعرب

جفا يراعي بحور الشعر والادب
وسال دمعي شوقا للذي ولدت
حيث الجدار الذي قد بات منشطرا
وهل سواه ترى قد زان مولده
من ذا ينافسه في حسن منبته
ومن سواه فتى للحرب يأنسها
سل عنه بدرا ومن خيبر تخبره
سل عنه من غيره وذو الفقار له
سل عنه من يا ترى زكى بخاتمه
سل عنه من ذا الذي المختار عانقه
سل عنه من ساقى الابرار ان وردوا
سل عنه نجران اذ راموا مباهلة
سل عنه من ذا الذي في الحشر وقفه
سل عنه من مثله اضحت فضائله
سل عنه ما سر من غالوا احبته
سل عنه من كلما صاغوا له مثلبا
سل عنه من مثله أخضوا مناقبه
سل عنه من مثله في العلم منزلة
سل عنه من مثله الايات منزلة
سل عنه من مثله المختار قربه
سل عنه من اول الاقوام اسلامه
سل عنه من مثله يوم الغدير غدا

مَنْ كَفَّوهُ فَاطِمٌ أَكْرَمَ بِذَا الْحَسَبِ
 سَادَا شَبَابِ الْجَنَانِ يَا سَعْدَهُ مِنْ أَبِ
 فَهُوَ الْعَلِيِّ الَّذِي يَعْلُوا عَلَى الرَّتَبِ
 وَمَنْ تَرَى مَرْحَبًا ارْدَاهُ فِي الْعَطَبِ
 مَسْتَسْمَكٌ بِيَدِ كَشَافَةِ الْكَرْبِ
 فُرُشُ النَّبِيِّ إِذَا يُفْدِيهِ مِنْ طَلَبِ
 وَفَارَسٌ يَوْمَهُ كَاللَيْثِ إِذْ يَثْبُ
 حَازَ الْفَضَائِلَ فِي حِلَالِهَا الْقُشْبِ
 يَخْتَالُ فَخْرًا عَلَى اللَّجِينِ وَالذَّهَبِ
 اجْعَلْهُ وَرْدِي إِذَا اجْزَلْتَ فِي ادْبِي
 وَاغْضُرْنَا مَا مَضَى يَا مَوْئِلَ الْإِرْبِ

سَلْ عَنْهُ مِنْ مِثْلِهِ وَاللَّهُ زَوْجَهُ
 سَلْ عَنْهُ مِنْ مِثْلِهِ الْحَسَنَانَ أَشْبَاهَهُ
 سَلْ عَنْهُ مِنْ مِثْلِهِ الْعُلِيَاءَ مَنْزِلَهُ
 سَلْ عَنْهُ مِنْ حَطَمِ الْأَصْنَامِ يَلْكَزْهَا
 سَلْ عَنْهُ مِنْ ذَا الَّذِي صَارَ مِنْهُ دَائِمًا
 سَلْ عَنْهُ مِنْ ذَا الَّذِي يَبِيْتُ مَفْتَرِشًا
 سَلْ عَنْهُ مِنْ رَاهِبٍ فِي لَيْلِهِ عَابِدٌ
 سَلْ عَنْهُ أَوْلَا تَسَلُ فَلَنْ تَرَى أَحَدًا
 أَبُو تَرَابٍ وَقَدْ بَاتَ التُّرَابُ بِهِ
 رَبُّ بِحَقِّ الَّذِي فِي الْبَيْتِ مَوْلَدُهُ
 وَاجْعَلْ جَوَارِي لَهْ فِي الْخُلْدِ مَكْرَمَةً



المحاضرة الخامسة

أسرار الدعاء بين الاستجابة والمنع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
 فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. (٣٤٧)

عند استقراء النصوص الشرعية، نجد العديد منها تحث الإنسان على الدعاء وتعهده بالاستجابة، كما في الآية محل البحث، وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (٣٤٨)

وهنا قد يتساءل الكثيرون عند قراءة هاتين الآيتين: لماذا ندعو الله ولا نرى استجابة؟، فنحن نرفع أيدينا إليه مرارًا، نطلب قضاء حوائجنا وحل مشكلاتنا، ولكن لا تتحقق بعض دعواتنا، فما السبب؟

(إن الذي يدعو بالحاح ولا تُستجاب دعوته قد يُبتلى بسوء الظن بالله تعالى. وبعض الناس يلجؤون إلى الدعاء حتى عند زيارة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حينما يشدون الرحال إلى هذه الأماكن الطاهرة، ومع ذلك قد لا تُستجاب دعوتهم. بل إن بعضهم قد يعود من الزيارة ليجد أن مشكلته ازدادت تعقيدًا، فيعرض عن الله ورسوله وأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دون أن يدرك أن هناك أسبابًا قد تؤدي إلى تأخر استجابة الدعاء أو منعه. لذا، ينبغي للمؤمن أن يتأمل في أحواله بدقة ووعي..). (٣٤٩) وأن يبحث عن الأسباب التي حجبت دعائه، وما هي الأمور التي ينبغي علينا القيام بها ليكون دعاؤنا مستجابًا!!

في هذه المحاضرة، سنكشف أسرار القبول والمنع، ونتأمل كيف نزيل العوائق التي تحول بيننا وبين استجابة الدعاء، لنكون أقرب إلى رحمة الله وعطائه.

الْمَبَكْتُ الْأَوَّلُ: سُنَنُ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

الدعاء وسيلة عظيمة يتقرب بها العبد إلى ربه، وهو باب مفتوح لنيل رحمته وعطائه. ومع ذلك، فإن استجابته لا تجري بعشوائية، بل تحكمها سنن وقوانين إلهية ثابتة، كما قال تعالى: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. (٣٥٠)

ومن سنن الله في الكون أن نظامه قائم على الأسباب والمسببات، فلا يتحقق أي أثر إلا بوجود العلة التامة، التي تتكوّن من المقتضي، وتوفر الشرط، وانتفاء المانع.

❖ المقتضي هو العنصر الأساسي الذي يمتلك القابلية للتأثير، ومن أمثلته: النار هي المقتضي للإحراق، وشرب الماء هو المقتضي لرفع العطش، والدواء هو المقتضي للشفاء.

لكن وجود المقتضي وحده لا يكفي ما لم تتحقق الشروط وينتفي المانع. فعلى سبيل المثال: لا تحترق الورقة إلا إذا اجتمعت العلة التامة، وهي: وجود النار كمقتضي، واقترابها من الورقة كشرط، وانتفاء المانع، مثل: الرطوبة التي قد تمنع الاشتعال.

وهذا القانون ينطبق على استجابة الدعاء، إذ لا يُستجاب الدعاء إلا إذا توفر المقتضي، وتحققت الشروط، وانتفت الموانع. فمن أدرك هذه القاعدة، عرف أسرار القبول، وسلك طريق الاستجابة بيقين وثقة.

وهنا يطرح السؤال نفسه: ما هو المقتضي والشروط التي ينبغي توفرها؟ وما هي الموانع التي يجب رفعها لكي يُستجاب دعاؤنا؟

سنجيب عن هذا التساؤل عبر عدة مباحث، وسنبداً في هذا المبحث بتوضيح «مقتضي الدعاء».

❖ المقتضي هو ذات الدعاء، أي أن استجابة الدعاء تتطلب تحقق الدعاء نفسه، فهو السبب الأولي لحدوث الأثر، كما قال تعالى: ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٣٥١)، ولقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣٥٢)،

وهذا يدل بوضوح على أن الدعاء هو السبب والمقتضي الأول للاستجابة.

(إنَّ الدعاء في العرف العام هو طلب توجه المدعو نحو الداعي، كما يُقال: «دعا زيدٌ عمرًا»، أي ناداه ليستجيب له. وبالقياس على ذلك، دعاء الله تعالى هو طلب توجهه عز وجل نحو الداعي، واستجابته له). (٣٥٣)

وبناءً على ذلك، إذا لم يدعُ الإنسان، فلن يُستجاب له، لأن الدعاء نفسه هو شرط جوهرى للاستجابة.

قد يتبادر إلى الأذهان سؤال: «لماذا ندعو الله وهو سبحانه يعلم حاجتنا وأحوالنا قبل أن نسأله؟»

الجواب: الله تعالى هو العالم المطلق، كما قال في كتابه الكريم: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٣٥٤)، وهو يرزق الجميع بلا استثناء، سواء طلبوا منه أم لم يطلبوا، فيمنح العافية، والرزق، والأمان، والماء، والهواء وغيرها من النعم التي لا تُحصى للمؤمن والكافر على حدٍ سواء.

ومع ذلك، فإن للدعاء حكماً وأسراراً عديدة، منها:

١. الدعاء أمر إلهي: جاءت النصوص الشرعية الكثيرة التي تحث على الدعاء، حتى ورد أنه «أفضل العبادة» (٣٥٥)، فنحن مأمورون بطاعة الله حتى لو لم ندرك العلة الكاملة لذلك، لأن في امتثال أمره الخير لنا.

٢. محبة الله لسماع دعاء عباده: إن الله سبحانه حين يأمرنا بالدعاء، فذلك لأنه يحبنا، فالإنسان إذا أحب شخصاً، أراد سماع صوته والتواصل معه، بينما إذا كرهه، فإنه لا يرغب في سماعه. والمؤمن يحب ما يحبه الله، ومن ذلك أن يبث حاجاته إليه. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، لكنه يحب أن تبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم حاجتك». (٣٥٦). (٣٥٧)

٣. الدعاء جزء من نظام الأسباب والمسببات: جعل الله الكون قائماً على نظام الأسباب، ومن هذه الأسباب التي تتحقق بها حاجات الإنسان: السعي والعمل، والتوسل بأهل البيت عليهم السلام، والاستغفار والتوبة، والإكثار من شكر الله، والصدقة. وأحد أهم هذه الأسباب هو: الدعاء والتضرع إلى الله.

فهناك نِعَمٌ لا تُتَالُ إلا بالدعاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣٥٨)، أي أن الله يُؤلي اهتمامه بعباده بقدر توجههم إليه، فإن تركوا الدعاء والعبادة، صاروا بلا قيمة في ميزان الحق.

٤. الدعاء يُحقق العبودية لله: الله سبحانه غنيٌّ عن دعائنا، ولكن مصلحتنا تكمن فيه، فهو يعلم الإنسان التوكل عليه، ويجعله يدرك ضعفه وعجزه أمام قدرة الله، ويشعر بحاجته الدائمة إليه، مما يعزز روح العبودية الحقيقية. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣٥٩)، فحين يدعو الإنسان ربه، يلجأ إليه بقلب خاشع، مدركاً أن كل الأسباب بيده وحده.

إذن، الدعاء ليس مجرد وسيلة لقضاء الحاجات، بل هو منهج تربوي يُقوي الإيمان، ويعزز التوكل، ويجدد الصلة بالله سبحانه، ليظل القلب معلقاً به في كل الأحوال.

لكن الدعاء وحده لا يكفي ما لم تتحقق الشروط وينتفي المانع. و(في الآية الشريفة تلميح لبعض شروط الدعاء التي إذا توفرت تجعل الدعاء مستجاباً)^(٣٦٠)، وهذا سنتطرق إليه في المبحث الآتي:

الْمَبْتَأُ الثَّانِي: شُرُوطُ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

(لاستجابة الدعاء شروط مذكورة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وهي تنقسم إلى شروط الصحة، فلا يستجاب الدعاء بدونها، وشروط الكمال).^(٣٦١)

وسنطرح الشروط في هذين المطلبين:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: شُرُوطُ صِحَّةِ الدُّعَاءِ

شروط صحة الدعاء هي المعايير الأساسية التي يجب أن تتوفر لكي يكون الدعاء صحيحاً ومؤهلاً للاستجابة.

عند تأمل الآية الكريمة: ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانَ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^(٣٦٢)، نجد أنها تشير بوضوح إلى بعض شروط صحة الدعاء، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. **حضور القلب والإخلاص في الدعاء**: يشير قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَانَ﴾ إلى ضرورة أن يكون الدعاء صادراً عن توجه صادق وخالص إلى الله تعالى، لا مجرد ألفاظ ترددها الألسن دون وعي. فالدعاء الذي تُرجى استجابته هو الدعاء النابع من القلب، وليس الدعاء الذي يُقال بلسان غافل لا يعي معانيه. جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقبل الله عز وجل دعاء قلب لاه»^(٣٦٣)، وعن الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة»^(٣٦٤).

وحينما نأتي للواقع نجد كثيراً ما يُردّد الناس الدعاء والذهن شارد، منشغل بالتلفاز، أو بأحاديث الآخرين، أو غارق في هموم الدنيا، فلا يعي الداعي ما ينطق به. ولو تأمل أحدنا كيف يكون حاله لو وقف أمام شخصية مرموقة يرجو قضاء حاجته، لرأيناه بكامل انتباهه وخشوعه، فكيف إذا بالمناجاة بين يدي ملك الملوك، الذي بيده كل شيء؟

لذا ينبغي للداعي أن ينقطع إلى الله تعالى ويضطر إليه، فتستجاب دعوته، كما وعد تبارك وتعالى بذلك في قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٣٦٥).

٢. **الإيمان بالله وقدرته على الإجابة**: هذا الشرط مستنتج من قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، أي أن الاستجابة مشروطة بالإيمان بالله وعدم الشك في قدرته على الاستجابة. حيث لا يرى العبد سبباً في التأثير والإجابة وقضاء الحاجة غير الله سبحانه وتعالى. جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة»^(٣٦٦).

فإن الدعاء لا يُستجاب إذا كان صاحبه غير موقن بالإجابة أو كان يشك فيها. بل يجب أن يكون مقروناً باليقين بقدره الله على تحقيق ما يُسأل، كما في الخبر المروي

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: «أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً أكنت تثق به مني؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله أليس الله عز وجل يقول: إِذَا سَأَلَكَ...» (٣٦٧)

٣. **اشتراط الاستجابة لأوامر الله تعالى:** يُستنبط هذا الشرط من قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (٣٦٨)، فكأن الآية تقرّر: إن الله تعالى يستجيب دعاء العباد، ولا بدّ للعباد أن يستجيبوا له فيما يدعوهم إليه، ودعاؤه تعالى العباد هو الإيمان به والعمل الصالح. أي على العبد أن يلتزم بطاعة الله وأوامره، وهذا شرط قوي لقبول الدعاء، وفي الحديث القدسي أن الله أوحى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا داود، إنه ليس عبد من عبادي يطعني فيما أمره إلا أعطيته قبل أن يسألني، وأستجيب له» (٣٦٩).

ومن ثمّ ورد في الروايات أن الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر (٣٧٠)، وأن دعوة أكل الحرام، وأكل السحت محجوبة، وكذا دعاء الظالم، وقاطع الرحم كما سنوضح ذلك في المبحث القادم.

المَطْلَبُ الثَّانِي: شُرُوطُ الكَمَالِ

شروط الكمال هي الشروط التي لا تبطل الدعاء بتركها، لكنها تؤثر في درجته وكماله وثوابه. والشروط عديدة، نذكر منها الآتي:

- ١- الطهارة من الحدث والخبث. ٢- استقبال القبلة. ٣- خضوع القلب ورقته والبكاء والتباكّي، والتضرع ومدّ اليدين. ٤- الابتداء بالثناء على الله، والمدح له، ثم الإقرار بالذنوب. ٥- الإلحاح بالدعاء. ٦- البكاء حال الدعاء. ٧- الصدقة قبل الدعاء. ٨- الاجتماع في الدعاء. ٩- الدعاء للإخوان. ١٠- رفع اليدين. ١١- الدعاء عند السحر، وقبل طلوع الشمس وغروبها. ١٢- الدعاء عند قراءة القرآن، والأذان، ونزول المطر. ١٣- مداومة الدعاء في الرخاء والشدة، والإلحاح في الدعاء. ١٤- عدم القنوط واليأس. ١٥- الدعاء في الأمكنة الشريفة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمراقد المقدّسة للأئمة الأطهار وخصوصاً تحت قبة سيد الشهداء

عَلَيْهِ السَّلَامُ. ١٦- الصدقة، وشمّ الطيب، والذهاب إلى المسجد: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كان أبي إذا طلب الحاجة.. قدّم شيئاً فتصدق به، وشمّ شيئاً من طيب، وراح إلى المسجد». (٣٧١)

١٦- عند الدعاء نقدّم الصلاة على محمّد وآل محمد على الحاجة ونختم بها. ومن جميل ما روي في هذا المقام عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مقبولة، ولم يكن الله ليقبل بعض الدعاء ويرد بعضاً». (٣٧٢)

١٧- التوسل بمحمد وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: روي عن سماعة بن مهران، قال: قال لي أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا كان لك يا سماعة عند الله حاجة فقل: اللهم إني أسألك بحق محمّد وعلي، فإن لهما عندك شأناً من الشأن، وقدراً من القدر، فبحق ذلك الشأن وبحق ذلك القدر أن تصليّ على محمّد وآل محمّد وأن تفعل بي كذا وكذا». (٣٧٣)

رب تسأول يردّ: ما السرّ في كون الصلاة سبباً لقبول الدعاء؟

الجواب نظرته بهاتين النقطتين:

الأول: إن العبد إذا جعل الصلاة في أول الدعاء وفي آخره وعرض المجموع على الله تعالى فإن الله الكريم يستحي أن يردّ بعضه ويقبل بعضه، وما دامت الصلاة غير محجوبة فلا بد من عدم محجوبة الدعاء أيضاً، والله أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط، مثال ذلك: أن من باع أمتعة صفقة واحدة، فإن المشتري لا يسوغ له أخذ الصحيح وردّ المعيب، بل أما أن يردّ الجميع، أو يقبل الجميع، ولا يردّ المعيب فقط، وهذا الداعي مزج دعاءه بالصلاة على محمّد وآله، وعرض الجميع صفقة واحدة على ربّ الأرباب وهو أكرم وأجلّ من أن يردّ المعيب ويقبل الصحيح.

وهذا هو أحد أسرار الصلاة جماعة، والدعاء في الاجتماع، والصلاة في أول وقتها، لأنها إن ارتفعت أول الوقت، فإنها ترتفع مع صلاة ولي العصر (عج) وعندها يستحي الله تعالى أن يقبل صلاة الإمام عليه السّلام ويردّ صلاة العبد.

الثاني: إن من كانت له حاجة عند سلطان، فإنه يتقرّب إليه بأحبّ الوسائل لديه

فيتشفّع بفلان وفلان من المقربين لدى حضرته، وبعبارة أخرى، من أحبه السلطان وأكرمه يجب أن يكرمه الناس فإذا فعل ذلك استحقّ العطاء من السلطان.

والنبي محمد وأهل بيته عليهم السلام هم أقرب الخلق إلى الله تعالى وأحبّهم إليه فلا بدّ من التوسّل بهم والتقرب بحبّهم إلى ربّهم عند طلب الحاجة منه سبحانه وتعالى، فلو لم يستجب دعائك في الأساس فإنه سيستجيبه كرامة لهؤلاء الذين توسّلت بهم وقدّمتهم بين يدي حوائجك. (٣٧٤)

الْمَبَكْتُ الثَّلَاثُ: مَوَانِعُ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

قد يسأل سائل إن جميع الشروط قد توفرت ولم يستجب دعائي؟

نقول في محلّ الجواب: أننا ذكرنا أن العلة التامة تتكون من ١. المقتضي، ٢. توفر الشروط، ٣. رفع الموانع. ولقد تكلمنا عن المقتضي وتوفر الشروط، ولكنها ليست كافية لتحقيق العلة إلا برفع الموانع، ونذكر منها الأمثلة الآتية:

❖ إن الورقة لا تحترق رغم وجود النار إذا كانت مبللة بالماء، لأن الماء يمتص الحرارة ويمنع وصول درجة الحرارة الكافية للاحتراق.

❖ لا يتحقق الشفاء رغم تناول الدواء إذا كان الجسم لا يمتصه بسبب خلل في الجهاز الهضمي.

❖ لا ينطفئ الحريق بالماء إذا كان هناك زيت مشتعل، لأن الزيت يطفو على الماء.

❖ لا يزول العطش بشرب الماء المالح، لأنه يزيد الجفاف بدلاً من الترطيب.

❖ لا ينمو النبات رغم توفر الماء والتربة الجيدة إذا كان في مكان مظلم بلا ضوء

شمس.

هذه أمثلة توضح أن وجود السبب وحده لا يكفي، بل لا بد من انتفاء الموانع. وهذا ينطبق على موضوع الدعاء، فإن هنالك كثيراً من الموانع التي تمنع استجابة الدعاء، نذكرها في الموانع الآتية:

المانع الأول: ارتكاب الذنوب

المانع الأول من استجابة الدعاء هو ارتكاب الذنوب، وهذا ما صرّحت به النصوص الشرعية، فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»، (فالذنوب وسوء الاعمال، تحجب الدعاء وتمنع الاجابة. وتوضح ذلك: أن للذنوب في حياة الإنسان دورين:

الدور الأول: إنها تحجب الإنسان عن الله وتقطعه، فلا يتمكن الإنسان من الإقبال على الله والتوجه اليه.

والدور الثاني: إن الذنوب تحجب الدعاء وتمنعه من الصعود الى الله، لأن الدعاء لو صعد الى الله فإنها سوف تتم الإجابة من عند الله، لأنه ليس في ساحة الله تعالى عجز أو بخل إذا وصل الإنسان اليه، لكن الذنوب تسبب عجزاً في الدعاء بحيث يمنعه عن الصعود الى الله والوصول اليه.

إذن الذنوب قد تمنع الانسان من أصل الدعاء، وقد تمنع الدعاء وتحبسه من الصعود الى الله، وإذا لم يصعد الدعاء إلى الله فبالأكيد لن تتم الإجابة، فالله لا يستجيب دعاء المذنب والعاصي لان دعائه عاجز عن الوصول اليه). (٣٧٥)

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاءها إلى أجل قريب، أو إلى وقتٍ بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك تعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إياها، فإنه تعرّض لسخطي، واستوجب الحرمان مني». (٣٧٦)

والذنوب التي تردّ الدعاء عديدة، نذكر منها الآتي:

ذنوب سبعة يذكرها الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «الذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ: سُوءُ النِّيَّةِ، وَخُبْثُ السَّرِيرَةِ، وَالنِّفَاقُ مَعَ الإِخْوَانِ، وَتَرْكُ التَّصَدِيقِ بِالْإِجَابَةِ، وَتَأْخِيرُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ حَتَّى تَذَهَبَ أَوْقَاتُهَا، وَتَرْكُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْبَدَاءِ وَالْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ». (٣٧٧)

في هذا الحديث، يوضح الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ سبع ذنوب تمنع استجابة

الدعاء. كل نقطة تمثل (حاجزاً بين العبد وربّه)، فإذا وقع الإنسان في هذه الذنوب، فقد يجرم من إجابة دعائه. إليك شرحاً مبسطاً لكل نقطة مع مثال لتوضيحها:

الذنب الأول: سوء النية: أن يكون الدعاء صادراً عن نية فاسدة، من أمثلة ذلك: شخص يدعو الله أن يرزقه مالاً، لكنه يريد به التكبر والظلم، أو الدعاء لينجح في غش الآخرين، فهذا دعاء غير مقبول.

الذنب الثاني: خبث السريرة (فساد القلب والنية) (٣٧٨): بأن يحمل الإنسان في قلبه حقداً أو غشاً تجاه الآخرين، فلا يكون صادقاً مع الله ولا مع الناس.

مثال: شخص يدعو الله بالرزق لكنه في نفس الوقت يحسد الآخرين على ما لديهم، فكيف يُستجاب دعاءه؟، لذا عليه تطهير القلب من الحسد والغل، والدعاء للآخرين بالخير كما يدعو لنفسه. روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كان رجل من بني إسرائيل يدعو الله تعالى أن يرزقه غلاماً، ثلاث سنين، فلما رأى أن الله لا يُجيبه قال: يا ربّ، أبعيد أنا منك فلا تسمعني، أم قريب فلا تُجيبني؟ فأتاه آتٍ في منامه قال: إنك تدعو الله منذ ثلاث سنين بلسانٍ بذيءٍ وقلبٍ غير نقيٍّ، ونيةٍ غير صافيةٍ (صادقة)، فأقلع عن بذائك، وليتق الله قلبك، ولتحسّن نيتك، ففعل الرجل ذلك عاماً فولد له غلام» (٣٧٩).

الذنب الثالث: النفاق مع الإخوان: بأن يظهر الإنسان المحبة والإخلاص للناس، لكنه في الباطن يخدعهم أو يتمنى لهم السوء.

مثال: شخص يتسم في وجه صديقه، لكنه يطعن فيه ويغتابه خلف ظهره، ثم يدعو الله بالخير، فكيف يُستجاب له؟، علاجه أن يكون صادقاً في العلاقات، وعدم إظهار شيء وإخفاء شيء آخر، لأن الله يعلم ما في القلوب.

الذنب الرابع: ترك التصديق بالإجابة: أي الشخص الذي لا يُصدّق بأن الله سيستجيب دعائه، وهذا ينافي حسن الظن بالله.

مثال: شخص يدعو الله بالنجاح لكنه يقول في نفسه: «لا أصدق بأن الله يحقق لي النجاح، أنا لن أنجح»، فكيف يُستجاب له وهو يشك في قدرة الله؟، ففي الحديث:

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» (٣٨٠).

الذنب الخامس: تأخير الصلاة عن وقتها: الصلاة عمود الدين، ومن يؤخرها بلا عذر فإنه يُقصر في حق الله، فيُحرم من استجابة دعائه.

روي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر العقوبات المترتبة على المتهاون بأداء الصلاة، وذكر من العقوبات الدنيوية: «... وَلَا يَرْتَفِعُ دُعَاؤُهُ إِلَى السَّمَاءِ...» (٣٨١).

الذنب السادس: عدم التقرب إلى الله بالبر (٣٨٢) والصدقة: البر والصدقة من أسباب القبول عند الله، وحرمان النفس من هذه الأعمال يمنع استجابة الدعاء.

مثال: شخص يدعو الله بالرزق لكنه لا يساعد الفقراء ولو بالقليل، ولا يحسن إلى الآخرين، وبالأخص امتناعه عن إخراج الحقوق المالية الواجبة كالخمس، والتقصير في النفقة على العيال.

الذنب السابع: استعمال الفحش في القول: الفحش في القول هو الكلام البذيء، السب، اللعن، والكلمات النابية كلها تُبعد الإنسان عن رحمة الله. مثال: شخص يدعو الله أن يفرّج كربته، لكنه يشتم الناس ويؤذيهم بلسانه، فكيف يُستجاب له؟، لذا علاجه أن يضبط اللسان، بأن يكون اللسان أداة للخير وليس للشر.

الذنب الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لتأمروا بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» (٣٨٣).

الذنب التاسع: سماع الأغاني: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك» (٣٨٤).

الذنب العاشر: أكل الحرام: روي أن رجلاً قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا رسول الله أحب أن يستجاب دعائي، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: طهر مأكلك، ولا تدخل بطنك الحرام» (٣٨٥).

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من سره أن تستجاب له دعوته، فليطب

مكسبه». (٣٨٦)

الذنب الحادي عشر: قطيعة الرحم: إن قطيعة الرحم مخالفة لأمر الله عز وجل ولذلك كانت مانعاً لاستجابة الدعاء، فعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قطيعة الرحم تحجب الدعاء». (٣٨٧)

الذنب الثاني عشر: الظلم: (كيف يتأمل الإنسان أن يستجيب له ربُّه وهو يظلم أحداً من عباده، أخوته، أو زوجته، أو أولاده، أو موظفيه، أو جيرانه أو أحداً من أهل ملته ومذهبه وهم ليس لهم ناصرٌ ولا معين غير الله؟ هيهات! فإنَّ الظلم حاجب عن الخيرات مانع للبركات، وعدم استجابة الدعاء أحد آثار ظلم الإنسان لعيال الله وخلقهِ) (٣٨٨)، فعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ اللهُ عز وجل: «وعزّي وجلالي، لا أُجيب دعوة مظلومٍ دعاني في مظلمة ظلمها ولأحدٍ عنده مثل تلك المظلمة». (٣٨٩)

الذنب الثالث عشر: الدعاء بالمنهي عنه وبما فيه شر للناس: الله لا يستجيب لدعاء الشخص إذا كان يتضمن أمر نهتنا عنه الشريعة الإسلامية، كالولد الذي يدعو الله أن يغيب عنه والديه لكي يرتكب الحرام. أو أن يتضمن الدعاء ضرراً لغيره دون وجه حق. مثال: شخص يدعو على أخيه بالضرر بدافع الحسد، فهذا دعاء غير مقبول.

المانع الثاني: عَدَمُ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ

المانع الثاني من استجابة الدعاء هو عدم الوفاء بعهد الله، روي أنّ رجلاً سأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: «جعلت فداك، إن الله يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣٩٠) وإنا ندعو فلا يستجاب لنا؟! قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لأنكم لا توفون بعهد الله، لو وفيتم لوفى الله لكم». (٣٩١)

قد يسأل أحدكم: وما هو عهد الله الذي وجب علينا الوفاء به؟

الجواب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٩٢﴾ وَأَنْ اِعْبُدُونِي ۖ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩٢﴾، إِنَّ عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ لَا تَعْنِي السُّجُودَ لَهُ، بَلْ طَاعَتُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْإِنْحِرَافَ عَنِ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ خَانَ الْعَهْدَ الْإِلَهِيَّ. وَهَذَا الْعَهْدُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى اجْتِنَابِ الذُّنُوبِ فَقَطْ -التي ذكرناها في المطلب الأول-، بَلْ يَشْمَلُ أَيْضاً الْإِيمَانَ الصَّادِقَ، وَالْإِلْتِمَازَ بِالْمَوَاقِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَطَاعَةَ اللَّهِ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

وَبِمَا أَنَّ الْقُلُوبَ هِيَ مَوْضِعُ الْعَهْدِ مَعَ اللَّهِ، لِذَا إِذَا امْتَلَأَتْ بِالْإِيمَانِ وَالصِّدْقِ أَوْفَتْ بِعَهْدِهَا، وَإِذَا فَسَدَتْ بِالْخِيَانَةِ وَالْغَفْلَةِ نَقَضَتْ الْعَهْدَ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَما سَأَلَهُ قَائِلاً: «.. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ الْقِبْلَةُ إِذَا مَا ضَلَلْنَا، وَالنُّورُ إِذَا مَا أَظْلَمْنَا، وَلَكِنْ نَسَأَلُكَ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿٣٩٣﴾ فَمَا بَالُنَا نَدْعُو فَلَإِنْ نَجَابَ، قَالَ: لِأَنَّ قُلُوبَكُمْ خَانَتْ بِشَأْنِ خِصَالِ:

أُولَاهَا: إِنَّكُمْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ، فَلَمْ تَوْدُوا حَقَّهُ كَمَا أَوْجِبَ عَلَيْكُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْكُمْ مَعْرِفَتَكُمْ شَيْئاً.

وَالثَّانِيَةَ ﴿٣٩٤﴾: إِنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِرَسُولِهِ، ثُمَّ خَالَفْتُمْ سُنَّتَهُ، وَأَمْتَمْتُمْ شَرِيعَتَهُ، فَأَيْنَ ثَمَرَةُ إِيْمَانِكُمْ؟

وَالثَّلَاثَةَ: إِنَّكُمْ قَرَأْتُمْ كِتَابَهُ الْمَنْزَلَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ، وَقَلْتُمْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، ثُمَّ خَالَفْتُمْ.

وَالرَّابِعَةَ: إِنَّكُمْ قَلْتُمْ إِنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَقْدُمُونَ أَجْسَامَكُمْ إِلَيْهَا بِمَعْاصِيكُمْ، فَأَيْنَ خَوْفِكُمْ؟

وَالْخَامِسَةَ: إِنَّكُمْ قَلْتُمْ إِنَّكُمْ تَرْغَبُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَفْعَلُونَ مَا يَبَاعِدُكُمْ مِنْهَا، فَأَيْنَ رَغْبَتِكُمْ فِيهَا.

وَالسَّادِسَةَ: إِنَّكُمْ أَكَلْتُمْ نِعْمَةَ الْمَوْلَى، وَلَمْ تَشْكُرُوا عَلَيْهَا.

وَالسَّابِعَةَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِعِدَاوَةِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ﴿٣٩٥﴾ فَعَادَيْتُمُوهُ بِلا قَوْلِ ﴿٣٩٦﴾، وَوَالَيْتُمُوهُ بِلا مَخَالَفَةٍ.

وَالثَّامِنَةَ: إِنَّكُمْ جَعَلْتُمْ عِيُوبَ النَّاسِ نَصَبَ أَعْيُنِكُمْ، وَعِيُوبَكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِكُمْ،

تلومون من أنتم أحق باللوم منه، فأبي دعاء يستجاب لكم مع هذا؟ وقد سدّدتهم أبوابه وطرقه، فاتقوا الله وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرائركم، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فيستجيب الله لكم دعاؤكم» (٣٩٧).

الْمَانِعُ الثَّلَاثُ: الْمَنْعُ لِحِكْمَةٍ وَمَصْلِحَةٍ

المانع الثالث من استجابة الدعاء هو أن يكون في تحقيقه شر أو ضرر، بينما في منعه الخير والمصلحة للعبد. فقد يطلب الإنسان شيئاً يراه خيراً، لكنه في الحقيقة يحمل له ضرراً في دينه أو دنياه، والله سبحانه يعلم ما لا يعلمه العبد، فيمنع عنه ما قد يؤدي إلى الأذى أو الفتنة.

قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (٣٩٨)، فربما يستعجل الإنسان في طلب شيء يظنه خيراً، لكنه لو تحقق لكان سبباً في هلاكه أو فتنة له.

لذا، فإن من رحمة الله بعبدته أن يمنع عنه بعض الدعوات، حفظاً له من ضرر قد لا يدركه، وبدلاً من ذلك يعوضه بما هو أفضل له في الدنيا أو الآخرة.

(ولتوضيح الأمر نقول: إن استجابة الدعاء من قبل الله تعالى، لا يكون إلا من باب التلطف والرحمة بالعبد، فإذا استجيب له في حاجة، وأعطى ما لم يكن في مصلحته وصلاحه، فإن تلك الاستجابة والعطاء لا تعد لطفاً أو رحمة؛ لأن العطاء في غير صلاح الإنسان مخالفة للطف والرحمة.

وإذا نسلم أن الإنسان عاجز عن تشخيص صلاحه لعدم قدرته على الإحاطة العلمية الشاملة والدقيقة لجميع ما فيه خيره وصلاحه، أو ضرره وفساده، حيث يقول تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩٩)، فإن الله يعطي الإنسان الدعاء ما فيه صلاحه، أما ما يطلبه وهو في غير صلاحه، فإن الله تبارك وتعالى يعوضه عنه غيره مما فيه صلاحه في هذه الدنيا، أو يدخر له في الآخرة من الثواب والعطاء عوضاً عما فاته في الدنيا.

بعبارة أخرى: إن الأمور التي فيها صلاح الإنسان على قسمين: القسم الأول حتمي، بينما القسم الثاني متوقف على الطلب والمسألة والدعاء. ولأن الإنسان لا يميز بين القسمين، فأن عليه أن يدعو، فإذا كان ما طلبه معلقاً بتحقيقه بالدعاء فإنه سيحصل عليه، وإذا كان حتمياً لا يحتاج إلى الدعاء، فسيحصل عليه، مع حصوله على ثواب الدعاء الذي يعتبر من أفضل القربات، ومن أقرب الوسائل التي تجعل للعبد مقام الحظوة عند الله تعالى). (٤٠٠)

أمثلة عن ذلك:

◆ شخص يطلب الغنى لكنه لو رُزق المال لطغى وتجبر وابتعد عن طاعة الله.
 ◆ رجل يطلب الذرية لكن الله يعلم أن ولده سيكون سبب شقائه أو فتنة له في دينه.

◆ رجل يسأل الله منصباً رفيعاً لكنه لو تولاه لظلم الناس أو فتن بالسلطة.
 ◆ شخص يدعو بالزواج من شخص معين لكن الله يعلم أن هذا الزواج سيكون سبباً في تعاسته أو فساد دينه.

◆ امرأة تتمنى الشهرة لكنها لو حصلت عليها لوقعت في الغرور والانحراف عن مبادئها.

◆ رجل يدعو بالشفاء من مرض معين لكن الله يعلم أن بقاء المرض فيه تكفير لذنوبه ورفعة لدرجاته.

ولنا في قصة موسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عبرة في ذلك، حيث قام الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاثة أفعال ظنّها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شراً، لكنها كانت في حقيقتها خيراً خفياً، وكشف الله له الحكمة بعد ذلك، والأحداث كالآتي:

١. خَرَقُ (٤٠١) السفينة: إنَّ الخضر خرق السفينة، مما جعلها تبدو معطوبة، فاعترض موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فعله ظناً منه أنه شر، فتبين أن ذلك كان لحمايتها من المصادرة على يد الملك الظالم، قال الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾. (٤٠٢)

٢. إقامة الجدار: إن موسى استغرب لماذا لم يطلب الخضر أجرًا على إقامة الجدار، لكنه كان يخفي كنزًا لأيتام، وكان سيسرق لو لم يُصلح الجدار.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (٤٠٣)

٣. قتل الغلام: ظن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن قتل الغلام ظلم، لكن تبين فيه المصلحة لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٤٠٤)

رب تسأول يرد: لماذا لم يبدلها الله تعالى خيرا منه زكاة وأقرب رحما (مع وجوده).

الجواب: إن عالم الإمكان عالم واسع فسيح، فالله تعالى يمكن أن يدع هذا الغلام حياً ويبقيه لوالديه ويرزقهما معه غيره، ولكن الله تعالى لا يفعل إلا بحكمة وقدر.

فمما يظهر نقول: بأن هذا الغلام كان كافراً مؤذياً طاغياً سيؤذي والديه بشكل كبير قد يصل بهما إلى الابتعاد عن الإيمان أو عن الراحة، لقوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٤٠٥)، فرافةً بهما أمر الله تعالى بقتله.

وكذلك فقد يكون الله تعالى قد قدر لها أن يكون لهما ابن واحد في هذه الدنيا، ولذلك وجب الإبدال والترجيح بين الصالح والطالح، فقتله كان مبرراً ولمصلحة مقبولة.

وقد يكون الله تعالى بصبرهما أو تألمهما على هذا الغلام يشبهها ذلك الابن الصالح البار. وقد يقتضي قتله لأنه ببقائه معها يجعلها كافرين أو متابعين له لكل ما يريد محبة له وانقياداً لتجاوزاته، وتبريراً لأفعاله القبيحة فلا يستحقان وهما على تلك الحالة أن يرزقا بتلك البنت الصالحة التي أنجبت سبعين نبياً، فلولا قتله لما أبدلها الله تعالى بتلك الجارية (البنت)، ولما استحقاً هذه المكرمة العظيمة التي هي اختيار الله تعالى الذي هو خير من اختيارنا قطعاً، فالخير فيما يختاره الله تعالى. (٤٠٦)

العبرة من القصة: قد يمنع الله عنك أمراً تظنه خيراً، لكنه في الحقيقة يحميك من ضرر، أو يهين لك خيراً أعظم في المستقبل.

المانعُ الرَّابِعُ: تَرْكُ الْعَمَلِ بِالْأَسْبَابِ

المانع الرابع من استجابة الدعاء هو ترك العمل بالأسباب. في حين أن الدعاء لا يعني ترك الأسباب المادية والاعتماد فقط على الله دون بذل الجهد، بل استجابة الدعاء مشروط بالتزام الإنسان بأوامر الله والعمل وفق السنن والأسباب، وأما الذين يعتمدون على الدعاء دون العمل بالأسباب فلا يُستجاب لهم دعاؤهم، ومنهم:

١. **الذي يدعو دون عمل:** من يعتمد على الدعاء دون بذل الجهد، كمن يضع يده على خده ويجلس في بيته ويقول يا ربّ ارزقني مالاً، وهو لا يتحرك ولا يعمل فلن يعطيه الله شيئاً في هذه الحياة الدنيا، ولو دعا ليلاً ونهاراً لأن الله (عزّ وجلّ) أبى ألا تجري الأمور إلاّ بأسبابها، والأسباب التي ترزق العبد الحركة والعمل (عبيد منك الحركة ومني البركة). فعلى العبد أن يعمل ويتحرك ثم بعد ذلك يدعو الله أن يوفقه في عمله. روي عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «رجل قال لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومن ولأعبدن ربي فأما رزقي فسيأتيني فقال: هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم»^(٤٠٧)، وفي رواية أخرى: فيقال له: ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق؟^(٤٠٨).

٢. **المبذّر الذي يطلب الغنى:** من أنفق ماله بغير حكمة ثم دعا الله أن يغنيه، فلا يُستجاب له، لأن الله أمر بالتوازن في الإنفاق، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٤٠٩).

٣. **الذي يُقرض بلا شهود:** من يُدين شخصاً دون أن يوثق ذلك، ثم يدعو الله ليسترد حقه، فلا يُستجاب له، لأنه خالف أمر الله في التوثيق؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(٤١٠)، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاثة لا يستجاب له دعوة إلى أن ذكر - ورجل كان له حق على إنسان لم يشهد عليه فيدعو الله أن يرد عليه فيقال له: قد أمرت أن تشهد وتستوثق فلم تفعل»^(٤١١).

٤. **الزوج الذي يدعو على زوجته ظلمًا:** من يدعو على زوجته رغم أن أمرها بيده، فالأولى أن يطلقها إن لم يردّها بدلًا من الدعاء عليها، روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «ثلاثة لا يستجاب لهم دعاء - إلى أن ذكر - ورجل له امرأة يدعو الله أن يريجه منها ويفرق بينه وبينها فيقال له: أمرها بيدك خلّ سبيلها». (٤١٢)

فهؤلاء لا يُستجاب لهم، لأنهم أهملوا الأسباب التي أمرهم الله بها، فالدعاء وحده لا يكفي، بل يجب أن يكون مقرونًا بالعمل والحكمة والتزام أوامر الله. الخلاصة: نفهم مما تقدم أن الدعاء يكون مستجابًا إذا توفرت شروطه، وإذا رفعت موانع الاستجابة التي تم ذكرها في المباحث السابقة.

قد يستغرب بعضنا في استجابة دعائه رغم تقصيره فيما يتعلق بالشروط والموانع!!، (لكن لا يخفى أن الله يتعامل بفضله، إذ برغم أن الدعاء المستوفي لشروطه عزيز الوجود، إلا أن أصل الاستجابة التي وعد بها تعالى هي باب عظيم من الفضل والإحسان. بمعنى أن الله في بعض الأحيان يجيب دعاء العباد تفضلاً رغم أن معظمه غير مستوفٍ لشرائط الدعاء المستجاب) (٤١٣).

وتبقى القاعدة الأساسية: إذا أراد الإنسان تحقيق أمرٍ ما، فعليه مراعاة السنن الإلهية المرتبطة به، والتي تتمثل في استجابة الدعاء عند توفر شروطه وانتفاء موانعه.

المَبَكْتُ الرَّابِعُ: إِرْشَادَاتٌ لِلدَّاعِينَ: بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالصَّبْرِ

هناك إرشادات ينبغي مراعاتها في الدعاء، نذكر منها الآتي:

١. الدعاء في كل صغيرة وكبيرة: ينبغي أن يسأل العبد ربّه في جميع أموره، مهما بدت صغيرة، فقد ورد في الحديث: «يا موسى سلني كل ما تحتاج إليه حتى علف شاتك وملح عجينك» (٤١٤).

٢. الدعاء في السراء والضراء: لا ينبغي أن يقتصر الدعاء على أوقات الشدة وينسى العبد ربه في الرخاء، بل يجب أن يكون الدعاء مستمرًا في كل الأحوال. فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحوًا من دعائه

في الشدة، ليس إذا أعطي فتر^(٤١٥)، فلا تمل الدعاء». (٤١٦)

٣. شمولية الدعاء للدنيا والآخرة: لا ينبغي أن يقتصر الدعاء على طلب الأمور الدنيوية كالرزق، والصحة، وتفريج الكرب، بل ينبغي أن يشمل ما يتعلق بالآخرة كطلب قبول التوبة، وحسن العاقبة، والعتق من النار، وطلب السلامة من سوء الأخلاق، والتخلص من الصفات المذمومة كالحسد، والحقد، وسوء الظن، وغيرها.

٤. الإلحاح في الدعاء وعدم الملل: قد يتصور بعض الداعين أن الله قد ملَّ من دعائهم بعد طول المدة، فيتوقفون عن الإلحاح، كأن يقول: «لقد دعوتُ الله لسنين ولم يُستجب لي، واعتقد ملَّ الله من دعائي»، لكن الحقيقة أن الله يحب العبد اللحاح في الدعاء. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «..إذا فتح لأحدكم باب دعاء فليجهد، فإن الله لا يمل حتى تملوا». (٤١٧)

٥. الصبر عند تأخر الإجابة: لا ينبغي أن ييأس العبد إذا تأخرت الاستجابة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يزال المؤمن بخير ورجاء، رحمة من الله عز وجل ما لم يستعجل، فيقنط ويترك الدعاء، قلت له: كيف يستعجل؟، قال: يقول: قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة». (٤١٨)

والحاصل أنه ينبغي ألا يتوقف عن الدعاء لبطء الإجابة، للأسباب الآتية:

أولاً: التأخير لمصلحة العبد في الدنيا: فقد يكون الوقت غير مناسب لتحقيق الحاجة، وسيُعطاها العبد في وقت لاحق، كما أخر الله رزق اليتيمين حتى يبلغا سن الرشد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (٤١٩).

ثانياً: التعويض في الآخرة: من لم يُعط حاجته في الدنيا، فقد يكون نصيبه تعويضاً أعظم في الآخرة، كما في حال المؤمنة التي حُرمت من الذرية في الدنيا. فإن الله إما أن يعوّضها بأقل مما حُرمت منه، أو بنفسه، أو بأكثر منه. فإذا كان التعويض بأقل، فهذا ظلم، والله منزّه عن الظلم. وإذا كان التعويض بنفسه، فهذا عبث، إذ ما الحكمة

من سلب النعمة ثم إعادتها بعد أن عانت الحرمان في الدنيا؟ إذن، لا بد أن يكون التعويض بالأكثر^(٤٢٠). وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أُخْرُوا إِجَابَتَهُ، شَوْقًا إِلَى صَوْتِهِ وَدَعَائِهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي دَعَوْتَنِي فَأَخْرَتِ إِجَابَتَكَ، وَثَوَابَكَ كَذَا وَكَذَا. وَدَعَوْتَنِي فِي كَذَا وَكَذَا فَأَخْرَتِ إِجَابَتَكَ وَثَوَابَكَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَتَمَنَّى الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَرَى مِنْ حَسَنِ الثَّوَابِ» (٤٢١)

وعلى التقديرين فهو في خير لأنه مشغول بالدعاء الذي هو أعظم العبادات ويترتب عليه أجزل المثوبات ورجاء رحمة في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ حبيب الكاظمي: «إن هنالك تفسيراً غريباً في بعض النصوص لتأخير الإجابة، وهو إن دل على شيء فإننا يدل على عمق محبة الله - تعالى - لعباده الداعين، وهو الغني عنهم.. فهل تصدق أن الله تعالى يؤخر الإجابة - رغم صلاح الأمر - لأنه يحب أن يسمع صوتك؟!.. فقد روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن العبد ليدعو فيقول الله عز وجل للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته، فإني أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى: عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته» (٤٢٢).. فهل بعد ذلك حنان فوق ذلك؟! (٤٢٣)

واعلم أيها القارئ أن تأخير الاستجابة يتفاوت مع إيمان الداعي: يروى أن أحد العلماء كان في حرم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان يتوسل بالإمام من أجل أن يتوقف في الحصول على كتاب يكمل به موسوعته؛ فلم يستجب له!.. وإذا به يرى إنساناً قروباً يقف أمام المعصوم، وبكلمات مختصرة أخذ حاجته ورجع!.. يبدو أن هذا الشيخ تأثر لأنه يطلب حاجة معنوية، فلا يعطى.. وهذا الإنسان القروي في حركة واحدة، عقد الصفقة مع إمامه.. ففي عالم الرؤية رأى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وطيب خاطر، بمعنى: أن هؤلاء إيمانهم من خلال المعجزات والكرامات، وأنت عالم لا يتوقع منك ما يتوقع من هذا الإنسان الساذج البسيط.. فإذاً يجب أن يكون هناك طول نفس في هذا الطريق.. فرب العالمين يقول في القرآن الكريم: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا﴾ (٤٢٤)، تقول الروايات أن بين هذا الكلام وإجابة الدعوة أربعين سنة!..

فموسى كلیم الله، ومن أولي العزم، يأتيه الخطاب أن الدعوة أجيبت.. ولكن يصبر أربعين سنة ليعطى تلك الحاجة! (٤٢٥)

٦. عدم الاعتراض على تأخير الإجابة: يجب على المؤمن أن يثق بحكمة الله في الاستجابة، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: يقول الله عز وجل: «ابن آدم تسألني فأمنعك لعلمي بما ينفعك. ثم تلح عليّ بالمسألة فأعطيك ما سألت فتستعين به على معصيتي، فأهم بهتك سترك، فتدعوني فأستر عليك، فكم من جميل أصنع معك، وكم من قبيح تصنع معي، يوشك أن أغضب عليك غضبة لا أرضى بعدها أبداً». (٤٢٦)

وينقل: (أن رجلا له ابنتان زوج إحداهما زراعا والأخرى رجلا يعمل الآنية من الخبز والطين فكان إذا زار الأولى وسألها عن حالهم قالت: لقد انقطع المطر عنا هذه المدة ويوشك أن يموت زرنا، فادع الله لنا أن ينزل الغيث وإلا هلكنا. وإذا زار الثانية وسألها عن حالهم قالت: نحن بخير قبل أن ينزل المطر بنا فادع الله أن يجسه عنا وإلا هلكنا. فقال الرجل: اللهم إني لا أسألك أن تنزل الغيث ولا أن تجسه ولكن أسألك ما علمت لنا فيه الخير والصلاح وأنت أرحم الراحمين) (٤٢٧)

وجاء في دعاء الافتتاح: «فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور». (٤٢٨)

٧. معرفة الله في الدعاء: روي أن رجلاً سأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن علة عدم استجابة دعائهم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لأنكم تدعون من لا تعرفونه» (٤٢٩)، فكلما كان الداعي أكثر معرفة بالله وإدراكاً لعظمته، كان دعاؤه أقرب إلى الإجابة، وهذا ما يجعل دعاء أهل العلم والمعرفة بالله أكثر تأثيراً واستجابة من غيرهم، لأنهم يخشون الله أكثر من غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. (٤٣٠)

وعلى رأس هؤلاء العلماء هم: محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الذين عرفوا الله حق معرفته، لذا دعاؤهم مستجاب، ومنهم نبي الرحمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي دعا الله كثيرا فكان يستجيب له الدعاء في كل مرة.

من تلك الأدعية التي طلبها من الله تعالى واستجيبت له هو ما رواه لنا الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري، حيث قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا، وأنزل علي سيد الكتب، فقلت: إلهي وسيدي، إنك أرسلت موسى إلى فرعون، فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيرا، تشد به عضده، وتصدق به قوله، وإني أسألك يا سيدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيرا، تشد به عضدي.

فجعل الله لي عليا وزيرا وأخا، وجعل الشجاعة في قلبه، وألبسه الهيبة على عدوه، وهو أول من آمن بي وصدقني، وأول من وحد الله معي، وإني سألت ذلك ربي عز وجل فأعطانيه.

فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة، والموت في طاعته شهادة، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي، وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي، وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي، وهو وهما والأئمة بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين، وهم أبواب العلم في أمتي، من تبعهم نجا من النار، ومن اقتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم، لم يهب الله عز وجل محبتهم لعبد إلا أدخله الله الجنة». (٤٣١)

نعم لقد تحقق ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فجعل الله له عليا وزيرا وأخا.

ولقد صرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الأخوة أمام المسلمين في مواقف عديدة، منها: موقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الذي تم في المدينة المنورة بعد هجرة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إليها، حيث (جمع الرسول المهاجرين والأنصار وقال لهم: «تأخوا في الله أخوين أخوين»). ويذكر المؤرخون بأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخى بين ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو يقول: يا فلان أنت أخ لفلان). (٤٣٢)

وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان، ومعلوم أن شهر رمضان معروف باستجابة الدعاء فيه لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته في استقبال شهر رمضان قائلاً: «وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ»، لدرجة أنه ورد في بعض الأخبار: «من فاته الدعاء في شهر رمضان فليتنظر يوم عرفة، ومن فاته الدعاء فيه فليتنظر شهر

رمضان المقبل» (٤٣٣).

رب تساؤل يرد: ما سبب إجراء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؟

يمكن تلخيص الأسباب في النقاط الآتية:

١. تحقيق الوحدة الإسلامية والتآخي الحقيقي: المؤاخاة أسست لعلاقة قوية بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهلهم في مكة، وبين الأنصار الذين استقبلوهم في المدينة، مما جعل المجتمع الإسلامي متماسكاً.

٢. تخفيف المعاناة عن المهاجرين: المهاجرون فقدوا أموالهم وأهلهم عند خروجهم من مكة، فكانت المؤاخاة وسيلة لسد حاجاتهم المعيشية والنفسية، من خلال تكافل الأنصار معهم في المال والمسكن والعمل.

٣. إرساء مبدأ المساواة ونبذ القبلية: قبل الإسلام، كان المجتمع العربي قائماً على العصبية القبلية، فجاءت المؤاخاة لتكسر هذه الحدود، حيث آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين مختلف القبائل، وجعل الولاء قائماً على العقيدة والإيمان لا النسب.

٤. توطيد أواصر الأخوة الحقيقية بين المسلمين: المؤاخاة كانت تجسيداً عملياً لمعاني الأخوة الإسلامية، حيث كان كل أنصاري مسؤولاً عن أخيه المهاجر، يعينه ويواسيه.

٥. تمهيداً للولاية الإمام علي عليه السلام: فيروى أنه لما فرغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من المؤاخاة، قال له علي عليه السلام: «يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركنتني فرداً لا أخ لي!»، فقال: «إنما اخترتك لنفسي، أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقامت وأنا أبكي من الجدل والسرور» (٤٣٤).

إنّ هذه المؤاخاة كانت إعلاناً لمقام أمير المؤمنين عليه السلام بين المسلمين، حيث أظهر النبي أنه الأجدر والأقرب إليه روحياً ودينياً.

قال الشاعر أبو تمام الطائي في هذا المعنى:

فَمَا مِثْلُهُ أَخٌ وَلَا مِثْلُهُ صَهْرٌ
كَمَا شَدَّ مِنْ مُوسَى بِهَارُونَهُ الْأَزْرُ^(٤٣٥)

أَخُوهُ إِذَا عَدَّ الْفَخَّارَ وَصَهْرُهُ
وَشَدَّ بِهِ أَزْرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

أبو ذيات بحق الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤٣٦):

وفتوات الملاحم من فتاها
ويا هو الرفع رايتها العلية

نفوس اهل الضغائن من فتاها
أنشدك عن الامه من فتاها

ونور الباري بالهيبة والاشراف
الك بيت الولاده أصبحت هيه

يتاج ابراس اهل الحك والاشراف
الكعبه الها شرف عالي والاشراف

موال بحق الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤٣٧):

وابعلمك وصارمك راح الشرك وانه
والراد بيك الغدر شاف الوكت لافته
جبريل بيها هتف لا صارم ولافته
مجدك يبو حسين عالدينه تعالى وسمه
اشما رادت الناس تتباها وتشد اوسمه
وگلوبنه الوالهه برياض حبك ترب
وانت الذهب يا علي وللكون شخصك سمه

يا باني الدين يا سر الحجه والنه
وظلت قريش ابحد منك تجر ونه
تكفيك هالمكرمه ولكل نظر لافته
بس ذو الفقار وعلي واهل الشرك ونه
يا حجة الله يا مالك علومه وسمه
بس ليك الغلوب يا قبلة نظرها ترب
ما من جدال أ يحصل هالناس كلها ترب

من حيث حكم الجلاله اعله البشر جاري
عاف النزل وابتعد من يمنه راح وشال
لو جنت تقره ابصحف يعگوب دمعه وشال

لو خانت ايام دهرک بالصبر جاري
فرگاک کثر ونيني وجزعت جاري
گبلك تراني البعد وهن عضاي وشال

(اقره ابصحف مدمعي الطول العمر جاري)



سَيِّدُ الْإِسْلَامِ

١٥ رَمَضَانِ

وِلَايَةُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ



الْمُنَاسِبَةُ

وِلَادَةُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

القصيدة للأديب: حميد حلمي البغدادي

مِنْ بَيْتِ أَحْمَدَ سَاجِدًا مُتَعَبِّدًا
 سَبَطَ النَّبِيُّ مُهَلَّلًا وَمُوحَّدًا
 لِيَكُونَ جُودًا لِلصَّحَابِ وَلِلْعَدَى
 لِلصَّائِمِينَ الْمُخْبَتِينَ تَوَدُّدًا
 أَبْنَاءَ الْبَيْتِ نُورًا مُسْعِدًا
 لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلتَّسَامُحِ وَالهُدَى
 وَكَرِيمِ آلِ الْبَيْتِ يُبْلَغُ مَقْصِدًا
 مِنْ بَعْضِهِمْ بَغْضُ غَلِيظٍ أَوْ عَدَا
 هُوَ صَائِنُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ تُهَدَّدَا
 مِنْ طَهْرٍ فَاطِمَةَ وَالْوَصِيِّ الْمُفْتَدَى
 وَرَثَ النَّبِيِّ مُصَابِرًا وَمُجَاهِدَا
 مِنْ آلِ بَيْتِ الْمَالِكِينَ السُّوَدَّدَا
 وَمَلَاذِ شَيْعَتِهِ إِذِ الْحَقْدُ اعْتَدَى
 بَلِيَّتِ بَشَرِ الْحَاكِمِينَ مُفْسِدَا
 سَبْطَانَ قَدْ أَعْلَى مَقَامَهُمَا الْفِدَا
 فَهُوَ الْإِمَامُ الْحَقُّ شَانَهُ سُدى
 وَمُرَبِّيًا لِلصَّالِحِينَ مُسَدَّدَا
 يَوْمًا وَلَمْ يَجْمَعْ حُطَامًا بَائِدَا
 فِي الْخَاشِعِينَ وَبِاسِلٍ صَحْبِ الرَّدَى
 فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ السَّعِيدِ مُخْلَدَا
 وَعَلَى الْأَثَمَةِ يَعْشَقُونَ مُحَمَّدَا

بَدْرٌ أَطْلَعَ عَلَى الْخَلَائِقِ أَمَّجِدَا
 فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ طَابَ وَوِلَادَةُ
 فِي جُودِ شَهْرِ الْخَيْرِ جَاءَ الْمُجْتَبَى
 شَهْرُ بِهِ فَتَحَ الْوُدُودَ مَضِيْفُهُ
 آلَ النَّبِوَةِ كَبَّرُوا لِقُدُومِهِ
 أَسْمُوهُ بِالْحَسَنِ الزَّكِيِّ مَثَابَةُ
 هُوَ أَوَّلُ الْإِسْبَاطِ شَبَلُ مُحَمَّدٍ
 مَا رَدَّ سَائِلُهُ وَإِنْ لَوْ نَالَهُ
 هُوَ حَصْنٌ مِنْ رَامِ الطُّغَاةِ فَنَاءَهُمْ
 دَرَعُ الْإِمَامَةِ وَالْوَلَايَةِ طَاهِرٌ
 رَجُلُ الْكِرَامَةِ وَالْبَطُولَةِ صَابِرٌ
 أَنْجَبَتْ يَا شَهْرَ الْفَضِيلَةِ فَرَقْدَا
 حَسَنُ الْمُحْيَا قَائِدٌ مُتَمَرِّسٌ
 ثَانِي الْأَثَمَةِ وَالْأَمَانَ لِأُمَّةٍ
 هُوَ وَالْحَسَيْنُ أَخُوهُ عَطْرُ مُحَمَّدٍ
 لَا يَجْهَلُ الْحَسَنُ الزَّكِيُّ مُطَاوِعٌ
 أَعْظَمُ بِهِ سَبْطًا شَهِيدًا زَاهِدًا
 هُوَ ذَا إِمَامِ الْجُودِ لَمْ يَقْبِضْ يَدَا
 هُوَ ذَا وَسِيمِ بَنِي النَّبِوَةِ رَاهِبٌ
 فَتَذَكَّرَ السَّبْطُ الْإِمَامَ مُقَاوِمًا
 صَلُّوا عَلَى طِهِ الْأَمِينَ مَوَدَّةً

المحاضرة السابعة

التَّهْرُبُ مِنَ النَّفَقَةِ: أَرْصَةُ قِيمٍ وَصَسْوُؤِ لِيَّةٍ

رُويَ عَنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:
«أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْسَبُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ» (٤٣٨)

في السنوات الأخيرة، انتشرت في مواقع التواصل الاجتماعي ظاهرة تدعو الشباب إلى ترك الزواج بحجة أنه يشكل عبئاً مالياً كبيراً على الرجل، حيث يتوجب عليه العمل والإنفاق على زوجته وأسرته، مما قد يقيد ويزيد من مسؤولياته. هذه الفكرة، التي تُروّج أحياناً بأسلوب ساخر، أثرت على نظرة الشباب تجاه الزواج، حيث بدأ بعضهم يرى فيه عبئاً أكثر من كونه استقراراً وسعادة، متأثرين بالمفاهيم المادية والفردية الحديثة التي تمجد الاستقلالية المالية على حساب العلاقات الأسرية.

لكن في مقابل هؤلاء الذين يعزفون عن الزواج بالكامل، ظهرت فئة أخرى اختارت الزواج، ولكنها تخلت عن مسؤولياتها المالية. أصبح بعض الرجال يتهربون من الإنفاق، مستغلين كون زوجاتهم عاملات، فيرمي الرجل المسؤولية المالية على زوجته، ويتحول إلى مجرد ضيف في المنزل، يعيش على دخلها ويترك لها أعباء الأسرة بأكملها، أو يتحمل بعضها، بدءاً من نفقات الأطفال، مروراً بالفواتير والاحتياجات الأساسية، وصولاً إلى التكاليف الطارئة، وكأن الإنفاق واجب يُلقى على الزوجة وحدها.

ومع تهاون بعض الأزواج في الإنفاق على زوجاتهم وأبنائهم، اضطرت كثير من النساء إلى البحث عن العمل لتحمل مسؤولية النفقة، مما ألقى عليهن أعباءً كبيرة إضافية وأثر على صحتهن النفسية وعلى تربيتهن للأبناء، وخلق فجوة بينهن وبين أزواجهن. ونتيجة لذلك، بدأت الزوجة تستصغر دور الزوج ولا تشعر برجولته، مما أدى في كثير من الحالات إلى الطلاق، سواء كان طلاقاً واقعياً أو عاطفياً. والسبب

في ذلك أن بعض الرجال تناسوا أن النفقة واجب شرعي عليهم، لا يسقط بمجرد قدرة الزوجة على الكسب، فقد قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٤٣٩)، مما يدل على أن القوامة ليست سلطة، بل مسؤولية تشمل الرعاية والإنفاق. وإن التهرب من أدائها على النحو الأكمل سيؤدي إلى حدوث خلل كبير في ميزان الأسرة، إذ ستضطر المرأة إلى العمل، مما يضعف دورها في أداء الحقوق الزوجية، وتضيع الألفة، ليتحول الزواج من سكينة وطمأنينة إلى ساحة صراع تستنزف فيها النفوس، وتضيع فيها البركة.

الْمَبْتَأُ الْأَوَّلُ: قَوَائِنُ الشَّرِيعَةِ فِي النَّفَقَةِ

على الزوج حقوقٌ واجبة ومستحبة تجاه زوجته، ومن الحقوق الواجبة: الإنفاق عليها، وسنتعرض فيما يلي أهم الأحكام المتعلقة بذلك، ومضمونها مأخوذ من كتاب منهاج الصالحين لسماحة السيد السيستاني (دام ظله):

❖ أجمع فقهاء المسلمين على وجوب نفقة الزوج على زوجته^(٤٤٠)، حتى بات هذا الإجماع يصل إلى حد كون الحكم أمراً ضرورياً من الضرورات التي لا حاجة لإثباتها، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «اتقوا الله في النساء، فإنهن عواري عندكم، اتخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(٤٤١).^(٤٤٢)

❖ لا يشترط في وجوب النفقة على الزوج أن تكون الزوجة فقيرة أو محتاجة، بل يجب عليه الإنفاق عليها حتى لو كانت غنية وتملك المال الكافي لنفسها.^(٤٤٣)

❖ إذا لم يكن عند الزوج ما ينفقه على زوجته - كأن يكون فقيراً -، لكنه قادر على العمل. شرعاً وجب عليه البحث عن عمل يناسب شأنه لتأمين النفقة. بينما إذا كان الزوج عاجزاً عن العمل ولا يجد مالاً، فيمكنه أخذ الخمس أو الزكاة إذا كان مستحقاً.

وإذا كان يمكنه الاقتراض دون مشقة وكان متأكداً من القدرة على السداد مستقبلاً فيجب عليه الاقتراض والإنفاق على زوجته. وإذا كان يظن أنه قد لا

يستطيع السداد لاحقاً، سيكون وجوب الاقتراض محل إشكال شرعي، وعليه الاحتياط في الأمر. (٤٤٤)

❖ إذا كان الزوج عاجزاً عن تأمين نفقة زوجته أو امتنع من الإنفاق عليها مع قدرته جاز لها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعي. (٤٤٥)

❖ (يجب على الأب شرعاً الإنفاق على أولاده، وإذا امتنع عن ذلك، يحق لهم اللجوء إلى الحاكم الشرعي لإلزامه بالنفقة. حيث ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت له: «من الذي أجبر على نفقته وتلزمي نفقته؟»، قال: الوالدان والولد والزوجة». (٤٤٦)

وهذا الحديث الشريف يدل بشكل واضح على وجوب نفقة الأب على أبنائه. (٤٤٧)

السؤال الذي ينبغي علينا طرحه هو: ما هو مقدار النفقة الواجبة؟

الجواب: (لم يحدد الشرع المقدس حقيقة شرعية لمقدار نفقة الزوجة، بل أوكل ذلك إلى العرف، فكل ما يراه العرف لازماً للنفقة فهو منها). (٤٤٨)

يذكر الفقهاء - ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) - بأن النفقة تشمل: الطعام، الإدام، الكسوة (٤٤٩)، الفراش، الغطاء، المسكن، الخدم (إن كانت بحاجة لهم)، أدوات التدفئة والتبريد، وأثاث المنزل، وغير ذلك مما يليق بشأنها بالقياس إلى زوجها. (٤٥٠)

ولكن ما المقصود بعبارة: مما يليق بشأنها بالقياس إلى زوجها؟

المعنى العام: النفقة الزوجية ليست مطلقة بحسب رغبة الزوجة أو حالتها السابقة قبل الزواج، بل يجب أن تكون متناسبة مع مكانتها الاجتماعية مقارنةً بزوجها. أي أن مستوى النفقة يتحدد بناءً على وضع الزوج المالي والاجتماعي، وليس على مستوى الزوجة قبل الزواج أو عائلتها الأصلية.

أمثلة توضيحية:

❖ زوج غني وزوجة متواضعة الأصل

إذا تزوج رجل ثري من امرأة نشأت في عائلة فقيرة، لا يجوز له أن يبخل عليها بحجة أنها معتادة على القليل، بل يجب أن يوفر لها حياة تليق بمكانته المالية.

❖ زوج فقير وزوجة من عائلة غنية

إذا كان الزوج فقيراً أو متوسط الدخل، والزوجة من أسرة ثرية، فليس ملزماً بتوفير مستوى معيشة يساوي حياة أهلها، بل يجب أن يوفر ما يناسب إمكانياته. فلا يجب عليه شراء ملابس فاخرة أو سيارة خاصة لمجرد أن الزوجة معتادة على ذلك.

❖ زوج متوسط الحال وزوجة تطلب مستوى أعلى

إذا كان الزوج موظفاً بدخل متوسط، فيجب عليه توفير مسكن مناسب لمستواه المعيشي، وليس ملزماً باستئجار شقة فاخرة أو شراء أثاث باهظ إذا لم يكن في قدرته. ولكن لا يجوز له التقصير في النفقة بحجة الاقتصاد، بل يجب أن يراعي المستوى المعيشي العام لأمثاله.

وإليكم بعض الأسئلة المتعلقة بالنفقة وفق فتاوى سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

سؤال (١): هل يجب على الزوج تلبية طلب الزوجة في شراء ملابس فاخرة بكثرة، خاصة إذا كانت ترتديها في المناسبات مرة أو مرتين ثم تطلب استبدالها بملابس جديدة؟

الجواب: إنها لا تعدّ من النفقة الواجبة على الزوج، وهذا ما صرّح به سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في مسألة ٤٢٠ من كتاب منهاج الصالحين، وهو كالآتي: ما تعارف عند بعض النساء من تكثير الألبسة النفيسة خارج عن النفقة الواجبة، فضلاً عما تعارف عند جمع منهنّ من لبس بعض الألبسة مرّة أو مرّتين في بعض المناسبات ثمّ استبداله بآخر مختلف عنه نوعاً أو هيئة في المناسبات الأخرى. (٤٥١)

سؤال (٢): هل مصاريف علاج الزوجة من جملة النفقة الواجبة على الزوج؟

الجواب: نعم، أجره الطبيب والأدوية المتعارفة التي يكثر الاحتياج إليها عادة، بل وكذا ما يصرف في سبيل علاج الأمراض الصعبة التي يتفق الابتلاء بها من النفقة الواجبة وإن احتاج إلى بذل مال كثير ما لم يكن حرجياً على الزوج. (٤٥٢)

وأما الحقوق المستحبة للزوج تجاه زوجته فكثيرة، نذكر منها: استحباب التوسعة على الأهل إذا وسَّع الله عليه في الرزق. وهذا هو القدر الزائد على الواجب الذي أوصى الزوج بذلك فهو مستحب أكيداً. (٤٥٣)

مثال ذلك: توفير طعام أفضل، شراء هدايا، وتحسين المسكن والأثاث، الاهتمام بتعليم الأبناء وزواجهم، إدخال السرور عبر الترفيه المباح كالسفر للسياحة، أو زيارة المراقد المشرفة، ومساعدتهم مالياً عند الحاجة أو لأداء مناسك الحج والعمرة، وكل ذلك مستحبٌ مؤكَّد لتعزير المودة الأسرية.

سؤال (٣): إذا كانت الزوجة عليها ديون بسبب نفقات غير واجبة على الزوج، مثل: شراء الذهب، أو أداء العمرة، أو تسديد ديون أهلها، فهل يجب على الزوج دفع هذه الديون عنها؟

الجواب: لا يجب عليه ذلك، يقول سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في كتابه منهاج الصالحين^(٤٥٤): النفقة الواجب بذلها للزوجة هو ما تقوم به حياتها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وأثاث ونحوها، دون ما تشتغل به ذمتها ممّا تستدينه لغير نفقتها، وما تنفقه على من يجب نفقته عليها، وما يثبت عليها من فدية أو كفارة أو أرش جنائية ونحو ذلك.

ولكن يستحب له دفعها لأنها تدخل في باب النفقة المستحبة، التي أشار إليها الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية قيد البحث بقوله: «أرضاكم عند الله أسبغكم - أي أوسعكم - على عياله». (٤٥٥)

الْمَبْنُوتُ الثَّانِي: آثَارُ التَّفَقُّهِ بَيْنَ الْعِطَاءِ وَالِافْتِنَاءِ

وسنظره بالمطلبين الآتين:

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الْآثَارُ الْمُتَرْتِبَةُ عَلَى الْمُنْفِقِ

إن الآثار المترتبة على المنفق والموسع على عياله عديدة، نذكر منها الآتي:

١. نيل رضا الله: عن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغَكُمْ «أَوْسَعَكُمْ» عَلَى عِيَالِهِ». (٤٥٦)
٢. الفوز بمحبة الله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عيال الرجل أسراؤه وأحبّ العباد إلى الله عز وجل أحسنهم صنعا إلى اسرائه». (٤٥٧)
٣. معادلة أجر المجاهد في سبيل الله: يروى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرّ في غزوة تبوك بشاب يسوق إبله، فقال بعض الصحابة ما مضمونه: لو كانت قوته في سبيل الله لكان خيراً! فسأله النبي عن عمله، فأجاب أنه يكسب لرعاية أهله وسداد دينه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لئن كان صادقاً، إن له لأجراً مثل أجر الغازي، وأجر الحاج، وأجر المعتمر». (٤٥٨)
٤. تكفير الذنوب: وعنه صلى الله عليه وآله: «من بات كالأمن طلب الحلال، بات مغفوراً له». (٤٥٩)
٥. استحقاق الجنة: قال صلى الله عليه وآله: «من عال ثلاث بنات يعطى ثلاث روضات من رياض الجنة كل روضة أوسع من الدنيا وما فيها». (٤٦٠)
٦. طلب الحلال صدقة من الله على العبد: وعنه صلى الله عليه وآله: «من أنفق على نفسه نفقة يستعفّ بها فهي له صدقة، ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي له صدقة» (٤٦١)، إن الصدقة ليست فقط إعطاء المال للمحتاجين، بل تشمل أي عمل خير يعود بالنفع على الإنسان وأهله، ومنها السعي لكسب المال الحلال.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الأَثَارُ المُنْتزِئَةُ عَلَيَّ المُمْتَنِعِ عَنِ النَّفَقَةِ

وهي عديدة، نذكر منها الآتي:

❖ **إِنَّهُ آثَمُ:** قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله». (٤٦٢)

❖ **اللَعْنُ:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ملعون ملعون من ضيع من يعول» (٤٦٣). ومن آثار اللعن الأخرى دخول النار.

❖ **يَتَمَنَى العِيَالُ مَوْتَهُ:** روي عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته وتلا هذه الآية: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾» (٤٦٤)، قال: الأسير عيال الرجل، ينبغي إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم». (٤٦٥)

❖ **زَوَالُ النِّعْمَةِ:** روي عن مسعدة قال: قال لي أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ عِيَالَ الرَّجُلِ اسْرَأُوهُ فَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَلْيُوسِّعْ عَلَى اسْرَائِهِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَوْشَكَ أَنْ تَزُولَ النِّعْمَةُ». (٤٦٦)

تنبیه: من المفارقات العجيبة أن بعض المسلمين يحرصون على أداء المستحبات بينما يقصرون في الواجبات، فتراهم ينفقون على الفقراء واليتامى، لكنهم يهملون إخراج الحقوق الشرعية الواجبة، كالخمس وسداد الديون. وقد يبذلون المال في إحياء الشعائر الحسينية، في حين يقصرون في النفقة الواجبة على الزوجة، الأبناء، أو الوالدين، رغم أن الواجب مقدّم على المستحب، لأن الإنسان مسؤول عنه ومحاسب على تركه. فمن يقصر في أداء الفرائض يُعرض نفسه للعقاب، كما أن الله لا يقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين - أي الذين لا يرتكبون المعاصي -، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤٦٧)، ومعلوم أن التقصير في النفقة الواجبة أو الامتناع عن دفعها معصية كبيرة.

وإليكم السؤال الوارد إلى مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

سؤال: رجل امتنع عن النفقة على زوجته وأولاده، لأنه يوجه اهتماماته المادية حالياً إلى مشروع خيري سيوقف لأبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. لمن تكون الأولوية

في النفقة للأولاد والزوجة، أم لذلك المشروع؟

الجواب: لا يجوز إذا كانت النفقة التي منعها هي النفقة الواجبة. (٤٦٨)

لذا وجب علينا أن نصحح من سلوكنا المنحرف بأن نقدم الواجبات على المستحبات، روي عن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «لئن ادخل السوق، ومعي دراهم أبتاع لعيالي لحماً، وقد قرموا^(٤٦٩) إليه، أحب إليّ من أن أعتق نسمة». (٤٧٠)

(وروي أن رجلاً قال لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن لي ضيعة بالجبل أشغلها في كل سنة ثلاثة آلاف درهم، فأنفق على عيالي منها ألفي درهم، وأتصدق منها بألف درهم في كل سنة. فقال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن كانت الألفان تكفيهم في جميع ما يحتاجون إليه لستهم فقد نظرت لنفسك، ووفقت لرشدك وأجريت نفسك في حياتك بمنزلة ما يوصى به الحي عند موته». (٤٧١)

فالظاهر إن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يرشده أن هذا العمل يثاب عليه فيما إذا كفاهم، (ما صرفت عليهم وإلا فعليك أن تصرف الباقي عليهم لأنهم أولى من غيرهم^(٤٧٢))، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يوماً قال لأصحابه: «تصدقوا فقال رجل: إن عندي ديناراً قال: أنفقه على نفسك، فقال: إن عندي آخر قال: أنفقه على زوجتك، قال: إن عندي آخر، قال: أنفقه على ولدك. قال: إن عندي آخر، قال: أنفقه على خادمك، قال: إن عندي آخر، قال صلى الله عليه وآله - أنت أبصر به^(٤٧٣)، فقله صلى الله عليه وآله: «أنت أبصر به» أي بعد أداء النفقة الواجبة والمستحبة على الأهل والعيال لك الحق في صرف ما تبقى على الفقراء أو الشعائر الدينية أو ما يشاء من مواطن الحلال.

قد يظن الرجل أن تفضيل الآخرين على زوجته وأهله في الإنفاق يمنحه ثواباً أعظم، إلا أن هذا الاعتقاد غير صحيح، إذ أن أعظم الأجر في النفقة يكون في الإنفاق على الزوجة والأبناء والوالدين وبقية الأهل، وكما قيل: الأقربون أولى بالمعروف، روي عن صلى الله عليه وآله أنه قال: «دينار أنفقته على أهلك ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، وأعظمها أجرا الدينار

الذي أنفقته على أهلك» (٤٧٤).

بعد أن تبين لنا أن النفقة من واجبات الزوج، فهذا لا يعني أن الحديث عنها موجه إلى الرجال فقط، بل للمرأة أيضاً دور مهم في هذا الجانب. فمن مسؤولياتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بتنبية الرجال - سواء كانوا أزواجاً أو آباءً أو أبناءً أو غيرهم - إلى أهمية دفع النفقة الواجبة والمستحبة لمن يعولون، وحثهم على تجنب التهرب من الإنفاق، لما لذلك من أثر كبير في استقرار الأسرة والمجتمع.

كما أن الزوجة، قد يكون لها دور غير مباشر في بعض مشكلاتها الزوجية المالية، مثل: مشكلة (استغلال الزوجة مادياً) أو مشكلة (بخل الزوج). فرغم أن المسؤولية الأساسية تقع على الرجل، إلا أن بعض تصرفات الزوجة قد تسهم في تفاقم المشكلة، بسبب الإفراط في الإنفاق، أو التساهل في قبول التجاوزات المالية، أو عدم وضع حدود واضحة منذ البداية، أو الجهل بالحقوق الشرعية وعدم المطالبة بها وغيرها.

وترد إلينا العديد من الاستشارات حول هذه المشكلات، ولإيجاد الحلول المناسبة لها، لا بد من الوقوف على أسبابها، ومظاهرها، وآثارها، وهو ما سنتناوله في المبحثين الآتيين.

المبحث الثالث: مُشكلةُ استغلالِ الرَّوْجَةِ مَادِيًّا

تتمثل المشكلة في استغلال بعض الأزواج للظروف الاقتصادية للزوجة العاملة أو الغنية، وذلك بأن يفرض الزوج الإنفاق عليها بشكل مباشر أو غير مباشر، كإجبارها على دفع نفقات الأسرة، أو الضغط عليها لتقديم جزء من راتبها، أو حتى السيطرة عليه بالكامل، مما يُشكّل انتهاكاً لاستقلاليتها المالية رغم أن الشريعة الإسلامية تقرّر على نحو قاطع بأن للمرأة، كما الرجل تماماً، أهلية التملك وحق التصرف في أموالها وممتلكاتها. ذلك أن الحديث الشريف: «الناس مسلطون على أموالهم» (٤٧٥)، يصدق على المرأة تماماً، باعتبارها جزءاً من الناس، وكذلك الحال مع الحديث الآخر: «لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» (٤٧٦). (٤٧٧)

وبذلك لا يحل للزوج أخذ أموال زوجته بدون رضاها، بل أيضاً يشكّل أخذها حياءً، فكما قيل (المأخوذ حياءً كالمأخوذ غصباً).^(٤٧٨)
وستتناول هذه المشكلة من خلال المطالب الآتية:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: مَظَاهِرُ اسْتِغْلَالِ الزَّوْجَةِ مَادِّيًّا

تشمل صور الاستغلال المادي للزوجة ما يلي:

- ◆ إجبار الزوجة على الإنفاق على الأسرة، مثل: دفع تكاليف السكن، فواتير الخدمات، أو شراء الاحتياجات المنزلية.
- ◆ السيطرة على راتب الزوجة، سواء عن طريق الحصول على توكيل مالي، أو اصراره على معرفة الرقم السري لبطاقة الصرف الآلي الخاصة بزوجته، أو مطالبتها بتسليمه للزوج شهرياً.
- ◆ محاسبة الزوجة عند الصرف من أموالها بدون أذنه وكأنه المالك، والشك والمبالغة في تفسير مواقف الطرف الآخر.
- ◆ الضغط النفسي والابتزاز العاطفي، مثل: التهديد بمنعها من العمل في حال رفضها مشاركة راتبها، أو التهديد بالطلاق.
- ◆ الزجّ باسم الزوجة في الالتزامات المالية، مثل: القروض أو الاستثمارات التي يكون الزوج هو المستفيد الفعلي منها.
- ◆ تخلي الزوج عن مسؤولياته المالية، واعتبار دخل الزوجة مصدرًا رئيسيًا للإنفاق على المنزل.

المَطْلَبُ الثَّانِي: الْأَسْبَابُ الْمُؤَدِّيَّةُ لِظُهُورِ الْمَشْكِلةِ

أولاً: أسباب تتعلق بالزوج:

١. ضعف الوازع الديني وعدم الوعي بحقوق الزوجة المالية.
٢. الطمع والجشع لدى الزوج: حب المال طبيعة بشرية، قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ

المال حُبًّا جمًّا (٤٧٩)، لكن الشريعة أوجبت تقديم محبة الله ورسوله وآله، والالتزام بالحقوق المالية. ويختلف الناس في طمعهم، فمنهم من يحفظ مروءته، ومنهم من يستغل زوجته مادياً.

٣. قلة الدخل أو البطالة، وذلك بأن يكون الزوج غير موظف أصلاً، أو أنه لم يستطع الاستمرار في وظيفة محددة، أو أن دخله قليل جدل مما يدفع بعض الأزواج للاعتماد على دخل الزوجة.

٤. حب السيطرة والتحكم في القرارات المالية للأسرة، لاعتقاده الخاطئ أن قيمومة الزوج على الزوجة تميز له التسلط على زوجته وأموالها، أو تربي تربية خاطئة بأن الرجولة تتمثل في التسلط والسيطرة على الزوجة وأموالها.

٥. التزامات مالية أخرى، مثل: إعالة أسرته أو والديه، أو زيادة تكاليف الحياة، وانغماس الناس في الكماليات والترف تجعلهم يبحثون عن مصادر دخل إضافية.

ثانياً: أسباب تتعلق بالزوجة:

١. الجهل بحقوقها الشرعية التي تكفل لها استقلالها المالي.

٢. ضعف الشخصية والخضوع لرغبات الزوج دون نقاش.

٣. التساهل في التعرف على شخصية الزوج قبل الزواج؛ فثمة عدد من الأزواج يحرص على المرأة الموظفة ليستفيد من دخلها، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك من مقاصد بعض الناس في الزواج فقال: «تنكح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها، فعليك بذات الدين». (٤٨٠)

المطلب الثالث: الآثار السلبية للمشكلة

إن استمرار هذه المشكلة دون حل يقود إلى آثار سلبية، ومنها:

أولاً: على الزوج:

❖ فقدان احترام زوجته وأبنائه نتيجة تخليه عن مسؤوليات، وضعف مكانته الأسرية وفقدان دوره القيادي داخل البيت.

◆ الصراع والخصام بين الزوجين وتعكير صفو الحياة الزوجية مما يقودها في حالات كثيرة إلى الطلاق وبالأخص حين يكون دخل المرأة عاملاً مهماً لدى الزوج، وأحد مصادر رغبته في الزواج منها.

◆ تقصير الزوج في عمله فبعض الأزواج يتساهل في عمله نتيجة وجود مصدر آخر أو يقصر في البحث عن فرص عمل إن لم يكن مرتبطاً بعمل.

ثانياً: على الزوجة:

◆ الشعور بالظلم والضغط النفسي، مما قد يؤثر على صحتها النفسية والجسدية.

◆ فقدان الشعور بالأمان في العلاقة الزوجية.

◆ اللجوء إلى الكذب أو التحايل لتجنب استغلالها.

ثالثاً: على الأسرة والأبناء:

◆ انعدام الاحترام بين الوالدين، مما ينعكس سلباً على الأطفال.

◆ شعور الأبناء بعدم احترام والدهم، مما يضعف سلطته التربوية عليهم.

المطلب الرابع: الحُلُولُ وَالتَّوَجِيهَاتُ لِمُعَالَجَةِ المُشْكَلَةِ

وهي عديدة، ونذكر منها النقاط الآتية:

أولاً: اختيار الزوج غير الاستغلالي قبل الزواج

يمكن تجنب كثير من المشكلات قبل الزواج عبر مراعاة بعض المعايير عند اختيار الزوج، ومنها:

١. التحقق من موقفه تجاه عمل المرأة: إذا كان الرجل يظهر اهتماماً مفرطاً براتب خطيبته أو يصرّ على عملها، فقد يكون ذلك مؤشراً على رغبته في استغلالها مالياً، لذا ينبغي للمرأة أن تتحاور معه بوضوح حول هذه النقطة قبل اتخاذ قرار الزواج.

٢. التأكد من جدية الرجل واستقلاله المادي: قبول الزواج من رجل عاطل أو غير جاد في العمل قد يؤدي إلى اعتماده على دخل زوجته، لذا من المهم أن تقيّم المرأة

مدى مسؤولية الرجل قبل الزواج.

٣. وضح الاتفاقات بين الطرفين: ينبغي لكل من الزوجين توضيح مواقفهما من القضايا المالية وعمل المرأة قبل الزواج، والاتفاق بوضوح على الحقوق والواجبات، مع إمكانية إدراج الشروط المناسبة في عقد الزواج لتحمي نفسها.

ثانياً: تفرغ الزوجة لمهمتها الأساسية داخل المنزل

رغم أن عمل المرأة خارج المنزل قد يحقق استقراراً مالياً للأسرة، إلا أنه قد يترتب عليه بعض الآثار السلبية، ومنها:

١. ضعف التوازن الأسري والتربوي: انشغال المرأة بعملها قد يقلل من وقتها المخصص لرعاية الأبناء وإدارة شؤون المنزل، مما قد يؤثر على استقرار الأسرة.
 ٢. زيادة الضغوط النفسية والجسدية: تحمل المرأة مسؤوليات العمل والمنزل معاً قد يؤدي إلى الإرهاق، مما قد ينعكس سلباً على علاقتها الزوجية والحياة الأسرية.
 ٣. تأثير العمل على العلاقة الزوجية: قد يؤدي انشغال الزوجة بالعمل إلى قلة التواصل مع الزوج، مما قد يؤثر على الروابط العاطفية داخل الأسرة.
 ٤. التعرض لمواقف غير شرعية: في بعض بيئات العمل المختلطة، قد تجد المرأة نفسها في مواقف غير شرعية، مثل: الخلوة أو التبرج أو تجاوز الحدود الشرعية، مما قد يؤدي إلى مفاسد دينية واجتماعية.
- بناءً على ذلك، للمرأة خياران:

ترك العمل والتفرغ لمهمتها الأساسية الأسرية، كما فعلت السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، مما يضمن استقرار الأسرة ويجنبها استغلال الزوج لراتبها. وفي حال الشك في نوايا الزوج تجاه المال، يُنصح بأن تأخذ المرأة إجازة بدون راتب لفترة تجريبية، لاختبار مدى استقلالية الزوج في الإنفاق وعدم استغلاله لدخلها.

أو تختار الموازنة بين العمل خارج المنزل وبين الأسرة، ولكنها ستحتاج للحلول الأخرى.

ثالثاً: توعية الزوج بحقوق الزوجة المالية

ينبغي توعية الزوج بالحوار المقنع والتفاهم بأن الإسلام كفل للمرأة الاستقلال المالي، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾^(٤٨١)، فهي كالرجل لها حق التملك والتصرف في مالها دون إذن زوجها. والزوج مسؤول شرعاً عن الإنفاق على زوجته وأبنائه، ولا يجوز له إجبارها على المشاركة في المصاريف، ولقد وضحنا الأحكام في المبحث الأول، وإليك جواب مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) لهذا السؤال:

هل يجوز للرجل أخذ راتب الزوجة مع العلم أن لديه راتب؟

الجواب: لا يجوز له ذلك إلا برضاها وموافقتها، ولا يجب على الزوجة أن تتكفل بنفقات بيت الزوجية.^(٤٨٢)

رابعاً: توجيه الزوج إلى تحمل مسؤولياته

على الزوجة أن تحث زوجها بلطف وحكمة على تحمل مسؤولياته، مذكرةً إياه بأن الله قد جعله مسؤولاً عن أهل بيته، ومن أوجه هذه المسؤولية توفير النفقة لهم. ويكون ذلك بأسلوب التعريض واللين، مستخدمةً عبارات مناسبة بعيداً عن الاستفزاز أو العبارات القاسية المباشرة. ومن الوسائل الفعالة في ذلك تذكيره بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،... والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم...».^(٤٨٣)

كما يمكنها أن تضع في متناول يده أو في مجال رؤيته مقاطع فيديو لخطباء ورجال دين، أو كتباً تبين وجوب نفقة الزوج على زوجته وأولاده، وتوضح العواقب الوخيمة للإهمال في هذا الجانب، كما أشرنا في المبحث الأول.

أما إذا كان الزوج عاطلاً عن العمل، فعليها أن تحثه على السعي لكسب الرزق، مستشهدةً بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صلاة ولا صوم، قيل: يا رسول الله فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة»^(٤٨٤)، وروي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كتب إلى رجل من أصحابه: «.. لا تكسل عن معيشتك، فتكون كلاً على غيرك».^(٤٨٥)

خامساً: توجيهات للزوجة العاملة مع الزوج الاستغلالي

على الزوجة العاملة التعامل بحكمة مع الزوج الذي يحاول استغلال أموالها، ومن أهم التوجيهات في هذا الجانب:

١. الحفاظ على الاستقلال المالي: يجب على الزوجة عدم السماح للزوج بالتحكم الكامل في راتبها، لأن التنازل عن ذلك في البداية يدفعه للاقتناع بأنه من واجباتها الزوجية. لذا، من الضروري أن تعزز ثقتها بنفسها وتفرض احترام حقوقها المالية.

٢. طلب الدعم عند الحاجة: يمكن إشراك أطراف محايدة، مثل: الأهل أو المستشارين الأسريين، عند مواجهة مشاكل مالية مع الزوج، لضمان إيجاد حلول عادلة ومنصفة.

٣. التنازل عن جزء من الراتب: قد يصير الزوج على عدم السماح لزوجته بالعمل إلا إذا أعطته جزءاً من راتبها. شرعاً، يجوز ذلك في بعض الحالات، وإليك سؤال مشابه لحالتنا مع جوابه وارد من مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

السؤال: هل يجوز للزوج إذا وافق على عمل زوجته أن يشترط عليها أن تعطيه جزءاً من راتبها هو يحدده؟ وإذا لم تعطه يطلب منها أن تتوقف عن العمل؟

الجواب: (إذا لم تكن الزوجة موظفة قبل الزواج ولم تشترط عليه العمل، فيجوز للزوج أن لا يوافق على عملها خارج المنزل إلا وفق شروط يحددها، بما في ذلك مشاركته في راتبها. أما إذا وافق على عملها دون شرط مسبق، فلا يجوز له بعد عقد التوظيف أن يلزمها بمنحه جزءاً من راتبها، ولا أن يمنعها من الاستمرار في العمل). (٤٨٦)

وبصرف النظر عن الحكم الشرعي، قد تجد الزوجة نفسها مضطرة للعمل والتنازل عن جزء من راتبها، كما إذا كان الزوج يمتنع عن دفع النفقة الكاملة ولم تفلح معه جميع الحلول، أو كان دخله غير كافٍ لتغطية احتياجات الأسرة فتعمل لسد النقص.

٤. رفض تحمل المسؤوليات المالية الأساسية: ينبغي على الزوجة أن لا تتحمل أعباء مالية تقع على عاتق الزوج، مع تجنب الصدام المباشر، مثل: عدم الاقتراض

باسمه لتجنب تهربه من السداد.

٥. إدارة الأمور المالية بحكمة: يُفضّل أن لا تفشي الزوجة كل تفاصيل دخلها لزوجها الاستغلالي، وأن تحتفظ بجزء من راتبها للادخار.

٦. احتساب العمل قربةً إلى الله: إذا اضطرت الزوجة للعمل والمساهمة في النفقة، فمن المهم أن تحتسب ذلك لوجه الله، مستذكرة قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾^(٤٨٧)، وقول النبي صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله».^(٤٨٨)

بهذا تتمكن الزوجة من إدارة شؤونها المالية دون أن تتعرض للاستغلال الكلي أو تُحمّل ما لا يلزمها.^(٤٨٩)

المَبَكْتُ الثَّالِثُ: مُشْكِلةُ بَخْلِ الرَّوْجِ وَعَدَمِ التَّفَقُّهِ عَلَى أُسْرَتِهِ

البخل في السياق الأسري يُعرف بأنه تقثير الزوج في النفقة على زوجته وأبنائه وأسرته رغم امتلاكه المال الكافي، بحيث يظهر ذلك بشكل واضح يؤثر على مستوى المعيشة، ويتسبب في ضغوط نفسية واجتماعية داخل الأسرة.

وستتناول هذه المشكلة من خلال المطالب الآتية:

المَطْلَبُ الأوَّلُ: مَظَاهِرُ مُشْكِلةِ البَخْلِ

عند استشارة المستشارين الأسريين حول العلامات الدالة على بخل الزوج، نجد أن هناك عدة مظاهر تُذكر في هذا السياق، منها:

١. التقثير في الضروريات مثل: الطعام، الشراب، الملابس، وحتى الإنفاق على صحة الزوجة والأبناء.

٢. المحاسبة المفرطة على أي زيادة في الإنفاق، حتى لو كانت بسيطة.

٣. تجنب إقامة المناسبات الاجتماعية كالولائم والاحتفالات العائلية.

٤. حرمان الأبناء من المصروف المدرسي والاكتفاء بما يُقدّم لهم في المنزل.

٥. الامتناع عن السفر مع العائلة حتى خلال فترات الإجازة.
٦. الحرمان من الترفيه والترويح عن النفس للأسرة.
٧. عدم شراء الملابس الجديدة، خاصة في المناسبات كالأعياد.
٨. عدم تخصيص مصروف للزوجة، مما قد يدفعها إلى طلب المساعدة من أقاربها.
٩. تجنب استضافة الآخرين في المنزل حتى في المناسبات الاجتماعية المعتادة.
١٠. التضييق في شراء الحاجيات الضرورية وتأجيلها قدر الإمكان، مع الغضب والسباب عند دفع أي فاتورة مهما كانت بسيطة.

السؤال المهم الذي وجب علينا طرحه هو: **هل هذه المظاهر تدل على البخل شرعاً؟**

الجواب: ليس بالضرورة، فليست كل هذه السلوكيات علامة على البخل وفق المنظور الإسلامي، بل إن بعضها قد يكون ناتجاً عن ظروف مالية صعبة أو نهج اقتصادي يراه الزوج مناسباً.

مع الأسف، هناك خلط في المفاهيم لدى بعض الزوجات، حيث تُفسَّر قلة الإنفاق على الكماليات، أو عدم الاستجابة لجميع الطلبات، أو عدم تمويل السفر والاحتفالات على أنه بخل، في حين أن هذه الأمور ليست واجبة شرعاً، بل تعتمد على قدرة الزوج ورؤيته الاقتصادية للأسرة. لذا، يجب التمييز بين البخل كعيب حقيقي في الشخصية، وبين التدبير المالي الذي يراعي الظروف والإمكانات المتاحة، وبين المسرف غير المدبر، حيث أن:

❖ الرجل البخيل شرعاً: هو الذي يقصر في النفقة الواجبة على زوجته وأبنائه رغم قدرته المالية، فيمنع عنهم الطعام، واللباس، والعلاج، والمسكن المناسب، مما يجعله آثماً شرعاً.

❖ الرجل المسرف وغير المدبر: هو الذي ينفق بلا حساب حتى على أمور غير ضرورية، مما قد يعرض الأسرة لمشاكل مالية مستقبلية.

❖ الرجل الحريص اقتصادياً: هو الذي لا يمنع النفقة الواجبة لكنه يدير أمواله بحكمة، فلا يسرف في الإنفاق على الكماليات والمظاهر الاجتماعية الزائدة.

والنموذج الثالث هو الذي دعت إليه الشريعة الإسلامية، حيث حثت على الاعتدال في الإنفاق من خلال «الاقتصاد والتقدير»، وهو التدبير المتوازن للموارد المالية بحيث لا يكون الإنسان مبدراً ولا بخيلاً، بل يوازن بين الإنفاق والتوفير وفقاً لاحتياجاته ومسؤولياته. وقد وردت نصوص عديدة في هذا المجال، منها:

❖ روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «دع الاسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك». (٤٩٠)

❖ عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من علامات المؤمن ثلاث: حسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة، والتفقه في الدين. وقال: ما خير في رجل لا يقتصد في معيشته، ما يصلح لا لدنياه ولا لآخرفته». (٤٩١)

❖ روي أن أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٤٩٢)، فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده، فقال: هذا الإقتار الذي ذكره الله عز وجل في كتابه، ثم قبض قبضة أخرى فأرخى كفها كلها، ثم قال: هذا الإسراف، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها وقال: هذا القوام (٤٩٣)». (٤٩٤)

وينبغي أن نعرف أن البخل ليس كله محرماً، بل ينقسم إلى نوعين:

١. البخل الشرعي المحرم: هو امتناع الرجل عن توفير النفقة الواجبة لأهله، كالمأكل والمسكن والعلاج، رغم قدرته المالية. وهذا يُعد ظلمًا للأهل، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن أكبر الإثم عند الله أن يضيع الرجل من يقوت». (٤٩٥)

٢. البخل الأخلاقي المذموم: وهو الاكتفاء بالحد الأدنى من الإنفاق الواجب، دون التوسعة على العائلة رغم القدرة المالية. شرعاً، هذا النوع غير محرم لكنه مذموم، وقد قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله». (٤٩٦)

بناءً على ذلك، يتضح أن كثيراً من الزوجات اللاتي يحكمن على أزواجهن بالبخل قد لا يكون حكمهن دقيقاً، إذ قد يكون الزوج حريصاً وليس بخيلاً بالمعنى الشرعي.

المطلب الثاني: الأسباب المؤدية إلى بخل الزوج

هناك عدة عوامل قد تؤدي إلى بخل الزوج، منها:

١. ضعف الإيمان وعدم الثقة بموعد الله بالرزق لمن ينفق بسخاء.
٢. النشأة في بيئة بخيلة واكتساب هذا السلوك من الأسرة والمحيط.
٣. الخوف المفرط من المستقبل والتوجس من نقص المال.
٤. التعرض للحرمان في الطفولة مما يجعله متمسكاً بالمال بشكل مبالغ فيه.
٥. السعي لتكوين ثروة والتفاخر بجمع المال دون مراعاة احتياجات أسرته.
٦. الفارق الثقافي بين الزوجين، حيث قد يرى الزوج بعض الضروريات مجرد كماليات غير لازمة.
٧. غياب الإحساس بالمسؤولية المالية بعض الرجال يعدون الإنفاق على المنزل ليس مسؤوليتهم الكاملة، لذا يرمون العبء على الزوجة، خاصة إذا كانت عاملة.

المطلب الثالث: الآثار السلبية لبخل الزوج

١. استمرار الزوج في البخل وعدم إنفاقه على أسرته يؤدي إلى آثار خطيرة، منها:
- كثرة الشجار والخلافات الزوجية، مما قد يضعف العلاقة الزوجية وقد يؤدي إلى انهيارها.
٢. شعور أفراد الأسرة بالحرمان والغبن رغم معرفة الأبناء بقدرته والدهم المالية.
٣. نمو مشاعر الكراهية لدى الأبناء تجاه والدهم، بسبب عدم تلبية احتياجاتهم.

الأساسية.

٤. لجوء بعض الزوجات إلى طلب الطلاق بعد نفاذ صبرهن من العيش في ظروف مالية قاسية.
٥. بحث الأبناء أو الزوجة عن مصادر دخل غير مشروعة بسبب الحاجة الماسة للمال.
٦. انحراف الزوجة أو الأبناء نتيجة الضيق المالي، مما قد يدفعهم للجوء إلى طرق غير سليمة لتأمين احتياجاتهم.
٧. الإصابة باضطرابات نفسية لدى الزوجة والأبناء نتيجة الضغط المستمر والمعاناة المادية.
٨. غياب القدوة الصالحة داخل الأسرة، مما قد يؤثر على تنشئة الأبناء ويجعلهم غير متزينين في نظرهم للمال والإنفاق مستقبلاً.

المطلب الرابع: حُلُولُ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الرَّوْجِ الْبَخِيلِ بِحِكْمَةٍ

ونذكر منها الآتي:

١. الوقاية قبل الزواج: عن طريق التأكد من سلوك الخطيب في الإنفاق من خلال مراقبة تصرفاته وسؤال معارفه.
٢. التمييز بين البخل والاقتصاد: بعض الأزواج يديرون أموالهم بحكمة وليسوا بخلاء، لذا يجب فهم نواياهم قبل الحكم عليهم، وقد ذكرنا في المطلب الأول بأن هناك فرق بين البخل والحريص.
٣. تدريبه على تحمل المسؤولية المالية: جعله مسؤولاً عن بعض المصاريف تدريجياً حتى يعتاد على الإنفاق دون تردد.
٤. الحوار الهادئ بدلاً من المواجهة: ينبغي تجنب الاكثار من اتهامه بالبخل واستخدام أسلوب لطيف لشرح تأثير التقدير على الأسرة، وتذكيره بأن النفقة أمر إلهي يترتب على التقصير فيه نيل غضب الله وعقوبات في الدنيا والآخرة.

٥. ربط الإنفاق بالفوائد الشخصية: كأن توضح الزوجة لزوجها كيف أن توفير احتياجات الأسرة الأساسية يعزز الاستقرار والراحة، مثل أن شراء طعام جيد ينعكس على صحة الأطفال وسعادتهم، مما يجنبهم مشكلات صحية مستقبلية.
٦. فهم أسباب بخله والتعامل معها بذكاء: فإن كان بسبب مخاوف مالية، فيمكن طمأنته بأسلوب غير مباشر مثل: اقتراح خطط مالية واضحة.
٧. تعويده على ثقافة العطاء: بتشجيعه على التبرع ولو بمبلغ بسيط ليشعر بأثر الكرم على حياته.
٨. التشجيع بالحب والاهتمام: بطلب المال بأسلوب ودود بعيد عن التذمر أو الصوت المرتفع.
٩. تعليمه الكرم بالقدوة: بتقديم الهدايا له ليعتاد على فكرة العطاء المتبادل.
١٠. إيجاد حلول عملية: كاقترح ميزانية متوازنة بوضع خطة مالية واضحة تحدد مقدار الإنفاق الشهري على الاحتياجات الأساسية مثل الطعام، الفواتير، والمصاريف العائلية، بحيث يكون هناك توازن بين الدخل والمصروفات دون إسراف أو تقتير.
١١. الصبر وعدم استعجال التغيير: البخل عادة تحتاج إلى وقت طويل للتغيير، لذا يجب التعامل معه بالصبر والتدرج.
١٢. تثقيف الأبناء حول الإنفاق المتوازن: تعليمهم منذ الصغر الاعتدال في الصرف حتى لا يكتسبوا صفة البخل.

قد تسأل زوجة قائلة: كيف يمكنني التعامل مع بخل زوجي بعدما جرّبت جميع التوجيهات والنصائح دون أن أجد منه أي استجابة أو تغيير؟
الجواب:

هناك خطوات أكثر عمقاً يمكنها اتباعها بحكمة ووعي لضمان استقرار حياتها الزوجية والمالية، وهي كالآتي:

١. اللجوء إلى وسطاء موثوقين: يمكن الاستعانة بأشخاص مؤثرين في حياة الزوج، مثل: أفراد من العائلة أو أصدقاء يحظون بثقته، لإقناعه بضرورة تحقيق التوازن المالي في الأسرة والإنفاق بما يتناسب مع احتياجاتها الأساسية.

٢. البحث عن حلول مالية مستقلة: إذا لم يستجب الزوج، يمكن للزوجة التفكير في مصادر دخل إضافية، كالتجارة المنزلية أو العمل، لتغطية الاحتياجات الضرورية دون إثارة النزاعات. (نعم تستطيع الزوجة لو كانت غنية أن تنفق على زوجها من قبيل الصدقة والإحسان لا من قبيل الوجوب الشرعي عليها).^(٤٩٧)

٣. التكيف مع الواقع والصبر: لا ينبغي التسرع في طلب الطلاق، بل محاولة التأقلم مع طبيعة الزوج، خاصة إذا لم يكن البخل يؤثر بشكل جذري على الأساسيات الحياتية للأسرة.

٤. تعزيز القناعة وإدارة المال بحكمة: تذكير الزوجة بأن السعادة ليست في كثرة المال، بل في حسن تدبيره، وتجنب مقارنة حياتها بحياة الآخرين. والتركيز على التكيف مع الظروف الحالية دون الانشغال بالمظاهر المادية الزائلة.

٥. ضبط الإنفاق وتجنب المطالب الزائدة: ينبغي التخطيط الجيد للمصروفات، وتجنب إثقال كاهل الزوج بطلبات غير ضرورية. والحد من النفقات الكمالية، مثل: السفر الترفيهي، إذا لم يكن الوضع المالي يسمح بذلك.

٦. الموقف الشرعي في حال امتناع الزوج عن النفقة: شرعاً إن طالبتَه ولم يدفع إليها، جاز لها أن تأخذ منه لنفقتها الشخصية ولو من دون إجازته ورضاه، وأما بالنسبة لنفقة الأولاد فلا يجوز لها ذلك، وعليها أن تعيد ما أخذته لنفقة أولادها إلى أمواله وإن لم تخبره بذلك، أو تقول له ليساعها^(٤٩٨).

روي أن هند بنت عتبة أم معاوية جاءت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».^(٤٩٩)

٧. حق الزوجة في طلب الطلاق عند الضرورة: إذا كان بخل الزوج شديداً لدرجة إلحاق الضرر بها وبأبنائها، ولم تُجدِ كل الوسائل في تغييره، يمكنها اللجوء

إلى الحاكم الشرعي، فإذا لم ينفع أمكنها اللجوء إلى الجهات القانونية لضمان حقوقها وحقوق أبنائها إذا كان امتناعه عن الإنفاق يُسبب ضرراً واضحاً للأسرة. (٥٠٠)

نفهم مما تقدم أن البخل خصلة مذمومة، مبعوضة عند الزوجة والأولاد والناس، بل أيضاً عند الله، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار» (٥٠١)، وصدق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: «البخل عار» (٥٠٢)، فهو يفسد العلاقات، ويقتل المودة، ويهدد استقرار الأسرة، إذ لا تقوم الحياة الزوجية على الشح والتقتير، بل على العطاء والتراحم والكرم.

(فالكرم فضيلة تقع بين رذيلتين وهما السرف والبخل) (٥٠٣)، والتي عرّفها الإمام المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: «أما الكرم فالتبرع بالمعروف والاعطاء قبل السؤال والإطعام في المحل». (٥٠٤)

وينبغي علينا أن نتحلى بهذه الصفة لأنها من أسمى الفضائل التي دعا إليها الإسلام، وحثّ عليها أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي مقدمتهم كريم أهل البيت، الإمام الحسن المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي ضرب أروع الأمثلة في الجود والسخاء، حتى نزل فيه وفي أبيه وأمه وأخيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٥٠٥﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٥٠٥﴾. وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠٦﴾. (٥٠٦)

إنّه قدوتنا في الإيثار والجود والكرم، فمن كريم طبعه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لا ينتظر السائل حتى يسأله، ويرى ذل المسألة في وجهه، بل يبادر إليه قبل المسألة فيعطيه. وروي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:

يرتج فيه الرجاء والأمل
خوفاً على ماء وجهه من يسأل
لغاص من بعد فيضه خجل

نحن أناس نأولنا خصل
تجود قبل السؤال أنفسنا
لو علم البحر فضل نائلنا

نعم، في مثل هذا اليوم أطل على العالم الإسلامي كريم أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ بولادته المباركة. (لقد استقبل حفيد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسبطه الأكبر سيد شباب أهل الجنة دنيا الوجود في شهر هو أبرك الشهور وأفضلها حتى سمي شهر الله، وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وكان ذلك في السنة الثانية، أو الثالثة من الهجرة. (٥٠٧)

وقد شوهدت في طلعة الوليد طلعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبدت فيه شمائل النبوة ومحاسن الإمامة.

ولما أذيع نبأ ولادة الصديقة بالمولود المبارك غمرت موجات من السرور والفرح قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسارع إلى بيت ابنته - أعزّ الباقيين، والباقيات عليه من أبنائه - ليهنئها بمولودها الجديد ويبارك به لأخيه أمير المؤمنين، ويفيض على المولود شيئاً من مكرمات نفسه التي طبق شذاها العالم بأسره ولما وصل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى مثنوى الامام نادى: «يا أسماء: هاتيني ابني..» فانبرت أسماء، ودفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها.

وقال: «ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء؟»

وقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسره، وأباه بريقه (٥٠٨) وضمه إلى صدره، ورفع يديه بالدعاء له: «اللهم: إني أعيدته بك، وذريته من الشيطان الرجيم..» (٥٠٩)، ثم أذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى (٥١٠).

والتفت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أمير المؤمنين، وقد أترعت نفسه العظيمة بالغبطة والمسرات فقال له: «هل سميت الوليد المبارك؟»، فأجابه الإمام: «ما كنت لأسبقك يا رسول الله». وانطلق النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: «ما كنت لأسبق ربِّي..». وما هي الآ لحظات وإذا بالوحي يناجي الرسول، ويحمل له «التسمية» من الحق تعالى يقول له جبرئيل: «سمّه حسناً». (٥١١). (٥١٢)

فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلَايَ، يَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، يَوْمَ وُلِدَتْ
وَيَوْمَ مِتَّ وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيًّا.

قصيدة شعبية بمناسبة ولادة الإمام الحسن المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ (٥١٣):

وطارت أطيور الفرح واتبسمت
هامت ابحك بعد وأتهيمت
وكل معاني الكرم والجود أنزلت
وجبريل بارك والملائك أفرحت

فرحة في أول سبط أتكمرت
ولوت الزهرة الحسنه اوكبرت
اختارته العصمة اوبيه اتنصبت
كالعادة أحبابك وفت وأتهيات
الهوسات باسمك يا إمام اهللت

وأقمارنه أربع عشر أتورت
وكل مفردة خشعت الإسمك وانحت
بس لو أحس أبياتي عنك قصرت
والكرم والجود بيك أتعنونت
كل الظنون البيه والله اتوهمت

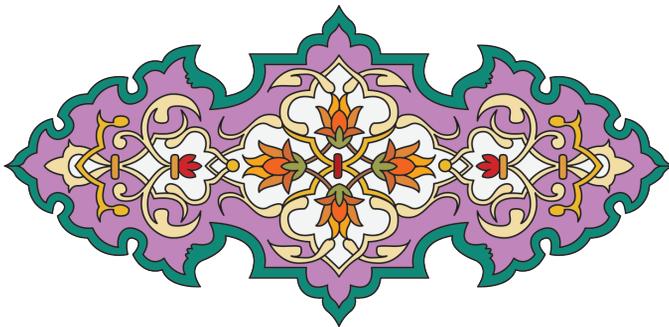
وما نغيرحتى لو دنيته كله اتغيرت
مسرورة صح لكن ابخيره اتحيرت
والأئمة وياك باحزان أشتكت
وكلوبنا قبة الك واتذهبت

كتبت باسم الحسن طور الغزل
حملت اوياهه المشاعر والتهاني
من ربنا أسمك نزل ويه الولادة
معصوم انتة بين حيدر علي

وشحال فرحة الهادي النبي
والمرتضى يحمد الباري ابنعمته
المولود من ظهرك علي هذا الحسن
انتظرنه يوم ميلادك يجي
الليلة نحيلك فرح ياسيدي

رابع كمر من نعد باسم الحسن
اليوم أسخر كل قواي في الفرح
بعد ما اكتب قصيدة وأبتعد عن الشعر
أنته فرحة لتي يؤمن بالبادئ
واللي كال اختلفت وياك المحبة

حُبنه معروف الأهل بيت النبي
ابمولدك فرحة يوازيها حزن
لو ذكرنه مرقدك بأرض البقيع
لكن تحدينا الحزن في مولدك



هوسات لمولد الإمام الحسن المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ (٥١٤):

كريم آل النبي يا مضخرة عدنان
وريث المصطفى خير الانس والجان
ولينه المجتبي يا درة الاكوان
مهجة حيدر... سبط الهادي ورفعة راس

سبط خير البشر وابن الزجيه
ويبن حيدر علي حامي الحميه
يهل ميلادك بهاي المسيه
هالليله باسمك نحييها

كريم آل النبي يا مضخرة عدنان
وريث المصطفى خير الانس والجان
ولينه المجتبي يا درة الاكوان
مهجة حيدر. سبط الهادي ورفعة راس

الشباب الجنه سيدهه وعلمها
الحسن يا نور هالدينه وعطرها
إمام الشيعة واليها ورمزها
روح الهادي بين الكوثر والكرار

نهني الطاهره الزهره بحسنهه
شبه جدّه النبي عزهه وفخرهه
شبل حيدر علي وأول ولدهه
ميلاده منور دنيانه

مَوْلَانَا
عَلَيْهِ السَّلَامُ
حَسَنٌ



۱۷ رمضان

نَعْرَةٌ بَدْرٍ



الْمُنَاسِبَةُ

مَعْرَكَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

القصيدة للشاعر: أ.د. عبد الحكيم الأنيس

وأهل الشركِ دونَ المالِ حالوا
من المالِ الذي أخذوا ونالوا
لردِّ الحقِّ فاتفقَ النزالُ
وعمَّ الشركُ في (بدر) نكالُ
تمكَّنَ في نفوسهم الضلالُ
ونورُ الحقِّ ليس له زوالُ
وكان من الغرورِ له اختيالُ
سطوراً خطَّها فينا رجالُ
أحاديثَ البطولةِ لا ملالُ
بنصرِ اللهِ إذ حميَ القتالُ
سروراً مثلما اكتملَ الهلالُ
وعن (بدر) بدا يوماً سؤالُ
وأعقبَ ذاكَ فتحٌ واحتفالُ

نعمَ في مكةٍ وطنٌ ومالُ
وها هي غيرهمُ عادتْ بوفرٍ
فيا (بدر) اشهدي أننا أتينا
تنزلتِ الملائكُ لانتصارِ
وآلِ إلى (القليب) رؤوسِ قومِ
فهمُ (خمسون) أو (سبعون) زالوا
(أبو جهل) تعفَّرَ في ترابِ
وذي أسماؤهم إن شئتَ فاقراً
ويا (سُبُلَ الهدى) قصيَ علينا
ويا (رمضان) ذكرنا دوماً
بـ: (سابع عشرة) منه اكتملنا
إذا ذكَّرتِ (سنينَ المجدِ) فينا
فقل في (عامها الثاني) انتصرنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا كَيْدُ الْفِتْرِ
الْبَشَرِ لَكُنَّا لَمِنَ الْخَاسِرِينَ

المحاضرة السابعة

الجهادُ دَرْبُ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (٥١٥)

يحتل مفهوم الجهاد مكانة بارزة في النصوص الدينية، حيث ورد ذكره في القرآن الكريم حوالي (٤٠) آية، منها قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥١٦)، كما تناولته مئات الأحاديث.

لغةً، الجهاد يعني: بذل الجهد وتحمل المشقة وبذل الطاقة، وقد استخدمه الشرع بنفس المعنى الواسع، تارة في الشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (٥١٧)، فأطلق على سعي الوالدين لإضلال الولد وحمله على الشرك: جهاداً وهما يبذلان جهدهما في طريق الحرام والشر.

وتارة استخدمه الشرع في الخير، وبدوره ينقسم إلى نوعين:

أولاً: الجهاد الأكبر: وهو جهاد النفس، أي مقاومة الهوى والشهوات والعمل على تهذيب النفس. وقد ورد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس ثم قال صلى الله عليه وآله: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه». (٥١٨)

ومن مصاديق الجهاد الأكبر: العمل لكسب الرزق، حيث قال صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله» (٥١٩)، وما ورد من أن «جهاد المرأة حسن التبعل» (٥٢٠)، وغيرها.

ثانياً: الجهاد الأصغر: وهو القتال في سبيل الله، والمشاركة فيه بالمال والنفس،

حيث يتطلب مواجهة الأعداء بالسلاح دفاعاً عن الدين، أو ردّاً للعدوان، أو لحماية المستضعفين، وذلك وفق شروط وضوابط شرعية محددة. وهو من أبرز مصاديق الجهاد؛ لأنه من أجلى صور البذل وتحمل المشاق. وأصبح هذا المفهوم هو الأبرز والأوضح في الأذهان، حتى بات عند إطلاق مصطلح «الجهاد» ينصرف إليه مباشرة، لا سيما في اصطلاح الفقهاء. (٥٢١)

الْمَبْنُتُ الْأَوَّلُ: الْجِهَادُ فَرِيضَةٌ وَضُرُورَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا

حين نتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم، نجدها غارقة في التحديات والأزمات التي تحيط بها من كل جانب، حتى باتت مكبلة بقيود الضعف والتبعية. لم يعد الصمت والسكوت حلاً، والتراخي لم يعد مقبولاً. فنحن نعيش مرحلة حاسمة تتطلب منا اليقظة والعمل الجاد، وإلا فإن أمتنا ستواصل الغرق في مستنقع التخلف والتبعية.

نواجه اليوم تهديدين خطيرين:

أولاً: عولمة^(٥٢٢) مادية تسعى لطمس هويتنا وقيمنا

العالم اليوم يعيش في ظل عولمة تفرض أنماط حياة غربية، قائمة على الاستهلاك المفرط، والانحلال الأخلاقي، وإبعاد الدين عن حياة الناس. وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي تُستخدم لنشر ثقافة اللامبالاة والانحراف، وتفكيك الأسرة، وتقليد المجتمعات الغربية دون وعي.

مثال: انتشار المحتويات الهدامة على المنصات الرقمية، ومحاولة فرض قيم تتناقض مع ديننا وأخلاقنا بحجة «الحرية والتقدم».

إنّ العولمة جعلت العالم مترابطاً أكثر من أي وقت مضى، لكن هذا الارتباط ليس متكافئاً، فالدول القوية - كالولايات المتحدة - صارت تتحكم في التكنولوجيا والاقتصاد، بينما تعاني الدول الضعيفة من التبعية والاستغلال. لذلك، من المهم التعامل مع العولمة بوعي وحذر، للحفاظ على الهوية الثقافية والاستقلال

الاقتصادي.

ثانياً: الاحتلال والاستعمار الحديث

في مقدمة هذا الخطر، نجد الكيان الصهيوني الذي يحتل مقدساتنا في فلسطين، ويمارس أبشع الجرائم من قتل وتشريد بحق الأطفال والنساء، وسط صمت عالمي مخزٍ. والأخطر من ذلك، أن أمتنا تتراجع في ميادين العلم والاقتصاد والاجتماع، بينما تمضي الأمم الأخرى في مسيرة التقدم.

لكن يبقى السؤال المطروح: **كيف يكون الخلاص؟ وكيف نغيّر هذا الواقع المرير؟ هل يكون بالصمت والاستسلام، أم بالجهاد والسعي الحثيث للتغيير؟**

الجواب: إن الاستسلام لليأس، وانتظار التغيير من دون عمل، ليسا إلا وهماً قاتلاً، يخالف سنة الله في خلقه. فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥٢٣)، التغيير لا يتحقق دون جهاد، وجهد، وتضحية، وحركة واعية، ومن يعتقد أن النصر يأتي صدفة دون عمل وجهاد، فقد خالف سنن الحياة وقوانين النجاح.

والجهاد يتطلب «النفير العام»، أي استنهاض جميع أفراد الأمة وتحفيزهم للمشاركة الفاعلة في إحقاق الحق، ودفع الباطل، وإقامة العدل، ومقاومة الظلم، ونيل العزة والكرامة، ورفض الذلة والمهانة، بحيث لا يبقى أحد متقاعساً أو متفرجاً.

فكل فرد في الأمة جندي في ميدانه، يجاهد بما يملك: بروحه وجسده في ميادين التضحية. وبعلمه وفكره وقلمه في ساحة التوعية والمعرفة. وبماله ونفوذه لدعم القضايا العادلة. وبخبرته ومهاراته في بناء مجتمع قوي مستقل. وحينئذٍ، يصح أن نطلق على هؤلاء المشاركين اسم «المجاهدين المهتمين»، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٥٢٤).

ومن أهم الفئات التي يقع عليها الدور في معركة التغيير:

١. الحكّام: يقع على عاتقهم مسؤولية إقامة العدل، وحماية حقوق الأمة، وتعزيز استقلالها السياسي والاقتصادي، فإن كانوا صالحين كانوا مفتاحاً للنهضة، وإن

تقاعسوا، أصبحت مسؤولية التغيير بيد الشعوب.

٢. العلماء: وعلى رأسهم علماء الدين العدول، فهم مسؤولون أمام الله عن إيقاظ الأمة، كما قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أخذ الله على العلماء ألا يُقَارُّوا على كِظَّةِ ظالم، ولا سغب مظلوم»^(٥٢٥). إن مسؤوليتهم تتجاوز تبين الأحكام وإقامة الشعائر، فهم مطالبون بأن يكونوا طليعة الأمة في المواجهة، وأن يحيا فيها روح العزيمة والجهاد. كما أن العلماء في بقية المجالات - كعلوم الطبيعية، والتكنولوجيا، والاقتصاد، والاجتماع والتربية - عليهم دور أساسي في نهضة الأمة.

٣. المفكرون والمثقفون: دورهم كشف المخططات التي تهدف إلى تهيش الأمة، ونشر الوعي الحقيقي بين أفراد المجتمع.

٤. التربويون والمعلمون: تقع على عاتقهم مهمة إعداد جيلٍ واعٍ بقضاياها، معترٍ بهويته، وقادر على مواجهة التحديات بالعلم والعمل.

٥. رجال الاقتصاد ورواد الأعمال: يسهمون في بناء اقتصاد مستقل، يُخرج الأمة من التبعية للدول الكبرى، ويدعم المشاريع التي تخدم المجتمع الإسلامي.

٦. الإعلاميون والصحفيون: مسؤولون عن إيصال الحقيقة، والتصدي للحملات الإعلامية التي تهدف إلى تشويه صورة الأمة أو تفكيك هويتها.

٧. الأطباء والعلماء في مجالات البحث العلمي: يلعبون دورًا أساسيًا في تطوير التقنيات الطبية والعلمية، مما يعزز مناعة الأمة في مواجهة الأزمات الصحية والاقتصادية.

٨. الشباب وطلاب العلم: هم القوة الدافعة للتغيير، وبسواعدهم تُبنى الحضارات، لذا يجب عليهم أن يتسلحوا بالعلم والإيمان، وأن يسعوا لبناء مستقبل أكثر إشراقًا للأمة.

رب تساؤل يرد: ما الدور الذي ينبغي أن يؤديه أفراد الأمة في الجهاد لاستعادة عزتها وكرامتها؟ وما الوسائل التي تجعلهم شركاء فاعلين في تحقيق النصر والتغيير؟
الجواب نظرته بالنقاط الآتية:

١. تطبيق القوانين الإسلامية بشكل مطلق:

لا يمكن للأمة أن تحقق عزتها وكرامتها إلا من خلال الالتزام التام بمنهج الإسلام وتطبيق شريعته في كل مجالات الحياة. فالقوانين الإسلامية ليست مجرد تشريعات دينية، بل هي منظومة متكاملة لبناء مجتمع عادل، قوي، ومستقل. أما القوانين المخالفة للتعاليم الإسلامية، فهي أنظمة فاسدة لا تراعي حاجات الإنسان الحقيقية، بل تعقد حياته وتتناهى مع فطرته السليمة، مما يؤدي به إلى الضيق والشقاء. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. (٥٢٦)

مثال: تجربة الدولة الإسلامية في عهد النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخلافة الإمام عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث كان تطبيق الشريعة هو الأساس في إقامة العدل، وتحقيق الأمن، وحماية الحقوق، مما جعل الأمة الإسلامية في ذلك الوقت نموذجًا للقوة والاستقرار.

٢. الوعي بالقضية والتمسك بالهوية:

لا يمكن لأي أمة أن تنهض دون وعي شعبي عميق بمخاطر التحديات التي تواجهها، وأهمية الدفاع عن الحقوق والقيم.

مثال: الشعب الفلسطيني نموذج للصمود، حيث حافظ على قضيته رغم عقود من الاحتلال، ولم يسمح بطمس هويته أو محو ذاكرته الوطنية.

٣. دعم المقاومين والمجاهدين مادياً ومعنوياً:

الجهاد لا يقتصر على القتال في ساحة المعركة، بل يشمل الدعم بالمال، والإعلام، والتضامن الاجتماعي مع المقاومين في مختلف المجالات.

مثال: خلال الحصار المفروض على المقاومة في لبنان وفلسطين، دعمت بعض الشعوب - كالعراق واليمن - المجاهدين بالمساعدات، والإعلام، والمواقف السياسية، مما ساهم في تعزيز صمودهم.

٤. مقاطعة الأنظمة الظالمة والمحتلين اقتصادياً وسياسياً:

يمكن للشعوب ممارسة الجهاد الاقتصادي عبر مقاطعة الشركات الداعمة للاحتلال والظلم، والضغط على حكوماتها لاتخاذ مواقف عادلة.

مثال: حملات المقاطعة العالمية للبضائع الإسرائيلية، كفتوى سماحة السيد السيستاني (دام ظله) التي حرّمت الترخيص في التعامل بالمنتجات الإسرائيلية ومنتجات الشركات التي يثبت بصورة مؤكّدة أنها تدعم إسرائيل دعماً مؤثراً^(٥٢٧)، مما أثر ذلك على اقتصاد الكيان الصهيوني، وأضعفت تمويل الاحتلال.

٥. التحرك الإعلامي والتوعوي:

الكلمة والقلم سلاحٌ فاعل، والشعوب قادرة على فضح الظلم عبر الإعلام، ووسائل التواصل، ونشر الحقيقة عالمياً.

مثال: دور النشطاء في كشف جرائم الاحتلال عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى تغيير الرأي العام الدولي حول بعض القضايا ومنها: القضية الفلسطينية.

٦. المشاركة في بناء مجتمع قوي مستقل بالاكْتفاء الذاتي:

النهضة الحقيقية تبدأ من بناء مجتمع متعلم، واعٍ، مكتفٍ ذاتياً، وقادر على مواجهة الضغوط الخارجية.

مثال: إيران بعد الثورة الإسلامية، وبعد فرض الحصار العالمي عليها منذ سنوات عديدة إلا أنها تمكنت من تحقيق الاكتفاء الذاتي في العديد من المجالات، مما جعلها أقل عرضة للضغوط الدولية.

٧. مقاومة الاستبداد الداخلي والدفاع عن العدالة:

لا يمكن للأمة أن تكون قوية إن كانت تعيش في ظل أنظمة ظالمة ومستبدة تخدم أعداءها، لذا فإن مقاومة الفساد والاستبداد الداخلي شكلاً من أشكال الجهاد.

مثال: ثورة العشرين في العراق، حيث انتفض الشعب عام ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، بقيادة العشائر ورجال الدين والمثقفين، ورغم ضعف تسليحهم، أجبروا البريطانيين على تغيير سياساتهم، مما أدى لاحقاً إلى تأسيس حكومة عراقية

عام ١٩٢١، وكانت الثورة نموذجًا للجهاد الشعبي ضد الاستعمار.

٨. الجهاد في ميادين العلم والعمل:

الأمة القوية تحتاج إلى علماء، ومفكرين، واقتصاديين، ومهندسين، وأطباء، فبناء الحضارة لا يكون بالسلاح وحده، بل بالعلم والعمل.

مثال: اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، رغم الدمار الهائل، لم تستسلم بل راهنت على العلم والتكنولوجيا، حتى أصبحت من أقوى الدول اقتصاديًا.

٩. غرس روح الجهاد في الأجيال القادمة:

مسؤولية الشعوب تربية أبنائها على حب الجهاد، والاستعداد للتضحية، وحماية العقيدة والقيم.

مثال: المدارس والمناهج التي تربي الأجيال على حب الوطن، وتاريخ الأبطال، ومقاومة الظلم، كما يحدث في بعض الدول التي تحافظ على تراثها الثقافي المقاوم.

الْمَبْنُوتُ الثَّانِي: الْجِهَادُ الْأَصْغَرُ فِي الْمُنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

لقد حثت الشريعة الإسلامية على الجهاد الأصغر (القتال في سبيل الله)، وقد عرّفه الفقهاء بأنه: «بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان»^(٥٢٨)، وسناقش بعض جوانبه في هذين المطلبين:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: مَشْرُوعِيَّةُ الْجِهَادِ

لقد وردت آيات عديدة تحث على الجهاد، نذكر منها قوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ ﴾^(٥٢٩)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ ﴾

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٣٠﴾.

◇ ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
﴾. (٥٣١)

◇ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (٥٣٢)

◇ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. (٥٣٣)

وأما في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقد وردت نصوص كثيرة تبين أهمية
الجهاد وحقيقته وفضله، نذكر منها:

◇ روي أن أبا ذر الغفاري سأل النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ
أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ الْجِهَادِ
أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ عَقَرَ جِوَادَهُ وَأَهْرَيْقَ (٥٣٤) دَمَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». (٥٣٥)

◇ روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْجِهَادَ أَشْرَفَ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ
قِوَامُ الدِّينِ، وَالْأَجْرُ فِيهِ عَظِيمٌ مَعَ الْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ، وَهُوَ الْكِرَّةُ، فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالْبَشْرَى
بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ». (٥٣٦)

◇ روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَةٍ خُطِبَهَا فِي أَوَاخِرِ عَمْرِهِ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ
الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِمَنْ خَاصَّهُ أَوْلِيَاءُهُ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ
الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ». (٥٣٧)

◇ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي
السِّيفِ، وَتَحْتَ ظِلِّ السِّيفِ». (٥٣٨)

◇ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِغَيْرِ أَثَرٍ مِنْ
جِهَادٍ لَقِيَ اللَّهَ فِيهِ ثَلْمَةٌ». (٥٣٩)

◇ وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزِ، وَلَمْ يَحْدِثْ بِهِ نَفْسَهُ،
مَاتَ عَلَى شَعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». (٥٤٠)

◇ وروي أن رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فيه، ف جاء به أهله إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فنهاه عن ذلك، وقال: «إنَّ صبرَ المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة». (٥٤١)

المَطَلَبُ الثَّانِي: الأَثَارُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى الجِهَادِ

وهي على قسمين:

أولاً: الآثار الدنيوية للجهاد: ونذكر منها الآتي:

١. العزة والرفعة والكرامة: من أبرز الآثار المترتبة على الجهاد هو أنه يرفع شأن المجتمع، ويمنحه العزة والكرامة، فيبقى قوياً ومتماسكاً، بعيداً عن الذل والهوان.
٢. تقوية روح المبادرة والعزيمة: إنَّ الجهاد يدفع الناس إلى التحرك لمواجهة العدو، مما يزيد من جديتهم واستعدادهم، ويقضي على الخمول والضعف.
٣. تعزيز الاكتفاء الذاتي: يؤدي الحصار والضغط الناتجة عن الحروب إلى دفع المجتمع للاعتماد على نفسه، وتطوير قدراته الذاتية بعيداً عن الاعتماد على الآخرين.
٤. فصل الحق عن الباطل: يميز الجهاد بين المؤمنين الصادقين وضعاف الإيمان والمنافقين، حيث يُظهر معادن الرجال في الشدائد.
٥. الوحدة والتماسك: يوحد الجهاد المجتمع لمواجهة العدو، ويزيل الخلافات الداخلية، مما يعزز التعاون والإيثار بين أفراد.
٦. تحقيق النصر: في بعض الحالات، يكون الجهاد سبباً مباشراً للانتصار على الأعداء، مما يحفظ استقلال المجتمع وأمنه.

ثانياً: الآثار الأخروية للجهاد: ونذكر منها الآتي:

١. البشري والفوز العظيم: وعد الله المجاهدين بالجنة في مقابل تضحياتهم في سبيله، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾. (٥٤٢)

٢. المغفرة والجنة: الجهاد في سبيل الله سبب لمغفرة الذنوب ودخول جنات النعيم، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٥٤٣﴾.

٣. هداية السبيل: المجاهدون ينالون الهداية الإلهية في حياتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (٥٤٤)

٤. محبة الله: ينال المجاهدون محبة الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾. (٥٤٥)

هذه الآثار تجعل الجهاد وسيلة للسمو الروحي والديني، حيث يحقق المجاهدون الكرامة في الدنيا والمقام الرفيع في الآخرة.

الْمَبَكْتُ الثَّلَاثُ: مَعْرَكَةُ بَدْرٍ أَنْفُودَجًا لِلْجِهَادِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ

يُعدّ القتال في سبيل الله مظهرًا من مظاهر الجهاد المشروع الذي يحمل في طيَّاته قيم التضحية والنصر الإلهي، وقد جسّدت معركة بدر هذا المعنى بأوضح صورة.

كانت معركة بدر أول مواجهة كبرى بين المسلمين والمشركين، وقعت في ١٧ رمضان السنة الثانية للهجرة. وكان السبب الرئيسي للمعركة هو أن قريشًا صادرت أموال المسلمين وممتلكاتهم في مكة بعد هجرتهم إلى المدينة، مما دفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى التحرك لاسترداد بعض هذه الحقوق. وعلم المسلمون أن قافلة تجارية ضخمة لقريش يقودها أبو سفيان تمرّ بالقرب من المدينة، فقرر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اعتراضها لتعويض خسائر المسلمين.

عندما علم أبو سفيان بذلك، أرسل إلى قريش طلبًا للنجدة، فحشدت جيشًا قوامه ألف مقاتل بقيادة أبي جهل، بينما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومعه ٣١٣ مقاتلاً فقط، معظمهم من الأنصار وقليل من المهاجرين، وكان في مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

انتهت المعركة بفوز المسلمين، حيث نصر الله فئة قليلة مستضعفة على قوة كبرى، تحقيقاً لوعده للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥٤٦)، فقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إشارة إلى قلة العدة والعتاد في معركة بدر مقارنة بالعدو. حيث كان عددهم ٣١٣ مع إمكانيات بسيطة قليلة، وكان عدد المشركين يفوق ألف مقاتل مع إمكانيات كبيرة. ورغم ذلك فلقد نصرهم الله. وقد كان الهدف من هذا التذكير هو شد عزائم المسلمين وزرع الثقة في نفوسهم ورفع معنوياتهم.^(٥٤٧)

السؤال الذي ينبغي علينا طرحه: ما هي الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق النصر في المعارك - ومنها معركة بدر - وفق المنظور الإسلامي؟

الجواب:

من المعلوم أن العقيدة الإسلامية تؤكد أن تحقيق النصر في أي معركة أو غزوة يعتمد على نوعين من الأسباب: الأسباب المادية والأسباب الغيبية. فأما الأسباب المادية فتشمل تأمين العدد الكافي من الجنود والقادة، وتنظيم الصفوف، وإعداد المقاتلين المدربين، ووضع الخطط العسكرية، وتجهيز العدة والسلاح، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٥٤٨)، وتشمل أيضاً تأمين التموين والاحتياجات اللوجستية من طعام وماءٍ ومستلزمات أساسية للجيش، ورفع المعنويات وتعزيز الثبات في القتال عبر ترسيخ الثقة بالنصر والصبر في مواجهة العدو، وغيرها.

أما الأسباب الغيبية فهي العون الإلهي للمسلمين متى تحققت الأسباب المادية مع تحقق الإخلاص والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٥٤٩). ورغم أن أغلب الناس يدركون أهمية توفير الأسباب المادية في تحقيق النصر، إلا أنهم قد يغفلون عن الإمدادات الغيبية التي تشكل عاملاً جوهرياً في ترجيح كفة المؤمنين.

لذا، سنسلط الضوء في هذا المبحث على بعض الآيات من سورة الأنفال، التي تعرض نماذج من الإمدادات الإلهية التي تحققت في معركة بدر، ومنها قوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٥٥٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٥١﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٥٥٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۖ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٥٥٣﴾﴾.

في هذه الآيات الكريمة يُذَكِّرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مجاهدي معركة بدر ببعض نعمه وإمداداته الغيبية، وهي كالآتي:

المدد الإلهي الأول: إمداد المسلمين بالملائكة

عندما رأى المسلمون تفوق المشركين عليهم في العدد والعدة، رفعوا أكفهم بالدعاء مستغيثين بالله، فاستجاب لهم ووعدهم بإمدادهم بألفٍ من الملائكة متتابعين لدعمهم، وقد أثبتت النصوص الشرعية هذه الحقيقة كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٥٥١﴾﴾.

والنصوص الروائية تشير إلى وجود الملائكة في يوم بدر، فعن محمد بن الحنفية قال: بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء، حين سكت أصحابه عن إيراده (٥٥٢)، فلما أتى القلب (٥٥٣) وملاً القربة وأخرجها، جاءت ريح فهاقته (٥٥٤)، ثم عاد إلى القلب فملاًها، فجاءت ريح فهاقته، وهكذا في الثالثة، فلما كانت الرابعة ملاًها فأتى بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأخبره بخبره. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أما الريح الأولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك». (٥٥٥)

قال السيّد الحميري بهذه المناسبة:

وسلّم جبريل وميكال ليلة
أحاطوا به في روعة جاء يستقي
ثلاثة آلاف ملائك سلّموا

عليه وحيّاه إسرافيل معربا
وكان على ألف بها قد تحزبا
عليه فأدناهم وحيّا ورحبا^(٥٥٦)

لكن المسلمين لم يدركوا التفاصيل الدقيقة لطريقة تدخل الملائكة أثناء القتال. وقد قيل إن بعض الصحابة رأوا آثار وجود الملائكة أثناء المعركة، مثل: رؤية مقاتلين بلباس أبيض غير معروفين، أو سماع أصوات ضربة السيوف دون أن يروا من يضر بها، بل إن بعض المشركين كانوا يُقتلون دون أن يراهم أحد من المسلمين يضرهم^(٥٥٧)، مما أكد أن الملائكة شاركت بشكل غير مرئي في بعض القتال. روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وابن عباس في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾^(٥٥٨): كان - الملائكة - عليهم عمام بيض أرسلوها بين أكنافهم.^(٥٥٩)

ومع ذلك، لم يكن دور الملائكة الأساسي هو القتال، بل تعزيز معنويات المؤمنين، وليكون وجودها بشري للمؤمنين وطمأنينة لقلوبهم، حتى يزداد يقينهم أن النصر بيد الله وليس بقوة عددية أو عسكرية، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.^(٥٦٠)

المدد الإلهي الثاني: غلبة النعاس على المجاهدين

وهذا ما أشار إليه الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾^(٥٦١)، فقوله تعالى: ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾: بمعنى يجعلكم تنامون. وقوله: [أَمَنَةً] أي أماناً من الأعداء. والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ عائد على الله.

ومعنى الآية: أن الله سبحانه أنزل النعاس على المؤمنين المجاهدين في غزوة بدر فناموا، ولم يكن النعاس أمراً طبيعياً، بل كان إمداداً غيبياً من الله، حيث جعلهم يشعرون بالأمن والطمأنينة قبل القتال.

وعندما يشعر الإنسان بالطمأنينة، يستطيع النوم، مما يمنحه راحة جسدية ونفسية مستقرة. هذه الراحة زادت من قوتهم وجعلتهم قادرين على مواجهة العدو بيقظة وثبات. بينما لو كانوا في خوف وقلق واضطراب، لما تمكنوا من التصرف

بحكمة في ساحة المعركة.

المدد الإلهي الثالث: نزول المطر قبل المعركة

عندما سبق المشركون المسلمين واستولوا على آبار بدر، وجد المسلمون أنفسهم في موقف صعب، حيث اضطروا إلى النزول في أرض رملية ناعمة، وواجهوا مشكلات متعددة؛ فقد أصابهم العطش، وكان بعضهم محدثاً أو جنباً، مما زاد من شعورهم بالضيق. في هذا الموقف الحرج، وسوس الشيطان لهم، محاولاً بثّ الضعف في نفوسهم، حيث ألقى في قلوبهم الخوف من العطش ومن الصلاة على غير طهارة، كما أخافهم من صعوبة التحرك بسبب الرمال التي كانت تسوخ فيها أقدامهم. لكن الله سبحانه وتعالى، برحمته وحكمته، أنزل عليهم المطر ليكون إمداداً غيبياً يعالج هذه المشكلات جميعها:

◆ التطهر من الحدث والجنابة: هي الفائدة الأولى للمطر المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾^(٥٦٢)، المراد من «الماء» ماء المطر، فقد مكّنتهم المطر من الاغتسال والتطهر، مما أعاد إليهم الراحة الجسدية والاستعداد الروحي للصلاة والقتال.

◆ إبطال وساوس الشيطان: هي الفائدة الثانية للمطر، المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾^(٥٦٣)، أي بعد استيلاء المشركين على آبار بدر، استغل الشيطان قلة الماء للوسوسة وتخويف المجاهدين^(٥٦٤)، ولكن نزول المطر كان سبباً في إزالة الوسوس التي بثها الشيطان في قلوب المؤمنين، وبذلك يكون هذا المطر سبباً إلهياً في إفشال مخطط المشركين ومخطط إبليس.

◆ تعديل طبيعة الأرض لصالحهم: هي الفائدة الثالثة للمطر، قال تعالى: ﴿ وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾^(٥٦٥)، حيث ساعد المطر في تليد الرمال الناعمة التي كان عليها المسلمون، مما جعلها صلبة وثابتة تحت أقدامهم، في حين تحولت أرض المشركين إلى طين موحل، مما أعاق حركتهم وأضعف موقفهم القتالي.

كان هذا المطر إذن أحد الإمدادات الإلهية الكبرى التي قلبت الموازين لصالح المسلمين، وهيأتهم نفسياً وجسدياً لمعركة بدر، في حين زادت من معاناة أعدائهم،

لتكون هذه اللحظات شاهداً على التدبير الإلهي الذي يساند المؤمنين في أشد الظروف.

المدد الإلهي الرابع: تقوية الروح المعنوية

حيث جاء المطر لتشجيع وتقوية روحية مجاهدي بدر، ويمنحهم الاطمئنان والثقة بالنصر. إن قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيْطَ عَلٰى قُلُوْبِكُمْ﴾^(٥٦٦) هو كناية عن التشجيع^(٥٦٧). وعليه يكون معنى الآية: ليشدّ على قلوبكم، أي يشجّعكم، ويزيدكم قوّة قلب، وسكون نفس، وثقة بالنصر^(٥٦٨).

المدد الإلهي الخامس: إلقاء الرعب في قلوب المشركين

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٥٦٩).

كان من الإمدادات الغيبية الكبرى التي أمدّ الله بها المسلمين في معركة بدر إلقاء الرعب في قلوب المشركين، مما جعلهم يشعرون بالخوف والاضطراب قبل القتال وأثناءه، فأضعف قوتهم القتالية وجعلهم أكثر عرضة للهزيمة، ثم أمر الله الملائكة بتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتوجيه ضرباتهم نحو الرؤوس ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾^(٥٦٩) ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي أصابع الأيدي والأقدام، وهي ضربات قاتلة أدت إلى انهيار العدو سريعاً.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: المَدَدُ الإِلَهِيُّ العَلَوِيُّ

في معركة بدر، تجلّى دور الإمام علي عليه السّلام كمحور رئيس للنصر، حيث اجتمعت فيه القوة الظاهرة والتأييد الإلهي، فكان سيفاً قاطعاً في يد الإسلام، ومدداً غيبياً ألقى الرعب في قلوب المشركين، فجمع بين الشجاعة البشرية والتسديد السماوي في آنٍ واحد.

ونذكر في هذا المبحث بعض المواقف العظيمة لأمير المؤمنين عليه السّلام، وأدواره الجليلة في هذه المعركة الخطيرة، وهي كالآتي^(٥٧٠):

١. راية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كانت راية النبي الأَظْم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في معركة بدر، بل في سائر المواقف والمشاهد، وفي ذلك نصوص وفيرة، نكتفي بما قاله الشيخ المفيد - في معركة أحد -: (ثم تلت بدرًا غزاةً أحد، فكانت راية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها، كما كانت بيده يوم بدر). (٥٧١)

وهذه الراية ليست كسائر الرايات، بل هي راية سماوية، جاء بها جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي من جملة خصائص الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد كانت مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الجمل، ومن بعده تكون مع القائم المنتظر عجل الله فرجه.

روى الشيخ النعماني بالإسناد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا يخرج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم يهز الراية ويسير بها، فلا يبقى أحدٌ في المشرق ولا في المغرب إلا لعنها، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله، نزل بها جبرئيل يوم بدر، ثم قال: يا أبا محمد، ما هي - والله - قطن، ولا كتان، ولا قز، ولا حرير. قلت: فمن أي شيء هي؟ قال: من ورق الجنة، نشرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر، ثم لفها ودفعها إلى عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم تزل عند عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففتح الله عليه، ثم لفها، وهي عندنا هناك، لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحدٌ في المشرق والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهراً، وورائها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً». (٥٧٢)

٢. عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قاتل الفرسان الثلاثة:

كان أول من برز للقتال من المشركين في بدر: عتبة وشيبة والوليد، وكانوا من فرسان قريش وشجعانها، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فأرجعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبدأ بأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقال: «قم يا عبدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم..».

فقتل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الوليد، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبه بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عمّ، طأطئ رأسك، فأدخل رأسه في صدر شيبه، فاعترضه أمير المؤمنين بالسيف، وطير رأسه، وجاء فوجد عتبة قد قطع رجل عبدة وعلق عبدة هامته، فجاء وأجهز على عتبة، وبهذا يكون أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كان له النصيب في قتل الثلاثة.

جاء في كتاب لأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى معاوية: «فأنا أبو حسن حقاً، قاتل جدك عتبة، وعمك شيبه، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي». (٥٧٣)

وقال السيّد الحميريّ في مدح أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كانت على أهل الشقاء دماراً
إذ صبحاه جحفاً جراراً
عضباً صقيلاً مرهفاً بتاراً (٥٧٤)

وله ببدر وقعة مشهورة
فأذاق شيبه والوليد منية
وأذاق عتبة مثلها أهوى لها

٣. عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قاتل شطر جيش الشرك:

قال ابن شهر آشوب: (ولقد فسّر قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ (٥٧٥) يعني عليّاً؛ لأن الكفار كانوا يسمّونه الموت الأحمر، سمّوه يوم بدر؛ لعظم بلائه ونكايته) (٥٧٦)، وروى ابن شاذان عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لعلّيّ سبعة عشر اسماً، فقال ابن عباس: أخبرنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: اسمه عند العرب عليّ، وعند أمّه حيدرة... وعند الكافرين الموت الأحمر...». (٥٧٧)

وقد نُقل: وكانت قريش إذا رأوه في الحرب تواصلت خوفاً منه، وقد نظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال: علمت بأن ملك الموت في الجانب الذي فيه عليّ. (٥٧٨)

ورد عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ - في حديث بدر - : «لقد كان يُسأل الجريح من المشركين، فيُقال له: مَنْ جرحك؟ فيقول: علي بن أبي طالب، فإذا قالها مات». (٥٧٩)

وورد عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أتى رأس اليهود عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عند منصرفه عن وقعة النهروان وهو جالس في مسجد الكوفة... قال

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ... أمّا الثالثة يا أبا اليهود، فإنّ ابني ربيعة وابن عتبة كانوا فرسان قريش، دعوا إلى البراز يوم بدر، فلم يبرز لهم خلق من قريش، فأنهضني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع صاحبي رضي الله عنهما، وقد فعل وأنا أحدث أصحابي سنّاً وأقلهم للحرب تجربة، فقتل الله عزّ وجلّ بيدي وليداً وشيبةً، سوى من قتلت من جحاحجة^(٥٨٠) قريش في ذلك اليوم، وسوى من أسرت، وكان مني أكثر ممّا كان من أصحابي...»^(٥٨١).

قال الشيخ المفيد - عند كلامه عن معركة بدر -: (لم يزل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتل واحداً منهم بعد واحد، حتّى أتى على شطر المقتولين منهم، وكانوا سبعين قتيلاً تولّى كافة من حضر بدرًا من المؤمنين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده، بمعونة الله له وتوفيقه وتأيدته ونصره، وكان الفتح له بذلك وعلى يديه..)، ثمّ قال: (وقد أثبت رواية العامّة والخاصّة معاً أسماء الذين تولّى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قتلهم ببدر من المشركين، على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح، فكان ممن سمّوه: الوليد بن عتبة...)، ثمّ قال: (فذلك خمسة وثلاثون رجلاً، سوى من اختلف فيه، أو شرك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر).^(٥٨٢)

٤. سلام الملائكة العظام على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لما كانت ليلة بدر قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، فقام عليّ، فاحتضن قربة، ثمّ أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فانحدر فيها، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصر محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وحزبه، فهبطوا من السماء، لهم لغط يذعر من سمعه، فلما حاذوا البئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتجليلاً»^(٥٨٣).

قال ابن شاهين - بعد ذكر الحديث -: (تفرّد عليّ بهذه الفضيلة، لم يشركه فيها أحد)^(٥٨٤)، وقال أبو نعيم الأصبهاني: (ذكر فضيلة أخرى لأمر المؤمنين علي، لا

يشركه فيها أحد)، ثم ذكر الحديث. (٥٨٥)

وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال - بعد قتل عثمان، حين ناشد القوم - :
«نشدتكم الله، هل فيكم أحد سلم عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف
من الملائكة يوم بدر غيري؟ قالوا: اللهم لا». (٥٨٦)

وورد عن سعيد بن جبير، قال: «أتيت عبد الله بن عباس فقلت: يا بن عم رسول
الله، إنني جئتك أسألك عن علي بن أبي طالب، واختلاف الناس فيه، فقال ابن عباس:
يا ابن جبير، جئتني تسألني عن خير خلق الله من الأمة بعد محمد نبي الله، جئتني
تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وهي ليلة القربة...
». (٥٨٧) وقال السيد الحميري:

عليه وإسرافيل حياها معربا
وكان على ألف بها قد تحزبا
عليه فأدناهم وحيا ورحبا (٥٨٨)

وسلم جبريل وميكال ليلة
أحاطوا به في رده جاء يستقي
ثلاثة آلاف ملائكة سلموا

٥. الملائكة في صورة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الملائكة الذين أيدي الله بهم على صورة
علي بن أبي طالب، ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء». (٥٨٩)

وقال قطب الدين الراوندي: (ولا يخفى أن يوم بدر كانت الملائكة المنزلون
لنصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كلهم كانوا على صورة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ليكونوا
في قلوب الكفار أهيب). (٥٩٠)

٦. استبشار الملائكة ببطولات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

ورد عن جابر بن عبد الله قال: «استبشرت الملائكة يوم بدر وحنين بكشف علي
عَلَيْهِ السَّلَامُ الأحزاب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن لم يستبشر برؤية علي
عَلَيْهِ السَّلَامُ فعليه لعنة الله». (٥٩١)

٧. لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار:

ورد عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي». (٥٩٢)

وورد أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في يوم الشورى: «قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نوذي باسمه من السماء يوم بدر: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي غيري؟ قالوا: لا». (٥٩٣)

٨. إعطائه عَلَيْهِ السَّلَامُ الحصيات للنبي صلى الله عليه وآله:

رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهن، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن أول منقبة لي أي لم أشرك بالله طرفة عين، ولم أعبد اللات والعزى... - إلى أن قال - ... وأما الخامسة والثلاثون: فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجّهني يوم بدر فقال: ائتني بكفّ حصيات مجموعة في مكان واحد، فأخذتها، ثم شممتها، فإذا هي طيبة تفوح منها رائحة المسك، فأتيتها بها فرمى بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات: أربع منها كُنّ من الفردوس، وحصاة من المشرق، وحصاة من المغرب، وحصاة من تحت العرش، مع كلّ حصاة مائة ألف ملك مدداً لنا، لم يُكرم الله عزّ وجلّ بهذه الفضلة أحداً قبل ولا بعد...». (٥٩٤)

٩. تسمية عليّ بأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ورد عن ابن عباس قال: «كنا جلوساً مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذ دخل عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال عليّ: وأنت حيّ يا رسول الله؟ فقال: نعم وأنا حيّ، وأنت - يا عليّ - مررت بنا أمس يومنا وأنا وجبرائيل في حديث ولم تسلم، فقال جبرائيل: ما بال أمير المؤمنين مرّ بنا ولم يسلم؟! أما والله لو سلّم لسررنا ورددنا عليه، فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رسول الله، رأيتك ودحية استخليتما في

حديث، فكرهت أن أقطعه عليكما، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما إنّه لم يكن دحية، وإنّما كان جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلتُ: يا جبرائيل، كيف سمّيته أمير المؤمنين؟ فقال: كان والله في غزوة بدر: أن اهبط على محمّد، فمره أن يأمر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أن يجول بين الصّفين، فسماه الله تعالى من السماء أمير المؤمنين. فأنت -يا عليّ- أمير من في السماء، وأمير من في الأرض، وأمير من مضى، وأمير من بقي، فلا أمير قبلك، ولا أمير بعدك، لأنّه لا يجوز أن يُسمّى بهذا الاسم من لم يسمّه الله تعالى به». (٥٩٥)

١٠. أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعاهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي المعركة:

وإنّ من أعظم المواقف لأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه في نصف المعركة كان يتفقد حال النبيّ الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويتعاهده كل ساعة..

روى ابن سعد والنسائي والحاكم وغيرهم بالإسناد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال، ثمّ جئتُ مسرعاً لأنظر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما فعل، فجئتُ فأجده وهو ساجد يقول: يا حيّ يا قيوم، لا يزيد عليها، فرجعتُ إلى القتال، ثمّ جئتُ وهو ساجد يقول ذلك، ثمّ ذهبتُ إلى القتال، ثمّ جئتُ وهو ساجد يقول ذلك، فلم يزل يقول ذلك حتى فتح الله عليه». (٥٩٦)

ما أعظمك يا أمير المؤمنين! في أوج المعركة، كنتَ بين سيفٍ يفتكُ بأعداءِ الله، وقلب لا يغيبُ عن رسولِ الله، فلولا سيفك الذي زلزلَ عروشَ الكفر، ووفأوك الذي تعاهدَ النبيّ في كل لحظة، لما فاز المسلمون ببدر، ولما انتصر الحقُّ على الباطل، فكنتَ النور الذي بدّدَ ظلماتِ الشرك، والراية التي حملتْ عزَّ الإسلام ونصره!

وصدق الشاعر عادل الكاظمي حينما قال:

جَيْشُ يُرِيكَ شَكِيمَةَ الْمُتَجَبَّرِ
إِسْلَامُ رَهْنِ الْغَاشِمِ الْمُتَكَبَّرِ
فَإِذَا بِهَا سَجَدْتَ لِصَارِمِ حَيْدَرِ
فَأَنْجَابَ لَيْلِ الْعَالَمِ الْمُتَحَيَّرِ
إِرْثًا لِكُلِّ مُصَدِّقٍ مُسْتَبْصِرِ

وَيَوْمَ بَدْرٍ حِينَ بَادَ بِسَيْفِهِ
يَوْمٌ بِهِ لَوْلا عَلِيٌّ لَأَغْتَدَى الْإِلَهُ
زَحَفَتْ قُرَيْشٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ
قَامَتْ شَرِيعَةُ أَحْمَدَ بِحُسَامِهِ
مَاذَا أَقُولُ بِمَنْ غَدَّتْ آثَارُهُ

مَدَحَ الْمُحِبِّ كَأَنَّهَا لَمْ تَذْكَرْ
هَزْءَ الْعِنَادِ بِعَقْلِهَا الْمُتَحَجِّرِ
تَحْكِي تَرَادُفَ فَضْلِهِ الْمُتَكَرِّرِ؟
أَهْلِيهِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ الْمُخْبِرِ
وَلِنُصْرَتِي يَوْمَ الْقَاءِ الْمُغْبِرِ؟
وَالنَّاسِ سَكْرَى دُونَ شُرْبِ الْمُسْكَرِ
وَخَلِيفَةَ مَنْ بَعْدَهُ فِي الْمَعْشَرِ
فَسَلُّوا حِرَاءَ فَذَاكَ أَوْثَقُ مَضْرٍ
وَسَقَاهُ مَنْ خَلَقَ النَّبِيَّ الْأَطْهَرَ؟
وَسَعَوْا لِنَشْرِ ضَلَالَةِ الْمُسْتَكْبِرِ
بَشْرٍ يُضَارِعُهُ بِهَذَا الْمَفْخَرِ
الْعَقْلُ حَارَ بِكُنْهٍ أَبْهَى مَظْهَرِ
سِرًّا لَهُ يُطَوَّى بِمَعْنَى مُضْمَرِ
ذُخْرِ الْمُحِبِّ لَهُ بِيَوْمِ الْمَحْشَرِ
أَرْجُو الَّذِي أَبْغَى رَجَاءَ مُقْصَرِ

قَامَ الْكِتَابُ بِمَدْحِهِ فَتَصَاغَرَتْ
تَشَدُّوا الْعُدَاةَ بِهَا بَرَّغَمَ عِنَادَهَا
أَوْ مَا رَأَوْا آيَ الْكِتَابِ صَرِيحَةً
وَبَيَّانَةَ الْإِنذَارِ أَنْذَرَ أَحْمَدُ
مَنْ مِنْكُمْ يُلْقِي الْقِيَادَ لَطَاعَتِي
مَا بَايَعَ الْمُخْتَارَ غَيْرَ الْمُرْتَضَى
فَعَدَا عَلِيَّ وَصِيَّهُ وَوَزِيرَهُ
أَوْ لَيْسَ مَنْ رَبَّاهُ أَحْمَدُ يَافِعَا؟
أَوْ لَيْسَ مَنْ غَدَاهُ أَحْمَدُ رَاضِعَا
تَبَا لِقَوْمٍ أَنْكَرُوهُ وَفَضَّلَهُ
فِي الْبَيْتِ مَوْلَدُهُ وَلَيْسَ سِوَاهُ مَنْ
مَنْ مُخْبِرِي عَنْ حَيْدَرٍ مِنْ مُخْبِرِي؟
شَغَلَ الْعُقُولَ فَلَمْ تَنْلِ خَطَرَاتُهَا
إِنِّي أَرْجِي مَنْ نَدَاهُ شَفَاعَةً
وَلِوَالِدِي فَإِنْ لِي سَبَبًا بِهِ

أبوذيات للإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَرْقَامِ:

اله تشهد معارك بدر... واحد
يضل للموت حب الولي اليه

وحكك اللي تعبداه الخلك... واحد
عليه البس هدوم السود... واحد

المصابب مالون حيدر... والاثنين
وخل اركابهم ابكل نويه

وحكك العرش واصحابه... والاثنين
ندري حارب الكافر... والاثنين

ندريبه بلب الهرش... ثالث
وبقت ثلثين ابذمة الزجيه

وحكك اللي عرف بالعرش... ثالث
صبح للدين بذمته سند... ثالث

خليفه نصبه الرحمن... رابع
ربع ربع الربيع يصعب عليه

وحكك اللي بعرض الكون... رابع
حمل اللي حملة الكرار... رابع

وحكك الفرض للإسلام...خمسه
علي المابان زلت قدم...خمسه

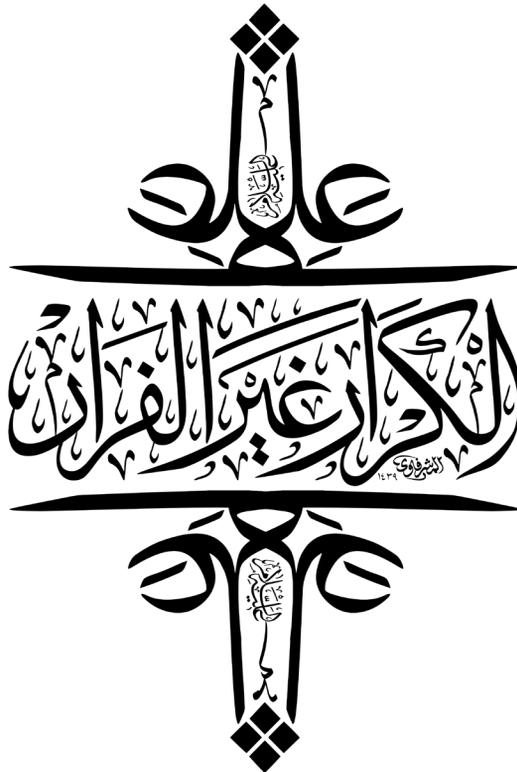
وحكك اللي ضرب ميه...بسته
عندي اللي اله منزل... بسته

وحكك اللي خلك ايام...سبعه
الطفل ايكول ابو الحسنين...سبعه

وحكك رب الجلاله...من يثمنه
الرجل ندري الرجل عدنه...من يثمنه

وحكك اللي مشت لحسين...تسعى
اشهور احمالت امه بيه...تسعى

وحكك اللي ثبت على الراح...عشره
بقت لليوم محد وصل...عشره





١٩ رمضان

لَيْلَةُ جُرْحِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ

المناسبة

ضربة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

القصيدة: للسيد جعفر الحلي

حين أردى المرتضى سيفاً المرادي
غلب الغيُّ على أمر الرشاد
فغدت تُرفَعُ أعلامُ الفساد
حجّة الله على كل العباد
ساجداً ينشجُ من خوف المعاد
سُورَ الذكرِ على أكرم هاد
آيةً في فضلها الذكرُ ينادي
طاوي الأَحشاءِ عن ماءٍ وزاد
من بكاءٍ أو ذاقنا طعمَ الرقاد
ليلةً مضطجعا فوق الوساد
ملّ من نوحٍ مُذِيبٍ للجَماد
فجفا النومُ على لِينِ المهاد
للضبا البيضِ وللسمر الصعاد
حيث لا حربٌ ولا قرعُ جِلاَدٍ^(٥٩٧)

لَبَسَ الإسلامُ أبردَ السوادِ
ليلةً ما أصبحت إلا وقد
والصلاح انخفضت أعلامه
ما رعى الغادرُ شهرَ الله في
وببيت الله قد جدَّ له
يا ليالٍ أنزل الله بها
مُحيت فيك على رِغم الهدى
قتلوه وهو في محرابه
سل بعينيه الدجى هل جفتا
وسل الأنجم هل أبصرنه
وسل الصبح أهل صادفه
وهو للمحراب والحرب أخ
نفسه الحرّة قد عرضها
سلبوه وهو في غرته



المخاضة الثامنة

اللَّعْنُ فِي مِيزَانِ الْحَقِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٥٩٩)

لقد كثرت الجدل حول مسألة اللعن، بين من يراه محرماً وأنه سبب في بث الفرقة بين المسلمين، وبين من يقر بمشروعيته لكنه يفرط في استخدامه بلا ضوابط، فيطلق اللعن والسب على رموز الآخرين عبر القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي، غافلاً عن تبعات ذلك وما قد يجره من فتن واضطرابات. وقد أدى هذا التناول غير المنضبط إلى اتهام بعض الجهلة للشريعة بأنهم سبّابون لعانون.

وفي ظل هذا التباين، تبرز الحاجة إلى دراسة علمية متزنة تستند إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لتوضيح حقيقة اللعن، وحكمه، وأدلتها الشرعية، وفلسفته، وحدوده الأخلاقية.

سنتخذ الآية ٥٧ من سورة الأحزاب مدخلاً لهذا الموضوع، حيث يوضح شرطها الأول أحد أسباب اللعن، وهو إيذاء الله ورسوله، ثم نتقل في الشرط الثاني إلى الحديث عن اللعن بمزيد من التفصيل والتوسع.

الْمَبْنُوتُ الْأَوَّلُ: أذِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

تُبيِّنُ الآية الكريمة التي بين أيدينا أن كل من يؤذي الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد استحق لعنة الله في الدنيا والآخرة، إضافةً إلى العذاب المهين يوم القيامة. وفي هذا

المبحث، نسلط الضوء على الشطر الأول من الآية، الذي يتناول مسألة أذية الله ورسوله. وانطلاقاً من ذلك، نطرح عدة تساؤلات تتعلق بهذه الأذية، وأولها:

السؤال الأول: ما الذي يؤدي الرسول صلى الله عليه وآله؟

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه الأمثل: «إيذاء نبي الإسلام صلى الله عليه وآله له معنى واسع، ويشمل كل عمل يؤديه، سواء كان الكفر والإلحاد والافتراءات والتهم ومخالفة أوامر الله^(٦٠٠)، كالغيبة والنميمة والاستخفاف بالصلاة، وعقد علاقات غير شرعية، وعقوق الوالدين، وقطع صلة الرحم، وأكل حقوق الناس، والخيانة، وسماع الأغاني، والتبرج والسفور.

قد يتساءل أحدكم: كيف يتأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وعن آلِهِ وَسَلَّمَ من معاصينا وهو غير حاضر بيننا؟، فإن ارتكب أحدنا معصية سراً في غرفته، فلن يعلم بها أحد، فكيف يصل أثرها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعن آلِهِ وَسَلَّمَ وهو قد انتقل إلى دار الآخرة؟

الجواب باختصار: إن المرضيين عند الله كالأنبياء والأوصياء لهم خصوصية؛ لأن الله يستثنيه من عدم إظهار الغيب عليهم، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٦٠١)، أي يستثنى كل من أرسله الله وارتضاه، سواء كان نبياً، رسولاً، أو إماماً، وعلى رأسهم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومنهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد عقب الشيخ القمي على قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ قائلاً: (يعني علياً المرتضى من الرسول صلى الله عليه وآله وعن آلِهِ وَسَلَّمَ وهو منه).^(٦٠٢)

أي أن الرسول وآل الرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مطلعون على كل أعمالنا الصغيرة والكبيرة التي نقوم بها في السر والعلن بقدره الله، قال تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦٠٣)، وقد سئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن تفسير قوله تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ] قال: هم الأئمة^(٦٠٤)، بمعنى أن أعمالنا تعرض عليهم في حياتهم وبعد مماتهم لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون؛ لذا يحزن الرسول وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حينما يطلعون على المعاصي التي يرتكبها البشر.

روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعتة يقول: مالكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض

عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسروه». (٦٠٥)

السؤال الثاني: الله تعالى هل لديه مشاعر مثل البشر حتى يتأذى؟، ولماذا اقترنت أذية الله بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: هناك نصوص عديدة، من يطلع عليها يعتقد أن الله لديه انفعالات كالموجودة عند البشر مثل: الأذى والغضب والضجر والفرح والتأسف، نذكر منها:

الفرح: كالحديث الذي يقول: «إن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها». (٦٠٦)

التأسف: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم﴾. (٦٠٧)

الغضب: قال تعالى: ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. (٦٠٨)

المقت (الكراهية والسخط): قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. (٦٠٩)

الرضا: قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. (٦١٠)

إن الاعتقاد بأن الله يتعرض للانفعالات هو اعتقاد باطل فالله منزّه عن الانفعالات لأنه أزلي غير متغير: التغير والانفعال صفة المخلوق، والله هو الكامل المطلق الذي لا يطرأ عليه تغير.

للتوضيح نقول: الانفعال هو تغير في الحالة النفسية أو العاطفية نتيجة تأثير الإنسان بعوامل خارجية، مثل: الفرح عند سماع خبر سار، أو الغضب عند التعرض للإهانة، أو الحزن عند فقدان شيء مهم.

إذا قلنا إن الله يتأذى ويغضب أو يضجر ويتأسف ويفرح بنفس طريقة البشر، فهذا يعني أنه يتغير؛ لأن التغير يعني الانتقال من حالة إلى حالة، كأن يكون شخص هادئاً ثم يغضب، أو سعيداً ثم يحزن.

لكن الله منزّه عن التغير، لأنه أزلي وأبدي، لا يحتاج إلى شيء، ولا يتأثر بأي شيء،

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى: «لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ». (٦١١)

إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَتَغَيَّرُ يَكُونُ مَعْرُضًا لِلزَّوَالِ، فَالْمَخْلُوقُ يَتَغَيَّرُ، لِأَنَّهُ يَمْرُ بِضَعْفٍ وَقُوَّةٍ، وَغَضَبٍ وَرِضَا، وَحَيَاةٍ وَمَوْتٍ. وَإِذَا قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ يَتَغَيَّرُ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّا لَنْ نَمَيِّزُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَحَاشَاكَ ذَلِكَ. إِنَّ التَّغْيِيرَ يَعْنِي النِّقْصَ أَوْ الْحَاجَةَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَيْسَ نَاقِصًا وَلَا مَحْتَاجًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦١٢) لِذَلِكَ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَفْنَى.

لنضرب مثالاً تقريبي - والأمثلة تضرب ولا تقاس -: تخيّل جبلاً شامخاً ثابتاً لا يتغير عبر مئات السنين، فهو لا يمرض، ولا يضعف، ولا يشيخ، ولا يحتاج إلى شيء ليبقى موجوداً. في المقابل، خذ كائناً حياً مثل الإنسان أو الحيوان، فهو يتغير من طفولة إلى شباب ثم شيخوخة ثم يفنى.

السبب في فناء الكائن الحي هو التغير المستمر، حيث يضعف مع الزمن، بينما الجبل ثابت نسبياً لفترة طويلة.

محل الشاهد: الله سبحانه وتعالى منزّه عن التغير تماماً، فلا يضعف ولا يحتاج إلى شيء، بل هو غني عن العالمين، ولذلك لا يفنى ولا يتأثر مثل المخلوقات.

إِذْنُ كَيْفِ نَفْسِ أَدِيَّةِ اللَّهِ وَغَضْبِهِ وَفِرْحِهِ؟

نجيب عليه بنقطتين:

١. عندما نقول إن الله «غاضب»، لا يعني أنه يشعر بالغضب كما نشعر نحن، بل يعني أن الله يعاقب الظالمين ويمقت أفعالهم. روي عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت له: «يا بن رسول الله، أخبرني عن الله، هل له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه» (٦١٣)، أي أن الغضب عند الله يعني العقوبة، وليس الشعور بالغضب.

مثال: إذا رأيت نارًا تحرق الورق، فالنار لا «تغضب» من الورق، بل طبيعتها أن تحرقه. كذلك، عندما نقول إن الله «يغضب»، يعني أن عدله يقتضي العقوبة، وليس أنه يشعر بالغضب مثل البشر.

وهكذا الحال مع تعرض الله للأذى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. (٦١٤)

فالله سبحانه لا يتأثر بالأذى كما يتأثر البشر، فهو لا يصيبه ضرر أو ألم، لأن الأذى الحقيقي لا يقع إلا على من يضعف أو يحتاج أو يتأثر، والله منزّه عن ذلك.

إذن عندما يقال إن العاصين «يؤذون الله»، فالمقصود أنهم يرتكبون أفعالاً مستبشعة وبغيضة عند الله، مما يجعلهم يستحقون عقوبته وسخطه.

مثال: تخيل أن شخصاً يكره الشمس، فيقوم بشتمها أو حتى يحاول رمي الحجارة نحوها!، ولكن مهما فعل، فالشمس لا تتأذى ولا تتأثر بكلامه أو أفعاله، لكنها قد تحرم هذا الشخص من نورها ودفئها إذا أغلق نوافذه وظل في الظلام.

كذلك الله: لا يتأثر بأفعال المسيئين، لكنه يعاقبهم ويبعدهم عن رحمته ونوره بسبب أفعالهم القبيحة.

٢. إن الذي يصدر عنه الغضب والأسف والفرح وغير ذلك من الانفعالات النفسية هم أولياء الله تعالى، فإنهم حينما يغضبون ويفرحون ويسخطون ويتأذون ويرضون لا يفعلون ذلك لأنفسهم بل يفعلونه لله عز وجل، فجعل الله تعالى غضبهم وفرحهم وسخطهم ورضاهم بمنزلة غضبه وفرحه وسخطه ورضاه، روي في الكافي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (٦١٥)، فقال: «إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها»، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٦١٦)،

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦١٧)، فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر، وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبيد يوماً ما، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثم لم يعرف المكوّن من المكوّن ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً، بل هو الخالق للأشياء لا حاجة، فإذا كان لا حاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى»^(٦١٨).^(٦١٩)

الْمَبَكْتُ الثَّانِي: اللَّعْنُ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

نتقل إلى الجزء الثاني من الآية الكريمة قيد البحث والتي تتكلم عن الآثار المترتبة على من يؤذي الله ورسوله وهما: (اللعن في الدنيا والآخرة)، و (العذاب المهين). ونريد أن نركز في هذه المحاضرة على موضوع (اللعن).

السؤال الأول الذي ينبغي علينا طرحه هو: **ما معنى اللعن؟**

إنّ المعنى اللغوي^(٦٢٠) للعن هو الطرد والإبعاد، وتارة يضاف إلى الله فيأخذ معنى دينياً هو طرد الملعون من ساحة الرحمة الإلهية، فقوله تعالى: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٦٢١)، معناه: أبعدهم وطردهم من رحمته.

وتارة يرد في سياق الدعاء على الآخر، مثل: «اللهم العن فلاناً» فيراد به الطلب من الله أن يطرده من رحمته وعنايته، ويُبْعِدَهُ عَنْ سَاحَةِ قُدْسِهِ وَمَحَبَّتِهِ.^(٦٢٢)

بعبارة أخرى: أن اللعن على قسمين^(٦٢٣):

١- اللعن من الله.

٢- اللعن من الناس.

وستتكلّم في هذا المبحث عن هذين القسمين في المطلبين الآتين:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: اللَّعْنُ مِنَ اللَّهِ

اللعن من الله: هو الطرد عن رحمته واستحقاق عذابه. كقوله تعالى في حق من يؤذيه ويؤذي الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. (٦٢٤)

إن الآية الكريمة توضح أن اللعن على قسمين: لعن في الدنيا، ولعن في الآخرة. ويترتب على كل منهما آثار وخيمة، وهي كالآتي:

أولاً: آثار اللعن في الدنيا

إن لعن الله للعاصين في الدنيا يترك آثاراً عديدة، منها:

١. الضيق في المعيشة: كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (٦٢٥)، أي أنه سيعيش في ضيق وهم وقلق، حتى لو كان ظاهر حاله من أهل الشراء.

٢. الاضطراب النفسي والقلق: عندما تُحجب رحمة الله عن القلب، يمتلئ بالهموم والشكوك، ويفقد الطمأنينة والراحة النفسية، مما يفسر ارتفاع معدلات الأمراض النفسية والانتحار في بلاد الكفر أكثر من بلاد المسلمين.

٣. فساد القلب وقسوته: كما يجف الطين ويصبح صلباً عند انقطاع الماء عنه، كذلك القلب الذي تُحجب عنه رحمة الله بسبب الذنوب والمعاصي، يتحول إلى قلب قاسٍ لا يتأثر بالموعظة ولا يهتدي إلى الصواب.

٤. الخذلان في الحياة: من ابتعد عن الله، تخلى الله عنه، فيبقى تائهاً، لا يُوفق للخير، ولا يُبارك له في عمله وحياته.

٥. كثرة المصائب والبلايا: قد يُبتلى الإنسان بالمحن والشدائد بسبب بعده عن الله، فيعيش في دوامة من الابتلاءات المتتالية.

ثانياً: آثار اللعن في الآخرة

نذكر منها:

١. العذاب الدائم: من أبعد الله عن رحمته ولم يتب، فهو معرض لعذاب الله في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٦٢٦).

٢. الحجاب عن الله: قال تعالى عن أهل النار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (٦٢٧)، أي أنهم لا يرون الله، وهذا أعظم عقاب للمؤمنين الذين كانوا يرجون رؤية الله.

٣. الحرمان من الجنة: الجنة دار الرحمة، ولا يدخلها إلا من شمله الله برحمته، فمن ابتعد عنها حُرِمَ منها.

٤. الندم الشديد: حيث يدرك الإنسان يوم القيامة أنه ضيّع فرصته في الفوز برحمة الله، ولكنه لن يستطيع العودة للعالم للإصلاح.

المَطْلَبُ الثَّانِي: اللَّعْنُ مِنَ النَّاسِ

ذكرنا أن اللعن، في معناه العام، هو الدعاء على شخص أو مجموعة بأن يبعدهم الله تعالى عن رحمته. وهنا يبرز السؤال: هل اللعن جائز أم محرم؟

عند تتبع النصوص الشرعية، نجد أن بعضها يجيز اللعن، بينما بعضها الآخر ينهى عنه، مما يستوجب التفريق بين لعن المستحق ولعن غير المستحق، على النحو التالي:

لعن المستحق: جائز في الأصل، لكن إن أدى إلى فتنة أو مفسدة، أصبح غير جائز. لعن غير المستحق: محرم.

وللتوضيح، سنلقي الضوء على كل من هذين القسمين.

القِسْمُ الْأَوَّلُ: لَعْنُ الْمُسْتَحِقِّ

إن لعن المستحق جائز، ولكنه غير واجب. فاللعن ثابت في الشريعة الإسلامية، والدليل على جوازه من القرآن الكريم آيات كثيرة، منها (٦٢٨):

١. الآية قيد البحث: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. (٦٢٩)

٢. ﴿..أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. (٦٣٠)

٣. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ...﴾. (٦٣١)

٤. ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾. (٦٣٢)

٥. ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ...﴾. (٦٣٣)

٦. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فُلْنُ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾. (٦٣٤)

٧. ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. (٦٣٥)

ومن السنة الشريفة روايات كثيرة، منها:

١. روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أنه قال: «لعنة الله على الراشي والمرثشي». (٦٣٦)

٢. قوله صلى الله عليه وآله: «من أحدث في المدينة حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله» (٦٣٧). (٦٣٨)

٣. قوله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله». (٦٣٩)

٤. وعنه صلى الله عليه وآله: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط». (٦٤٠)

٥. ولعن صلى الله عليه وعلى آله وسلّم معاوية وأباه وأخاه بقوله صلى الله عليه وآله: «اللهم العن القائد والسائق والراكب»، فالراكب هو أبو سفيان، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق. (٦٤١)

يقول بعض المخالفين: إن اللعن من الله جائز، لكنه لا يجوز أن يصدر من الناس. فكيف يكون الرد على هذا الادعاء؟

الجواب: هذا الادعاء غير صحيح، ويمكن دحضه من خلال الأدلة الآتية:

أولاً: الدليل النقلى:

يتضح جواز اللعن من قبل الناس من خلال الدليلين القرآني والروائي، كالآتي:

١. الدليل القرآني:

◇ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٦٤٢)، هذه الآية تثبت أن اللعن ليس محصوراً بالله، بل تلعنهم الملائكة والناس أيضاً.

◇ وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (٦٤٣)، وهذا يثبت أن أنبياء الله لعنوا أقواماً عصاة، مما يدل على جواز اللعن من قبل البشر.

◇ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (٦٤٤)، ذيل الآية يشير إلى وجود لاعنين آخرين غير الله، مما يدل على أن اللعن غير محصور بالله، بل قد يصدر من غيره بحق المستحقين له.

٢. الدليل الروائي:

وردت العديد من الروايات التي تؤكد جواز لعن المستحقين له، إذ إن أفعال المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حجة، وهم القدوة والأسوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٦٤٥)، نذكر منها:

◇ قوله صلى الله عليه وآله: «جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه». (٦٤٦)

◇ وقوله صلى الله عليه وآله: «سته لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمتسلط

بالجبروت ليزل من أعزه الله، ويعز من أذله الله، والمستأثر بنفيء المسلمين المستحل له». (٦٤٧)

◇ عن الريان بن شبيب، عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يا ابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله، فالعن قتلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ». (٦٤٨)

ثانياً: الدليل العقلي:

لقد قام الدليل على العقلي على جواز اللعن. فالعقل يحكم بصحة وجواز دعاء المظلوم على الظالم - بإبعاده عن رحمة الله - والغاصب والخائن والقاتل والكاذب وغيرهم. خصوصاً لمن يظلم آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويغصب حقهم ويقتل شيعتهم ويخون في أمانة رسول الله صلى الله عليه وآله. (٦٤٩)

ولكن مَنْ هو المستحق الذي أجازت الشريعة لعنه؟

الجواب: هناك أصناف أجازت الشريعة لعنهم، وهم:

١- الكافر، والآيات كثيرة في ذلك، ومنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٦٥٠)، أما الأحاديث فقد تجاوزت حد التواتر، منها ما جاء في كتاب أحكام القرآن للقاضي أبي بكر المعافري، فقد ذكر عند تفسير الآية ١٦١ من سورة البقرة ان النبي صلى الله عليه وآله قال: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني، وقد علم أني لست بشاعر، فالعنه».

٢- الظالم، مسلماً كان، أو غير مسلم، لقوله تعالى: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. (٦٥١)
(إن اللعن يتناسب مع درجة الظلم، فالظالم بدرجة كبرى أمثال فرعون يشمله لعن كبير، والذي يظلم زوجته تشمله نسبة من اللعن ...

ألا يجعل هذا الاعتقاد المؤمن في حالة خوف وهلع، من أن يُطرد من رحمة الله تعالى؟!، فعندئذ من الذي سيفتح له الأبواب، كما في مناجاة التائبين: «فإن طردتني من بابك، فبمن ألوذ؟.. وإن رددتني عن جنابك فبمن أعود؟». (٦٥٢)

٣- الكاذب: من كذب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى

اللَّهُ كَذِبًا أَوْ لَيْتَكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦٥٣﴾ ومن الكذب على الله سبحانه الحكم بغير ما أنزل.

٤ - من يسعى في الأرض فساداً، كالذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (٦٥٤)

٥ - من يفتن بين الناس، ويثير النعرات والحزازات. (٦٥٥)

والمصداق الأكبر لمستحقي اللعن هم أعداء الله، وأعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأعداء أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأعداء الدين، حيث يُستحب لعنهم شرعاً، لكنه ليس فرضاً واجباً.

لكن هناك أمرٌ في غاية الأهمية يتعلق باللعن العلني لرموز المخالفين، والذي يترتب عليه فتنةٌ ومفسدةٌ. سنشير إليه في جواب السؤال الآتي: **هناك من يتجاهر بسبِّ ولعن رموز المخالفين علناً، سواء أمامهم مباشرة أو عبر وسائل الإعلام، مما قد يؤدي إلى إثارة الفتن والصراعات بين أبناء الأمة الإسلامية، فهل يجوز ذلك؟**

أجاب العديد من الفقهاء بعدم جوازه، ونذكر لكم ما ورد في بيان صادر عن مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) في سبِّ رموز الآخرين وشخصياتهم: (هذا التصرف مدان ومستنكر جداً، وعلى خلاف ما أمر به أئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شيعتهم) من التآلف مع عامة المسلمين واحترام رموز الآخر وبدون التعدي عليهم بما يثير البغضاء والتناحر وسفك الدماء. (٦٥٦)

ونلفت نظركم أن هذا البيان الصادر عن المرجع الأعلى لا يعني بحالٍ من الأحوال جواز تولي أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل إن ذلك محرم، إذ يجب على المؤمن أن يوالي أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويبرأ من أعدائهم، فالتولي والتبري من فروع الدين، تماماً كالصوم والصلاة.

نفهم مما تقدم أن الشريعة نهتنا عن الإعلان بلعن رموز الآخرين وتعيينهم -كذكر أسمائهم- إذا ترتب عليه فتنة أو مفسدة.

وإنما جاز لعن فئة بما فعلوا، فيقول مثلاً: (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). فَمَنْ كَانَ ظالماً شملته هذه اللعنة وعرفت طريقها إليه، دون أن تستفز أحداً، أو تستدعي ردة فعل غير مرضية.

إنَّ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نهوا شيعتهم عن التعرّض بالشتم والسبِّ واللعن لأعدائهم جهاراً؛ خوفاً من ردة الفعل العنيفة من الطرف الآخر، التي ستمظهر بسبِّ وشتم ولعن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وقد قيل لمولانا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا بن رسول الله، إننا نرى في المسجد رجلاً يعلن بسبِّ أعدائكم ويسمّيهم؟ فقال: ما له - لعنه الله - يعرّض بنا». (٦٥٧)

ومن هنا ذهب علماؤنا إلى وجوب ممارسة التقية في هذه الأمور، فقد قال الشيخ الصدوق رحمه الله: (اعتقادنا في التقية أنها واجبة، مَنْ تركها كان بمنزلة مَنْ ترك الصلاة... وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٦٥٨)، وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير هذه الآية: لا تسبّوهم فإنهم يسبّون عليكم، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ سَبَّ وَلِيَّ اللَّهِ فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ» (٦٥٩)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل» (٦٦٠). والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله ودين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة. وسئل الصادق عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٦٦١) قال: أعملكم بالتقية. (٦٦٢)

ومن هنا يظهر أنّ ما يحصل على بعض القنوات الفضائية، التابعة لشيعَة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أو في بعض صفحات التواصل الاجتماعي، من تجاهر باللعن والسبِّ لأعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أمرٌ مذموم، لا ينبغي للشيعيِّ الموالي لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، المطيع لأوامرهم، المقتدي بنهجهم وسلوكهم، أن يقوم به (٦٦٣)، تعزيزاً للوحدة الإسلامية وتجنباً للفتنة.

قد يعترض أحدكم بأن جواز لعن رموز الآخرين يؤدي إلى تفريق المذاهب
وتشتيت وحدتهم.

الجواب: قد أوضحنا سابقاً النهي عن إعلان لعن رموزهم إذا كان يترتب عليه
فتنة أو مفسدة.

ثم (إن الاختلاف بين الشيعة والسنة واقع لا يمكن إنكاره، والتظاهر بعدم
وجوده مجرد تصنع لا تُحمد عواقبه. لكن الأهم هو كيفية التعامل معه، والنهج الذي
نؤكد عليه دائماً هو الحوار الأخوي الهادئ، واستمراريته وفق أسس موضوعية. فإن
توصل المتحاورون إلى تفاهم، فهو المطلوب، وإلا فإن الاختلاف لا ينبغي أن يفسد
الود). (٦٦٤)

القِسْمُ الثَّانِي: لَعْنُ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ

اللَّعْنُ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَيْسَ أَسْلُوبًا يُطْلَقُ دُونَ ضَوَابِطٍ، بَلْ هُوَ حَكْمٌ
شَرْعِيٌّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ. وَاللَّعْنُ بِالْمَعْنَى الْأَدَقَّ لَهُ مَعْنِيَانِ:

١. اللَّعْنُ بِالْمَعْنَى الْمَشْهُورِ وَهُوَ الدَّعَاءُ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ:

وذكرنا أنه هذا جائز بحق من ثبت استحقاقه لللعن شرعاً، كالمنافقين والظالمين
الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا﴾. (٦٦٥)

ولكنه غير جائز بحق غير المستحق، كمن يقوم بلعن المؤمن المتقي، والمقصود
بالمؤمن في فقهاءنا أن يكون المسلم اثني عشرياً.

في حين الشرع (لا يجوز لعن المؤمن، إلا مع انطباق بعض العناوين التي ورد فيها
اللعن في الكتاب والسنة) (٦٦٦)، وهذا رأي السيد السيستاني (دام ظله)، وإليكم
جواب مكتب سماحة السيد السيستاني عن السؤال الآتي: هل يجوز لعن شارب
الخمر (المتجاهر) بالفسق؟

الجواب: يجوز لعن شارب الخمر لأن النبي صلى الله عليه واله لعنه مع عدة
آخرين. (٦٦٧)

ولكن بعض الفقهاء لا يجيزون لعن المؤمن مطلقاً حتى لو كان فاسقاً، ومنهم
ساحة السيد الخوئي (قد). (٦٦٨)

يقول الشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات: وبالجملة: (اللعن على رؤساء
الظلم والضلال والمجاهرين بالكفر والفسق جائز، بل مستحب وعلى غيرهم من
المسلمين غير جائز، إلا أن يتقن باتصافه بإحدى الصفات الموجبة له (٦٦٩). وينبغي
ألا يحكم باتصافه بشيء منها بمجرد الظن والتخمين). (٦٧٠)

٢. اللعن بمعنى السبّ والشتم والإهانة:

وهذا محرّمٌ، لأنه يتضمن إيذاء الآخرين بغير حق، والتجاوز في القول بما يؤدي
إلى الإهانة والتحقير، وهو من حيث المبدأ، لا يليق بأخلاق المؤمن، إذ لا ينبغي له
أن يكون لعاناً - اللعان كثير اللعن -، بحيث يستخدم هذا الأسلوب في كل كبيرة
وصغيرة، أو يطلق لسانه بلا ضابط في لعن الآخرين.

مثال ذلك: إذا قال شخص لآخر لمجرد خلاف شخصي: "لعنك الله" بغير موجب
شرعي، ولم يفهم منه الدعاء عرفاً، وإنما فهم منه التوهين والازدراء أو التهمة، فهو
حرام، لأنه ظلمٌ واعتداء.

وقد وردت العديد من الروايات التي تنهى عن لعن غير المستحق:

❖ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت
رحمة». (٦٧١)

❖ عنه صلى الله عليه وآله: «لا يكون المؤمن لعاناً». (٦٧٢)

❖ روي عن الإمام علي عليه السلام: «كرهت لكم أن تكونوا العانين شتامين». (٦٧٣)

قد يقال: أن هذه الروايات الناهية عن اللعن، جاءت بصيغة مطلقة دون تقييدها
بالمستحق أو غير المستحق، مما قد يستدعي القول بتحريم اللعن بشكل عام!!

ونرد على القائل بالنقاط الآتية:

١. النهي المطلق يناقض القرآن والسنة: على فرض صحة هذه الروايات، فإنها لا يمكن أن تُفهم على إطلاقها، بل يجب تقييدها بالنصوص القرآنية والروائية التي تثبت جواز لعن المستحق، والتي سبق ذكرها، مما يدل على أن النهي في تلك الروايات ليس عاماً.

٢. النهي عن الإفراط في اللعن، وليس عن لعن المستحق: إن النهي الوارد في الروايات هو النهي من جعل اللعن خلقاً لهم بسبب المبالغة فيه والإفراط في ارتكابه بحيث يلعن من يستحق ومن لا يستحق، لا النهي عن لعن المستحقين كما يزعمه بعض المعارضين ولو أراد ذلك لقال المعصوم: (لا تكونوا لاعنين)، وليس (لعانيين) فان بينهما فرقاً يعلمه من أحاط بدقائق لسان العرب^(٦٧٤).

٣. النهي من أجل التقية: قد يكون النهي عن اللعن في بعض الروايات مرتبطاً بالتقية، أي أن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ منعوا اللعن في ظروف معينة حفاظاً على شيعتهم من بطش الظالمين.^(٦٧٥)

٤. التفريق بين النهي الإلزامي وغير الإلزامي: اللعن قد يكون محرماً في بعض المواضع، وقد يكون مكروهاً في أخرى، لكن بما أن هناك أدلة تثبت جواز لعن الظالمين والمنافقين، فإن الروايات الناهية عن اللعن لا يمكن حملها على التحريم المطلق.^(٦٧٦)

رب تساؤل يرد: إن السب منهي في الشريعة، فكيف يمكن فهم وتفسير بعض المواقف الصادرة من المعصومين، ومنها: قول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لشمر بن ذي الجوشن: «يا ابن راعية المعزى»؟

الجواب: لقد دَلَّ الدليل على جواز سب أهل البدع والضلال. كما في صحيحة داود بن سرحان في الكافي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية وباهتوهم^(٦٧٧) كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»^(٦٧٨).

هذه الرواية تدل على جواز لعن المستحقين وهم المبتدعين والضالين، بل وتشجيع ذلك للحفاظ على الدين.

وقبل الانتقال إلى المبحث الآخر، نود الإشارة إلى أن (لعن الأموات أشد وزرا وأعظم إثما، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»^(٦٧٩))^(٦٨٠)، ومع ذلك، يُستثنى من ذلك من كان مستحقاً لللعن، لا سيما من أعلن العداء لمحمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وذلك وفق الضوابط التي تم ذكرها سابقاً.

(وبعض الناس لا يقتصرون على لعن البشر، بل يتجاوزون ذلك إلى لعن الزمان، أو المكان، أو المخلوقات الأخرى كالرياح والحيوانات، غافلين عن كونها جزءاً من نظام إلهي دقيق، لا تملك لنفسها خيراً ولا شراً. فهذه الأمور ليست مصدرًا للمحن والمتاعب، وإنما هي مجرد ظروف تسير وفق سنن الله في الكون، وعلى الإنسان أن يتعامل معها بحكمة، مستثمراً إياها فيما يصلح شأنه ويرضي ربه، بدلاً من أن يحمّلها مسؤولية ما يصيبه من مشاق، أو يتشاءم منها، أو يصفها بالنحس، أو ينهمك في سبها ولعنها بلا وعي أو تدبر.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تلعن الرياح فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»^(٦٨١)، وروي أن رجلاً سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يلعن بغيره، فقال: «إنزل عنه فلا تصحبنا بملعون»^(٦٨٢)، وروي في حديث آخر: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت: اللعن على أعصانا لله»^(٦٨٣).^(٦٨٤)

المَبَكْتُ الثَّالِثُ: فَلَسَفَةُ اللَّعْنِ

في هذا المبحث، نتناول فلسفة اللعن من خلال المطلبين الآتين:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فَلَسَفَةُ لَعْنِ الْمُسْتَحِقِّ

لم يكن تشريع اللعن في الإسلام، وفقاً لمنهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أمراً عبثياً أو دون حكمة، بل أُجيز بحق المستحقين لما فيه من حِكْمٍ ومصالح متعددة، منها:

١. اللعن وسيلة لإعلان البراءة من الظالمين والمنافقين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦٨٥). فاللعن أحد مظاهر التعبير عن البراءة من أعداء الدين، ومعلوم أن التبري أحد فروع الدين العشرة. ولكن ذكرنا لا يجوز الإعلان عن لعن رموز الآخرين إذا ترتب عليه الفتنة، (وليس من الواجب على الإنسان اللعن، فمن حقه ان لا يلعن أحداً ولا يُحاسب على ذلك، نعم يجب على المؤمن التبرؤ من أعداء الله) (٦٨٦) كما سنشير لذلك في المبحث الأخير.

٢. اللعن حاجز يحمي الولاية:

إن الله تعالى أمرنا بولاية الرسول وأمير المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٦٨٧). وهذه الولاية تحتاج إلى حماية بوسائل، منها: لعن أعداء محمد وآله. فاللعن يُمثل حاجزاً يحمي المحبة الصادقة لأولياء الله من الاختلاط بمودة أعدائهم. كما أن الشريعة لم تكتفِ بتحريم شرب الخمر، بل منعت حتى الجلوس على مائدة يُشرب فيها، صوناً للقلب من التعلق بها، لأن تجاوز هذا الحاجز قد يقود إلى الميل ثم الوقوع في المحذور.

٣. حماية المجتمع من الفساد والانحراف

اللعن يُعد وسيلة روحية لردع الظالمين والمنافقين، كما أنه يدفعهم إلى مراجعة أفعالهم أو على الأقل يكشف حقيقتهم أمام الناس، مثال ذلك: إن انتشار حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الناس بلعن شارب الخمر (٦٨٨) قلل من انتشارها بنسبة كبيرة.

٤. تمييز الحق عن الباطل

اللعن في منهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليس مجرد تعبير عن الرفض، بل هو وسيلة توعوية تهدف إلى كشف الباطل وتعزيز الولاء للحق. فعندما يلعن المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الظالمين بأسمائهم أو صفاتهم، فإنهم يرشدون الناس للتمييز بين الحق والباطل، ويمنعون اختلاط المفاهيم في أذهانهم.

٥. تطبيق العدل الإلهي ورفض الظلم

اللعن يعبر عن رفض الظلم بكل أشكاله، ويؤكد أن الإسلام لا يساوي بين الظالم والمظلوم، بل يُدين الظالمين بكل الوسائل المشروعة.

٦. نيل الثواب المترتب عليه

روي عن داود الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر، واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين ولعن قاتله، إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وخط عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنها أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد». (٦٨٩)

المَطْلَبُ الثَّانِي: فَلَسَفَةُ النَّهْيِ عَنِ لَعْنِ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ

جاء النهي عن لعن غير المستحق استناداً إلى عدة اعتبارات شرعية وأخلاقية، نذكر منها الآتي:

١. تحقيق العدل ومنع الظلم: اللعن حكم شرعي لا يجوز إطلاقه دون استحقاق، وإلا كان ظلمًا وعدوانًا، والإسلام قائم على تحقيق العدالة والإنصاف. رُوي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا] (٦٩٠) قال: قولوا للناس ما تُحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ اللَّعَانَ السَّبَّابِ الطَّعَّانِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَفَحِّشِ السَّائِلِ الْمُلْحِفِ وَيُحِبُّ الْحَيِّ الْحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ ». (٦٩١)

٤. الحفاظ على الأخلاق والوقاية من الفتنة والفرقة بين المسلمين: اللعن بغير حق يُنمي العداوة والبغضاء بين الناس، مما يجعله من شرار الخلق، روي عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «خطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، فَقَالَ: أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِشَرِّكُمْ؟، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!»، قال: الذي يمنع رفته ويضرب عبده، ويتردد وحده.

فظنوا أن الله لم يخلق خلقا هو شر من ذلك، ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك؟، قالوا: بلى يا رسول الله!، قال المفتاح اللعان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، وإذا ذكروه لعنوه»^(٦٩٢)، ومعلوم أن شرار الناس مبغوضون ومكروهون من قبل الناس.

٣. تجنب رجوع اللعنة على صاحبها: إذا لم يكن الملعون مستحقاً للعن، فإن اللعنة تعود على اللاعن نفسه، رُوِيَ عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «اللَّعْنَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ صَاحِبِهَا تَرَدَّدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يُلْعَنُ فَإِنْ وَجَدَتْ مَسَاغًا وَإِلَّا عَادَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَكَانَ أَحَقَّ بِهَا، فَاحْذَرُوا أَنْ تَلْعَنُوا مُؤْمِنًا فِيحُلُّ بِكُمْ»^(٦٩٣).

٤. دفع العقاب: (عند وقوع مشاجرة كلامية يتلفظ بعض الأشخاص -للأسف -بألفاظ معناها الكفر بالله سبحانه وتعالى، كما يتلفظون بما لا يليق بالمعصومين: وهم غير جادين فيما يقولون، فشرعا ما داموا غير جادين ولا قاصدين لما يقولون، فلا يقام عليهم الحد الشرعي وإنما يستحقون التعزير^(٦٩٤)).

وأما لو كانوا جادين قاصدين في سبهم لله عز وجل، أو للنبي صلى الله عليه وآله، أو للأئمة، أو للدين، أو للمذهب، وقاصدين ذلك بإصرار منهم عليه فحكمهم القتل^(٦٩٥).

٥. تجنب الحرمان من الشفاعة والشهادة يوم القيامة: روي أن عبد الملك بن مروان كان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت عند نساءه، وقد سمعته ذات يوم يلعن خادمة له، فقالت: لا تلعن، فإن أبا الدرداء حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن اللعّانين لا يكونون يوم القيامة شهداء ولا شفعاء»^(٦٩٦)، أي اللعان يُمنع من الشهادة يوم الحساب، فلا يُقبل قوله، كما يُحرم من الشفاعة، فلا يستطيع التوسط لأحد يوم القيامة.

المَبْنُوتُ الرَّابِعُ: لَعْنُ أُمَّةِ الظُّلْمِ وَمُؤَسَّسِي الجَوْرِ

ذكرنا أن الله تعالى لعن في كتابه العزيز الظالمين والكافرين والمنافقين والمفسدين والكاذبين، والذين يؤذون الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. (٦٩٧)

ومن أشد من أذى الله ورسوله أئمة الظلم والجور والنواصب، الذين خالفوا وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التمسك بأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فظلموهم، وحاربوهم، وسعوا لإخفاء ذلك عن الناس، لكنهم كشفوا عن عداوتهم الصريحة لشيعتهم ومواليهم، والسبب في ذلك يوضحه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد أحداً يقول أنا أبغض محمداً وآل محمداً، ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولوننا وتبرؤون من أعدائنا». (٦٩٨)

ولكن ما هو تكليفنا تجاه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتجاه أعدائهم لعنهم الله؟

الجواب باختصار هو: (بالتولي والتبري)، أي تولي أهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والتبري من أعدائهم. فهما ركنان أساسيان من أركان الدين. ولكن التعلق بأحد الركنين دون الآخر لا قيمة له، بل إن من أعظم مصائب الأمة الإسلامية اليوم أن الجميع يكن لأهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ المحبة والولاء، إلا أن أكثر هؤلاء لا يتبرؤون من أعدائهم ولا يقفون في مواجعتهم.

وغفل هؤلاء بأن علاقة الولاء لا تستقيم بدون التبري من أعدائهم، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (٦٩٩)، بل تشير بعض الروايات إلى أن من يوالي أهل البيت ويتودد لأعدائهم أشد لعنة وسوءاً عليهم، وذلك لأنه يسهم في تعمية قلوب الناس عن العلاقة الحقيقية بأهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد روي عن الحسن بن علي الخزاز، قال: سمعت الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إن من يتخذ مودتنا أهل البيت لمن هو أشد لعنة على شيعتنا من الدجال، فقلت له: يا بن رسول الله بماذا؟ قال: بموالات أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل، واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق»

(٧٠٠). (٧٠١)

وأول إمام من أهل البيت الذي وجب علينا أن نواليه ونتبرأ من أعدائه هو صاحب الذكرى أمير المؤمنين ومولى المتقين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه». (٧٠٢)

السؤال الأخير: كيف نتبرأ من أعداء علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

مصاديق البراءة من أعداء علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عديدة، وهي تتجلى في العقيدة، والسلوك، والموقف العملي، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. الاعتقاد بعداوة أعدائه ورفضهم: الإيمان بأن من نصب العداة لأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حاد عن الحق، والبراءة القلبية من كل من ظلم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغصب حقوقهم.

٢. الامتناع عن موالاتة أعدائه: عدم الانتماء أو التعاطف مع الاتجاهات التي تنكر فضل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أو تقلل من شأنه، وعدم تأييد الظالمين الذين ساروا على خطى من حاربوا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعدم الانخداع بمحاولات تلميع صورة من ظلموا الإمام وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعدم قبول أي تفسير يحاول التقليل من الجرائم التي ارتكبتها أعداؤه.

روي إن رجلاً قدم على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «يا أمير المؤمنين، إنني أحببك وأحبّ فلاناً - وسمي بعض أعدائه - فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمّا الآن فأنت أعور، فإمّا أن تعمى وإمّا أن تبصر». (٧٠٣)

٣. رفض نهج أعدائه وعدم التأثر بهم: تجنب الفكر الذي يتبنى مواقف المعادين لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتباع منهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في العقيدة والأحكام والسلوك.

٤. البراءة باللسان بواسطة اللعن: يعدّ اللعن من مظاهر التبري من أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لذا ورد اللعن في بعض الأدعية والزيارات، منها: زيارة عاشوراء. ورغم أن اللعن غير واجب. ولكن عند التلفظ بلعن أئمة الظلم والجور يجب مراعاة الظروف المحيطة وعدم الإعلان به أمام المخالفين إذا كان يؤدي إلى

الفتنة أو إثارة النزاعات، أو على الأقل تجنب ذكر أسمائهم.

هناك من يسأل: **من هم المخصوصون في اللعن في زيارة عاشوراء: (اللهم خص انت أول ظالم باللعن مني وابدأ به اولاً ثم العن الثاني والثالث والرابع)؟**

يجيب مركز الأبحاث العقائدية: (المقصود هنا هو ذكر أئمة الظلم ومؤسسي الجور على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ومع هذا الإبهام والإجمال فنحن غير مكلفين بالقطع بأحد وتسميته، وإنما المطلوب هنا - كما هو واضح - البراءة واللعن ممن ظلم آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الأئمة والقادة والرؤوس والمؤسسين لهذا النهج، وإلا فالظلمة كثر وليس بثلاث أو أربع، فالأمر باللعن إذن يخص مؤسسي وقائدي هذا الظلم على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولسنا مكلفين بتسميتهم).^(٧٠٤)

٥. إحياء ذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونشر فضائله: بالتمسك بحديثه ونشر علومه وسيرته، وعدم السكوت عن الحق، وردّ الشبهات التي يثيرها النواصب حول شخصيته ومقامه.

٦. اتباع نهج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عملياً: بالالتزام بتعاليمه في التقوى والعدل والإحسان، ونصرة المستضعفين ومواجهة الظلم، اقتداءً بسيرته في حكمه ومواقفه.

٧. التأكيد على مظلوميته وعدم نسيان حقه: بذكر مظلوميته وما جرى عليه من غصب للخلافة وظلم زوجته الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

، وبيان الحقائق التاريخية التي تم التعميم عليها بشأنه.

إن مظلوميات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عظيمة، تنهد لهوها الجبال، ومن أبرزها مظلوميته في الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان. حيث تروي كتب السيرة والتاريخ ما مضمونه: بأن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الليلة أفطر في بيت ابنته زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ

، فقدمت له قرصين من شعير ولبن وملح، فرفع اللبن قائلاً: «قدمت لأبيك إدامين في طبق واحد، وقد علمت أني متبع لرسول الله صلى الله عليه وآله». ثم أكل قليلاً، وحمد الله، وأخذ في الصلاة والدعاء حتى غلبه النعاس، فاستيقظ وقال: «رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فشكوت إليه ما أنا فيه من التبدل بهذه الأمة^(٧٠٥)،

فقال لي: ادع عليهم، فقلت: «ادع عليهم فإن الله تعالى لا يرد دعاءك. فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً وأبدلهم بي شراً».

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك الليلة يكثر الدخول والخروج، وينظر إلى السماء قائلاً: «هي والله الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله»، وكان يكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ثم هومت عيناه فرأى في المنام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول له: «يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك». فلما أخبر أبناءه، ضجوا بالبكاء، فأمرهم بالسكوت، ثم عاد إلى التضرع والعبادة.

مع اقتراب الفجر، نهض عَلَيْهِ السَّلَامُ للوضوء والصلاة، وبينما كان يخرج من الدار، رفرت إوزٌ كان في البيت وصحن في وجهه، فقال: «صوائح تتبعها نوائح»، وعند الباب، انحل مئزره، فقال:

**فَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقِيكَ
إِذَا حَلَّ بِنَادِيكَ
كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكَ**

**أَشَدُّ حَيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ
كَمَا أَضْحَرُكَ الدَّهْرُ**

ثم خرج عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المسجد، حيث كان ابن ملجم قد اختبأ متربصاً به، متعاوناً مع قطام التي وعدته بالزواج إن نفذ جريمته. دخل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ المسجد، وصلى ركعتين، ثم أذن، وكان من عادته تفقد النائمين، فمرّ بابن ملجم فوجده نائماً على وجهه، فأيقظه قائلاً: «قم من نومتك، فإنها نومة الشيطان».

ثم توجه إلى المحراب للصلاة، فترقبه ابن ملجم حتى سجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين وأخذ السيف وهزّه ثم ضرب الإمام على رأسه الشريف فوق الإمام على وجهه يخور بدمه قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة قتلني ابن اليهودية لا يفوتنكم الرجل.

(نصارى)

او دم الراس يتفايض على العين
ثار اصياح لهل العرش بالنوح
تشوف السم او دم الراس لونين

**بِالْحِرَابِ اَوَّلِي طَاحِ اَبُو اَحْسَنِ
يَوْمِ الطَّاحِ اَبُو الْحَسَنِ مَجْرُوحِ
طَبْرَهُ اَشْلُونِ طَبْرَهُ تَشْعَبِ الرُّوحِ**

(أبوذية)

إلك ماتم يحامي الجار ينصاب
او دمعي اعليك مثل السيل ينصاب
يريت الصوبك بالكب ينصاب
او سالم تظل يا حامي الحمية

أجركم الله فأصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء وهبت ريح عاصفة سوداء مظلمة ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى قتل ابن عم المصطفى قتل الوصي المجتبي قتل على المرتضى قتل سيد الأوصياء قتله أشقى الأشقياء فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت وجهها وخدها وصاحت وأبتاه وا عليها. (٧٠٦)

(فائزي)

الله يالناعي افجعت كلبي او مردته
ياريت صوتك لا علي مرّ او سمعته
چن عودي ماتم ابمحرابه سجده
الله يالناعي افجعتنه ابهذا المصاب
كلها يويلي راح ابوج او هلي العين
صابه المرادي ابسيفه او طرّراسه نصين
من سمعته صاحت يخويه حسن واحسين
كوموا لبونه اتلاحكوا بالمسجد انصاب

(مجردات)

ونت او نادات يلمجبلين
هشاييلينه اويـاـكم امنين
اسمع هضل واصياح صوبين
خوفي انكتل عودي يطيبين
لمن سمعها الحسن وحسين
صاحوا يزيب زيدي الونين
صاحت او هلت دمعة العين
عكبك يبويه اوجوهنه وين
ابوج انطبر والراس نصين
يا عيد الاكشر علمسلمين

هَمَّامٌ دِينٌ كَانُ الْمُهْدِيِّ



۲۰ رمضان

فَتْحُ مَكَّةَ



المُنَاسِبَةُ

فَتْحُ مَكَّةَ

القصيدة للشاعر: صبري أحمد الصبري

ويشائر الإنعام والرضوان
للمسلمين برحمة الغفران
مسترسل بالعزم والإتقان
في موعد العشرين من رمضان
دين الإله الواحد المنان
في نكبة الإذلال والخسران
بتجبر بضراورة الطغيان
في سورة (النصر) التي ببيان
لله رب العرش والأكوان
للخالق المعبود بالإحسان
وبلطفه بمسيرة الأزمان
مما به من عصابة الأوثان
كانت بحق منتهى اطمئنان
للناس جمعا في أعز مكان
زوجا له بمحبة الوجدان
عاشت بحب راسخ بجنان
من هجرة المبعوث بالفرقان
وضيائه من رحمة الرحمن
في كل وقت حاضر وزمان
قربا يكون بحضرة القرآن
في خلد فردوس لهم بجنان
ما لاح بدر مشرق بأمان!

في فتح مكة نعمة الرحمن
بالصوم أشرق بانتصار شامل
في زحف جيش باسل متمكن
بجدارة الإيمان كانوا هاهنا
والناس تدخل في الشريعة دأبها
والكفر مرتعد الفرائص واجف
كم كان يطغى بالمواقف كلها
قد سجل القرآن ذلك كله
والأمر بالتسبيح حمدا وافرا
وكذلك استغفار (أحمد) قانتا
فضلا يتوب على الأنام بجوده
والبيت أشرق بالضياء مطهرا
وحبيبنا المختار يدخل كعبة
وبمكة الإيمان كانت فرحة
ويزور (أحمد) باسطا ثوبا له
بـ(حجون) قبر(خديجة) في مكة
في غزوة كانت بعام ثامن
في شهر صوم عامر بجماله
فانصر جيوش المؤمنين على العدا
واقبل صيام الصائمين وهب لهم
وارحم جميع المسلمين بروضة
صلى الإله على النبي وآله

المحاضرة التاسعة

عَلَيْهِ السَّلَامُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾. (٧٠٧)

إنَّ الإنسان بطبيعته حريص على التحضير لكل رحلة يخوضها في حياته، فحينما يقرر السفر إلى بلد لم يزره من قبل، يبدأ بالبحث عن تفاصيل ذلك المكان؛ يطلع على موقعه الجغرافي، معالمة السياحة، عملته المحلية، تكاليف المعيشة، مستوى الأمان، أحوال الطقس، وسائر الأمور التي تضمن له سفرًا مريحًا وآمنًا. بل إنه لا يكتفي بجمع المعلومات، بل يُعدُّ العدة ويجهِّز ما يحتاجه من زاد وأمتعة قبل موعد الرحيل.

لكن من العجيب والمحزن في آنٍ واحد، أنَّ معظم الناس لا يملكون ذات الحرص فيما يخص الرحلة الأهم والأعظم، وهي الرحلة إلى العالم الآخر. فهم يُعدِّون لكل سفرٍ زاده، ويخططون لأيام معدودات، بينما يغفلون عن السفر الأبدي الذي لا رجعة منه ولا مهرب، وهو السفر إلى الدار الآخرة، حيث الحساب والجزاء. ولو أنَّ الإنسان تأمل في ذلك، لأدرك أنَّ هذه الرحلة ينبغي أن تكون موضع اهتمامه الأعظم، إذ أنَّ الإعداد لها لا يقتصر على توفير الزاد المادي، بل يتطلب زادًا روحيًا من الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

لقد ذكرت الشريعة الإسلامية مئات النصوص الشرعية القرآنية والروائية تصف مشاهد يوم القيامة، وتؤكد مرور الإنسان بمواقف عديدة قبل أن ينتهي مصيره إلى الجنة أو إلى النار. فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: "ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، فإنَّ للقيامة خمسين موقفًا، كل موقف مثل ألف سنة مما

تعدّون»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٧٠٨). (٧٠٩)

هذه المواقف ليست مجرد محطات عابرة، بل هي مواقف فاصلة تحدد مصير الإنسان الأبدى، وتتسم بطولها وشدتها. لذا، يتعين على المؤمن أن يستعد لها قبل فوات الأوان، وأن يزن أعماله في ميزان التقوى قبل أن يُعرض عليها في ميزان الحق الإلهي.

من بين تلك المواقف التي يمر بها الإنسان في عالم الآخرة:

النشر: حيث يُبعث الناس من قبورهم ويُعيدهم الله للحياة للعرض على الحساب.

الحشر: هو جمع الخلائق في ساحة المحشر استعداداً للمحاسبة.

الميزان: حيث تُوزن أعمال العباد، فيثقل الميزان بالحسنات أو يخف بالسيئات.

الحساب: حيث يُسأل كل إنسان عن أعماله، وما قدمت يده في الدنيا.

تطاير الكتب: حيث تُوزع كتب الأعمال، فيأخذ المؤمن كتابه بيمينه، بينما يأخذه الفاجر بشماله.

الشهادة: حيث تشهد الأعضاء والجوارح على الإنسان بما فعل، ولقد شرحناه في سلسلة هذا الكتاب. (٧١٠)

الشفاعة: حيث تتجلى رحمة الله بشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولقد شرحناه في سلسلة هذا الكتاب. (٧١١)

الحوض: حوض الكوثر الذي يرده المؤمنون ويُحرم منه الكافرون.

الصراط: وهو الجسر المنصوب على جهنم الذي يعبره المؤمنون بسرعة، ويسقط فيه أهل الضلال.

في هذا الكتاب، سنتناول موقفين من مواقف يوم القيامة، وهما الصراط والميزان. وسنركز في هذه المحاضرة على موقف الصراط، بينما سنؤجل الحديث عن موقف الميزان إلى المحاضرة الأخيرة. وبما أن الصراط يُعدّ (من ضروريات الدين والآيات متضافرة والأخبار به متواترة) (٧١٢)، ويعدّ من أعظم المواقف وأدقّها، لذا تُثار العديد

من التساؤلات الجوهرية حول حقيقته وطبيعته، ومنها:

- ◇ ما حقيقة الصراط، وما هي عقباته؟
 - ◇ أين يقع الصراط؟
 - ◇ لماذا يجب على الإنسان عبوره؟
 - ◇ هل الجميع مطالبون بعبور الصراط، أم أن الأمر يقتصر على فئة دون أخرى؟
 - ◇ هل يتشابه الناس في سرعة عبورهم الصراط أم يتفاوتون؟
 - ◇ ما هي علاقة الصراط بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
 - ◇ لماذا يُلقَّب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ: «قسيم الجنة والنار»؟
 - ◇ ما هي الأعمال الصالحة التي تعين الإنسان على اجتياز الصراط بأمان؟
- في المباحث القادمة، سنجيب عن هذه التساؤلات بالاستناد إلى القرآن الكريم وأحاديث النبي وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لنكشف عن حقيقة الصراط، وطرق العبور الآمن عليه، وعلاقته بالعقيدة والسلوك الإيماني.

الْمَبَكْتُ الْأَوَّلُ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

لقد وردت كلمة (الصِّرَاطُ) في القرآن الكريم (٤٥) مرة، منها: (٣٣) مرة بلفظ الصراط المستقيم، منها قوله تعالى في الآية قيد البحث: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾. (٧١٣)

حيث يأمرنا الله باتباع الصراط المستقيم، وتارة يأمرنا أن نطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم بقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٧١٤)، وجميع المسلمين يطلبون من الله ذلك على الأقل عشر مرات أثناء صلاتهم اليومية حينما يقرؤون فاتحة الكتاب.

السؤال الذي يجب علينا طرحه هو: ما هو الصراط المستقيم؟، وأي صراط ندعو

الله أن يوفقنا ويهديننا إليه؟

الجواب:

الصراط بالمعنى اللغوي: هو الطريق^(٧١٥)، أو سبيل ومسلك^(٧١٦).

وأما المعنى الاصطلاحي للصراط فهو على قسمين: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. وسنشير إليهما في هذين المطلبين:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: الصَّرَاطُ فِي الدُّنْيَا

إن الصراط في الدنيا ليس جسر شيد بالمعادن أو الأحجار أو الخشب - كما هو الحال مع جسور الدنيا-، بل هو في الدنيا في هيئة الدين^(٧١٧)، روي عن رسول الله صلى الله عليه واله قال: «إنه (أي الصراط) دين الله الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه واله»^(٧١٨)، إذن الصراط هو دين الله، أي الدين الذي لا يُقبل من العبد غيره.

ولكن ما هو دين الله؟

الدين لغة: الجزاء والمكافأة، فيقال كما تدين تدان، أو الطاعة.^(٧١٩)

وأما الدين اصطلاحاً فهو: مجموعة العقائد والمفاهيم والأحكام والأخلاق التي يحملها مذهب ومنهج معين^(٧٢٠)، والمقصود منه الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٧٢١)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٧٢٢).

وبما أن عقولنا -نحن بني البشر- قاصرة عن إدراك كل ذلك؛ لأننا لم نصل إلى الكمال المنشود، والذي خلقنا الله لنصل إليه، فلا بد من أن يكون هناك من يتكفل ببيان الدين الحق (دين الله)؛ لأنه يستحيل على الله تعالى أن يتركنا بلا راع، فيكون منافٍ للغرض من الخلق، وهذا يستلزم العبث على الله تعالى وحاشا لله، ومن لطف الله بنا أن بعث لنا من وصلوا إلى أعلى مراحل الكمال الروحي والتقوى الكاملة، وهم الأنبياء والأوصياء، فهم معصومون منزّهون عن السهو والخطأ وارتكاب

المعاصي - مع قدرتهم على ارتكابها - لكنهم يترفعون عن ذلك باختيارهم، فكانوا هم الصراط المستقيم الموصل الى الله تعالى، والواسطة والوسيلة بيننا وبين الحق تعالى، وبالأخص هم أصحاب الكلمات التي ابتلي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهن فآتمهن وجعله بهن إماماً، هم: (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) ^(٧٢٣)، لذا نقرأ في الزيارة الجامعة: «أَنْتُمْ الصَّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ». ^(٧٢٤)

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٧٢٥)، قال: «الطَّرِيقُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ». ^(٧٢٦)

وعنه أيضاً: «وَاللَّهُ نَحْنُ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ». ^(٧٢٧)

وعنه أيضاً: «الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». ^(٧٢٨)

نفهم من الروايات أننا حينما ندعو الله يومياً في صلاتنا قائلين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٧٢٩)، بمعنى اهدنا إلى الدين القويم الذي يتجسد في شخصية الأنبياء والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وبالنتيجة: (من عرف هؤلاء الأولياء واقتدى بهديهم، فإنه سيعبر بسلام من صراط الآخرة الذي هو جسر فوق جهنم، ومن لم يعرف الأئمة المعصومين ولم يهتد بهديهم، فستزل قدمه من جسر جهنم ويقع في النار). ^(٧٣٠)

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الصَّرَاطُ فِي الْآخِرَةِ

وأما الصراط في الآخرة (فيظهر بالهيئة المناسبة مع حقائق تلك النشأة على شكل جسر أحد طرفيه موقف القيامة ونهايته جنة الرحمة. وظهور الصراط في القيامة في شكل الجسر شبيه لتمثل العلم في الرؤيا بصورة الماء والحكمة بصورة اللبن) ^(٧٣١).

وَيُنْصَبُ الصَّرَاطُ (الجسر) يوم القيامة على نار جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مَالِكًا أَنْ يَسْعَرَ النَّيْرَانَ السَّبْعَ، وَأَمَرَ رِضْوَانَ أَنْ يَزْخِرِفَ الْجَنَانَ الثَّمَانَ، وَيَقُولُ: يَا مِيكَائِيلُ مَدِّ الصَّرَاطَ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَيَقُولُ: يَا جَبْرَائِيلَ انْصَبْ مِيزَانَ الْعَدْلِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ قَرِّبْ أُمَّتَكَ لِلْحِسَابِ». ^(٧٣٣)

وبعد موقف الحساب يُكَلَّفُ الخلق المرور على الصراط، (وهو الطريق لأهل

الجنة إلى الجنة ولأهل النار إلى النار بعد المحاسبة، قالوا: لأن أهل الجنة ممرهم على باب النار، فمن كان من أهل النار عدل به إليها، وقذف فيها، ومن كان من أهل الجنة مر بالنار مروراً نجا منها إلى الجنة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(٧٣٤)، لأن ورودها هو القرب منها، والدنو إليها^(٧٣٥).

من خلال ما تقدم نفهم عدم وجود تعارض بين معنى الصراطين؛ لأن الصراط الأخرى هو تجسيد لحقيقة الصراط الدنيوي الذي يسلكه الإنسان في حياته، فقد روي عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الصراط؟ فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم»^(٧٣٦).

وأما صفة الصراط في الآخرة فتوضحه الروايات بأنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف^(٧٣٧)، فقد روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «والصراط أدق من الشعر وأحد من السيف»^(٧٣٨).

وسنعرض مجموعة من التساؤلات المهمة المرتبطة بالصراط:

السؤال الأول: لماذا الصراط تصفه الروايات بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف؟

ونختصر الإجابة بهاتين النقطتين:

١. دقة الحساب والعدل الإلهي المطلق:

وصف الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف يشير إلى أن الحساب يوم القيامة سيكون دقيقاً جداً ولا يقبل أي ظلم أو خطأ، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(٧٣٩)، ومن ثمّ، لا يمكن لأحد أن يتجاوز الصراط إلا بميزان دقيق من الإيمان والأعمال الصالحة، كما لا يمكن اجتياز سيف حاد أو شعرة دقيقة بسهولة. كما سنوضحه في عقبات الصراط.

٢. صعوبة الثبات على الحق تشبه السير على حد السيف:

إن اتباع الحق وإقامة العدل في ظل التحديات والفتن المحيطة بالإنسان ليس بالأمر السهل، لذا وصف الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، لأن التمسك بالحق يتطلب صبراً وجهاداً للنفس، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر». (٧٤٠)

فالثبات على الصراط المستقيم يستلزم مجاهدة مستمرة للهوى والشهوات، ومقاومة النفس الأمارة بالسوء، والتصدي للشياطين الإنس والجن الذين يسعون لإضلال الإنسان. ومن صبر وجاهد نفسه، فإن الله سيهديه ويوفقه لاجتياز الصراط بأمان يوم القيامة، كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (٧٤١)

وهكذا، فإن الصراط في الدنيا هو انعكاس للصراط في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٧٤٢)، فمن استقام هنا، سهّل عليه العبور هناك، ومن انحرف وزلّت قدمه عن طريق الحق، تجسد ذلك يوم القيامة بتعثره على الصراط.

وكلامنا لا يعني أن أحكام الله في أصلها عسيرة أو صعبة التطبيق، بل إن أحكام الله عز وجل ميسرة لكل الناس، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٧٤٣)، ولكن الصعوبة تكمن في مواجهة التحديات والعقبات التي يضعها الفاسدون والتيارات المنحرفة لمنع الناس من اتباع الحق، كإصدار القرارات التي تمنع ارتداء الحجاب أو إحياء الشعائر الدينية، أو تضييق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينما في المقابل تُشرع للعلاقات غير الشرعية كالزنا والشذوذ الجنسي، وتبيح شرب الكحول، وغيرها من المفاسد التي تهدف إلى إضعاف العزيمة وإبعاد الإنسان عن منهج الله. لكن من جاهد في سبيل الله ثبتته وأعانه على تجاوز الصعوبات والتحديات الفاسدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾. (٧٤٤)

السؤال الثاني: هل الجميع مطالبون بعبور الصراط، أم أن الأمر يقتصر على فئة دون أخرى؟

الجواب: (يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(٧٤٥) التي تنصّ على التعميم فضلاً على الإطلاق؛ ومن الحصر بين النفي والإثبات، أن جميع البشر بلا استثناء يردون جهنّم، المؤمنون منهم والكفار والمنافقون.
سئل رسول الله: أتدخل النار أنت أيضاً؟ قال: بلي، لكنني أعبرها كالبرق الخاطف.

وجاء في الرواية أن رسول الله بكى حين نزلت الآية المذكورة حتى ابتلت الارض من دموعه، ثم نزلت: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾^(٧٤٦).^(٧٤٧)

السؤال الثالث: لماذا وجب على جميع البشر المرور على الصراط؟

الجواب: هناك ثلاث حكم أساسية توضح سبب وجوب العبور عبر جهنم للوصول إلى الجنة:

١. الإدراك العميق لقيمة الجنة: إن الإنسان لا يدرك نعمة الراحة إلا بعد المشقة، ولا يعرف قيمة النور إلا بعد المرور في الظلام.

لذلك، عندما يمر أهل الجنة على جهنم ويرون شدتها وعذابها، يدركون نعمة الجنة بعمق أكبر، مما يزيد من فرحتهم وسعادتهم بها.

٢. الصراط انعكاس لأعمال الإنسان في الدنيا: وهذا يثبت عدله وصدق قوله، فالصراط ليس مجرد جسر مادي، بل هو تجسيد لطريقة حياة الإنسان في الدنيا.

من كان مستقيماً على الصراط في الدنيا، أي متمسكاً بالحق والإمام المفروض الطاعة، فإنه يجتاز صراط الآخرة بسهولة. أما من انحرف عن الصراط في الدنيا، فإنه يزل في صراط الآخرة ويهوي في جهنم.

٣. الإنذار والتحذير من خطورة الانحراف: رؤية جهنم أثناء المرور على الصراط تذكير لكل البشر بعاقبة الذنوب والمعاصي. لذلك، مرور الجميع على جهنم هو

تحذير عملي للمذنبين، يريهم المصير الذي كادوا أن يسقطوا فيه لو لم يتوبوا أو يصلحوا أنفسهم. ^(٧٤٨)

السؤال الرابع: هل يتشابه الناس في سرعة عبورهم الصراط أم يتفاوتون؟

الجواب: تتفاوت سرعة العابرين على الصراط بحسب ما قدّموا من أعمال في الدنيا، فالمؤمنون يعبرونه كالبرق الخاطف، والكافرون يتعثّرون من أول قدم، ويتهافتون إلى النار، قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلقاً، قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً» ^(٧٤٩). ^(٧٥٠)

وسبب اجتياز الانبياء والأوصياء الصراط كالبرق الخاطف لأنهم لم يتعلقوا بالدنيا ولم تدنسهم ملذاتها، «فحب الدنيا رأس كل خطيئة» ^(٧٥١). إن حجج الله على البرايا معصومون عاشوا حياتهم في طاعة الله دون انشغال بزينة الحياة وزخارفها. فالدنيا بالنسبة لهم كانت مجرد جسر يعبرونه دون توقف، لأنهم لم يجعلوا لها موطئاً في قلوبهم. ولهذا، فإن عبورهم للصراط في الآخرة يكون سريعاً، كما ورد في الروايات أن الأنبياء والأولياء يمرون عليه كالبرق. ولأن نور المؤمنين يقلل من شدة نار جهنم، لذا يكاد لا يشعرون بورودهم عليها، روي في «مجمع البيان» عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزِيََا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ هَبِّي» ^(٧٥٢)، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فَقَالَ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ» ^(٧٥٣).

أما سائر الناس، فعبورهم يعتمد على درجة تعلقهم بالدنيا، فمن كان أكثر زهداً وخلصاً عبر الصراط بسرعة، ومن كان أكثر تعلقاً بالدنيا وتأخر في تطهير نفسه، كان عبوره أشد صعوبة، وصولاً إلى الكفار والظالمين الذين يسقطون في جهنم بسبب كثرة ذنوبهم.

للتوضيح بمثالٍ تقريبي: تحيّل عداءً رياضياً خفيف الوزن، يرتدي ملابس مريحة وينطلق بسرعة دون أي عوائق، فيصل إلى خط النهاية بسهولة وفي وقت وجيز.

وفي المقابل، هناك عداء آخر يحمل على ظهره حقيبة ثقيلة مملوءة بالأوزان، مما يُعيقه عن الحركة السريعة، فيتعثّر مراراً، ويتأخر في الوصول، وربما يسقط قبل بلوغ النهاية بسبب ثقل ما يحمله.

وهكذا هو حال العصاة والفاسقين الذين رحلوا عن الدنيا مثقلين بالذنوب دون توبة، فاضطروا إلى حمل أوزارهم يوم القيامة، مما يجعل عبورهم على الصراط صعباً، حتى يؤدي بهم إلى السقوط في جهنم، والعياذ بالله.

الْقَبْكَثُ الثَّانِي: الإِقَامُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصِّرَاطُ وَقَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

لقد وردت روايات جمة عن طريق الخاصة والعامّة في أنّ عليّاً بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الصراط المستقيم. وإليكم بعض الروايات التي تثبت ذلك وسنركز على الآية قيد البحث:

يروى البحرائي في كتابه النفيس «غاية المرام» رواية واحدة عن العامّة، وعشر روايات عن الخاصة في تفسير الآية المباركة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٧٥٤)، ورد فيها أنّ عليّاً بن أبي طالب هو المراد بالصراط المستقيم في هذه الآية.

أمّا الرواية التي نقلها عن العامّة، فقد روي عن الحسن البصري، في الآية الشريفة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٧٥٥)، قَالَ: «يَقُولُ: هَذَا طَرِيقُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَذُرِّيَّتِهِ طَرِيقُ مُسْتَقِيمٍ وَدِينُ مُسْتَقِيمٍ فَاتَّبِعُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ لَأَعْوَجَ فِيهِ»^(٧٥٦).

وأما الروايات العشر التي نقلها عن الخاصة فننقل منها ثلاث روايات:

الأولى: حديث جاء عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في معنى الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ (٧٥٧)، قَالَ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْإِمَامُ. وَ﴿لَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾، قَالَ: يَعْنِي غَيْرَ الْإِمَامِ، ﴿فَتَفَرَّقْ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٧٥٨)، يَعْنِي تَفَرَّقُوا وَتَخْتَلَفُوا فِي الْإِمَامِ». (٧٥٩)

الثانية: حديث يرويه محمد بن الحسن الصفار في «بصائر الدرجات» بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (٧٦٠)، فَقَالَ: هُوَ وَاللَّهُ عَلَيَّ، هُوَ وَاللَّهُ الصِّرَاطُ وَالْمِيزَانُ. (٧٦١)

الثالثة: حديث يرويه محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقْ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. قَالَ: تَدْرِي مَا يَعْنِي بـ: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾؟! قُلْتُ: لَا.

قَالَ: وَلَايَةٌ عَلَيَّ وَالْأَوْصِيَاءِ.

قَالَ: وَتَدْرِي مَا يَعْنِي ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؟! قُلْتُ: لَا.

قَالَ: يَعْنِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَتَدْرِي مَا يَعْنِي: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقْ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟

قُلْتُ: لَا! قَالَ: وَاللَّهِ وَلَايَةٌ فُلَانٍ وَفُلَانٍ.

قَالَ: وَتَدْرِي مَا يَعْنِي: ﴿فَتَفَرَّقْ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟

قَالَ: يَعْنِي سَبِيلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٧٦٢)

وحينما نستقرئ نصوصاً روائية أخرى نجدها تؤكد بأن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو: قسيم الجنة والنار، حيث روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَخَازِنُ الْجَنَانِ، وَصَاحِبُ الْخَوْضِ، وَصَاحِبُ الْأَعْرَافِ، وَلَيْسَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ إِمَامٌ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِأَهْلِ وَلَايَتِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧٦٣)». (٧٦٤)

رب تساؤل يرد: **ما المقصود بأن علياً بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قسيم الجنة والنار؟**
للإجابة على هذا التساؤل، يمكن تقديم ثلاثة تفسيرات رئيسية:

١. إن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الميزان الفاصل بين الحق والباطل، حيث لا يفارقه الحق أبداً، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق، والحق مع علي، والحق يدور حيثما دار علي»^(٧٦٥)، وقد لقبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بـ: الفاروق الأعظم، كما رُوي عن أبي ذر أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل»^(٧٦٦)، وكان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يكرر ذلك بخطبه: «أنا الفاروق الأعظم».

وبما أن الأعمال تتجسد في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^(٧٦٧)، فإن صفة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كميزان للحق والباطل ستجلى يوم القيامة، حيث سيكون على الصراط، يميز بين الناس، فمن تبع ولايته وتمسك بنهجه عبر الصراط إلى الجنة، ومن أعرض عنه وابتعد عن منهجه سقط في النار.

٢. من المعلوم أن الإيمان يقود صاحبه إلى الجنة، بينما يكون مصير النفاق إلى النار. ولأن حب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الحد الفاصل بين الإيمان والنفاق، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(٧٦٨). وبناءً على هذا الحديث، يصبح الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ معياراً لمصير الإنسان، فهو الذي يفرق بين أهل الجنة وأهل النار بهذا الميزان.

روي عن محمد بن منصور الطوسي: كنا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل:

ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أن علياً قال: أنا قسيم النار؟

فقال أحمد: وما تنكرون من هذا الحديث؟! أليس رويناً أن النبي (ص) قال لعلي:

لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟

قلنا: بلى.

قال: فأين المنافق؟

قلنا: في النار.

قال: فعلي قسيم النار!!^(٧٦٩)

٣. (كما أن الإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ واليوم الآخر هو المعيار العام الذي يفصل بين أهل الجنة والنار، فإن الإمامة وولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الفارق بين النجاة والهلاك لأهل الإسلام، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»^(٧٧٠).)

فالمقياس الذي يحدد المسلم الحقيقي، وأهل الجنة من أهل النار من المسلمين، هو ولاية الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث يكون المعتقد بإمامته من الفرقة الناجية التي نص عليها الحديث الشريف.

ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٧٧١)، و «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٧٧٢)، والمقصود بالإمام هنا ليس أي شخص، بل الإمام المنصوص عليه من قبل الله ورسوله، وليس الفاسق أو الظالم، لأن الإمامة مكملة للإيمان الحقيقي، فمن لم يؤمن بها لم يكتمل إيمانه، وكان في حكم الجاهلية.

لذلك، فإن ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي مفتاح عبور الصراط يوم القيامة^(٧٧٣)، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم ما جازها أحد حتى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب»^(٧٧٤).

قد يسأل أحدكم عن المقصود من العبارة الواردة في الحديث (براءة بولاية علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ)؟

والجواب أن المراد من البراءة هو الصك كما إن هذه الكلمة وردت في بعض الألفاظ الأخرى لهذا الحديث، وأيضاً ورد في الحديث لفظ الجواز (إلا بجواز من علي بن أبي طالب) وكل هذه الألفاظ تشير إلى معنى واحد وهو: أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قسيم الجنة والنار، ومن الطبيعي أن لا يدخل الجنة إلا من كان قائلاً

الصعبة، لأنها تحتاج إلى مجاهدة للنفس والصبر.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب الاعتقادات في دين الإمامية: «اعتقادنا في ذلك أن هذه العقبات اسم كل عقبة منها على حدة اسم فرض، أو أمر، أو نهي.

فمتى انتهى الانسان الى عقبة اسمها فرض، وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها، فان خرج منها بعمل صالح قدمه، أو برحمة تداركه، نجا منها الى عقبة أخرى، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة، ويجبس عند كل عقبة، فيسأل عما قصر فيها من معنى اسمها، فإن سلم من جميعها انتهى الى دار البقاء فيحيا حياة لا موت فيها أبداً، وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصديقين والشهداء والصالحين من عباده.

وإن حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه فلم ينجح بعمل صالح قدمه، ولا أدركته من الله عز وجل رحمة زلت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنم، نعوذ بالله منها.

وهذه العقبات كلها على الصراط.

اسم عقبة منها:

❖ **الولاية:** حيث يوقف جميع الخلائق عندها، فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فمن أتى بها نجا وجاز، ومن لم يأت بها بقي فهوى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِذْرٌ صَادٍ﴾^(٧٨٣)، ويقول عز وجل: «وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم»^(٧٨٤).

وفي خبر آخر عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... (إلى قوله)، ثم يأمر الله تعال أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الامة، رجالهم ونساءهم على القنطرة الأولى: عن ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحب أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف ومن لا يحب أهل بيته سقط على ام رأسه في قعر جهنم ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقاً... الخبر»^(٧٨٥).

واسم عقبة منها: **الرحم**.

واسم عقبة منها: **الأمانة**.

واسم عقبة منها: **الصلاة**.

وباسم كل فرض أو أمر أو نهي عقبة يجبس عندها العبد فيسأل^(٧٨٦).

وهذا يعني أننا سنسأل عن الصوم، والحج، والزكاة والخمس، وبر الوالدين، وأداء حقوق الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفة ومدى التزامنا بالحجاب الشرعي الكامل وغيرها

وقد أشار إلى بعض هذه العقبات الإمام أبو جعفر **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، حيث قال: «... ثم يوضع عليها^(٧٨٧) صراط أدق من حد السيف، عليها ثلاث قناطر: فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم، والثانية فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين^(٧٨٨) لا إله غيره فيكلفون بالممر عليها فيحبسهم الرحم والأمانة فان نجوا منها حبستهم الصلاة فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين وهو قوله: **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾**^(٧٨٩)، والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزول قدم ومستمسك بقدم والملائكة حولها ينادون يا حليم اعف واصفح وعد^(٧٩٠) بفضلك وسلم وسلم، والناس يتهافتون في النار كالفراس فيها فإذا نجا ناج برحمة الله مر بها فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد اليأس بمنه وفضله ان ربنا لغفور شكور»^(٧٩١).

لذا وجب علينا أن نحذر من التقصير في أداء الواجبات وترك المحرمات والحذر من حب الدنيا الذي يؤدي بنا إلى التهلكة، روي عن الامام محمد الباقر **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: أتى أباذر رجلٌ، فبشره بغنم له قد ولدت، فقال: يا أباذر أبشر ولدت غنمك وكثرت. فقال: ما يسرنى كثرتها، فما أحب ذلك، فما قلّ منها وكفى أحبّ اليّ مما كثر وألهى، أني سمعت رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «على حافتي الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مرّ عليه الموصول للرحم والمؤدي للأمانة لم يتكفأ به في النار»^(٧٩٢).

وفي رواية أخرى: «وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم، لم ينفعه معها عمل، وتكفأ به الصراط في النار». (٧٩٣)

حكاية: نقل السيد بهاء الدين النجفي في كتاب الأنوار المضيئة في أبواب فضائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حكاية عجيبة حكاها والده رحمه الله تعالى ووافقها عليها جماعة أصحابهم: (أن رجلاً كان يقال له محمد بن أبي أذينة كان تولى مسجد^(٧٩٤) قرية لنا تسمى قرية نيلة انقطع يوماً في بيته فاستحضره فلم يتمكن من الحضور فسألوه عن السبب، فكشف لهم عن بدنه فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى وفي ركبته محرق بالنار، وقد أصابه من ذلك ألم شديد لا يمكنه معه القرار، فقالوا له: متى حصل لك ذلك؟ قال: اعلموا أنني رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت والناس في حرج عظيم وأكثرهم يساق إلى النار والأقل إلى الجنة، وكنت مع من سيق إلى الجنة، فانتهى بنا المسير إلى قنطرة عظيمة في العرض والطول، فقيل: هذا الصراط، فسرنا عليها فإذا هي كلما سلكنها فيها قل عرضها وبعد طولها فلم نبرح كذلك ونحن نسير عليها حتى عادت كحد السيف، وإذا تحتها وادٍ عظيم أوسع ما يكون من الأودية، تجري فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كقلل الجبال والناس ما بين ناج وساقط، فلم أزل أميل من جهة إلى أخرى حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة فلم أتمالك حتى سقطت من عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهيت إلى الجرف، فجعلت كلما اتشبت به لم يتماسك منه شيء في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث وقد انذهلت وطار عقلي وذهب لبي فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوقع في روعي أنه الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين: فقال: هات يدك.

فمددت يدي، فقبض عليها، وجذبني، وألقاني على الجرف، ثم أماط النار عن وركي بيده الشريفة فانتبعت مرعوباً وأنا ترون فإذا هو لم يسلم من النار إلا ما مسه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم مكث في منزله ثلاثة أشهر يداوي ما أحرق منه بالمرام حتى برئ، وكان بعد ذلك قل أن يذكر هذه الحكاية لأحد إلا أصابته الحمى). (٧٩٥)

لذا وجب علينا أن لا نستخف بهذه العقبات، وأن نعمل لكل ما ينجينا منها، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن أمامكم عقبة كؤوداً ومنازل مهولة، لا بد لكم من

الممر بها، والوقوف عليها، فإمّا برحمةٍ من الله نجوتم، وإمّا بهلكةٍ ليس بعدها انجبار»
أراد عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعقبة تخلص الإنسان من التبعات التي عليه. (٧٩٦)

الْمَبْنُوتُ الرَّابِعُ: أَعْمَالٌ لِتَسْهِيلِ عُبُورِ الصَّرَاطِ

هناك عدة أعمال لتسهيل المرور على الصراط وتجاوز عقباتها، منها:

أولاً: أعمال مذكورة في النصوص القرآنية، منها:

قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكَرَّ رَجَبًا﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ (٧٩٧)، فحينما نقف على كل آية نستنتج الأعمال التي تساعدنا على تجاوز العقبة، وهي كالاتي:

١. فكّ الرقاب: أي تحرير العبيد.

٢. إطعام المحتاجين في أيام الجوع الشديد، خصوصاً:

◆ اليتيم القريب: أي الذي فقد والديه ويحتاج إلى الرعاية.

◆ المسكين المعدم: الذي لا يملك شيئاً ويعيش في فقر شديد.

لذا يجب علينا على أقل تقدير إخراج الحقوق المالية الواجبة كالخمس والزكاة والكفارات وتوزيعها على المحتاجين.

٣. الإيمان بالله والعمل الصالح: فلا يكفي العمل بدون الإيمان، بل يجب أن يكون العمل مقرونًا بالإيمان.

٤. التواصي بالصبر: أي أن يحث بعضهم بعضًا على التحمل والثبات في مواجهة الشدائد.

٥. التواصي بالرحمة: يعني ينبغي أن يوصي المؤمنون بعضهم بعضًا بالرحمة، ليس فقط قولاً بل عملاً، فيكونوا رحيمين في تعاملهم مع الآخرين، فينشرون الرحمة بين الناس ويحثون عليها، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع.

ثانياً: أعمال مذكورة في النصوص الروائية

حيث نستنتج من بعض الروايات الآتي:

١. الولاية لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بطاعتهم طاعة مطلقة لأنهم الصراط المستقيم الذي ينجوبه العبد.

٢. أداء كل الواجبات وترك كل المحرمات، حيث ذكرنا أن الشيخ الصدوق (ره) قال في كتاب الاعتقادات: « وباسم كل فرض أو أمر أو نهي عقبةٌ يجبس عندها العبد فيُسأل»^(٧٩٨)، وهذا يعني أننا سنسأل عن أداء الصلاة، الصوم، والحج، والزكاة والخمس، والتولي والتبري، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، أداء الأمانة، إقامة العدل، أداء حقوق الناس وبر الوالدين، والعفة ومدى التزامنا بالحجاب الشرعي الكامل وغيرها من الواجبات.

٣. التوبة من الذنوب، لأن المعاصي هي الأحمال التي تُثقل الإنسان وتجعله يتعثّر على الصراط.

٤. التوسل وطلب الشفاعة من النبي وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لأن شفاعتهم تشمل المؤمنين وتخفف عنهم أهوال العبور.

ثالثاً: أعمال عبادية خاصة:

يذكر الشيخ عباس القمي في كتابه (منازل الآخرة) بعض الأعمال العبادية التي تسهل على العبد تجاوز عقبات الصراط، ونذكر منها الآتي^(٧٩٩):

١. روى السيّد ابن طاووس في كتاب (الإقبال): «من صلّى أول ليلة من شهر رجب بعد صلاة المغرب عشرين ركعة بالحمد والتوحيد، ويسلم بين كل ركعتين ليحفظ في نفسه وأهله وماله وولده، واجير من عذاب القبر، وجاز على الصراط كالبرق الخاطف».^(٨٠٠)

٢. روي من صام من رجب ستة أيام ... بعث من الأمنين يوم القيامة حتى يمرّ على الصراط بغير حساب.^(٨٠١)

٣. روى السيّد: مَنْ صَلَّى فِي اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ يقرأ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَالهَاكِمَ التَّكَاثُرَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَالْمَعُودَتَيْنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ اعطاه اللهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَثَقُلَ مِيزَانَهُ، وَيَخْفَفُ عَنْهُ الْحِسَابُ، وَيَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبُرْقِ الْخَاطِفِ. (٨٠٢)

٤. من زار الامام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ على بعد قبره الشريف، فإنه يأتي عنده يوم القيامة في ثلاثة مواطن ليخلصه من أهوالها، وإنَّ أحدها عند الصراط.

وأخيراً نقول:

عندما نتأمل في الصراط المستقيم، نجده ليس مجرد جسر يعبره الناس يوم القيامة، بل هو طريق الحق في الدنيا قبل الآخرة، وهو المقياس الذي يُميز به المؤمن من المنافق، والعدل من الجور، والحق من الباطل.

وكما أن عبور الصراط في الآخرة يحتاج إلى أعمال صالحة وولاية حقّة، فإن الصراط في الدنيا يحتاج إلى قائد رباني معصوم يرشد الأمة، ويفصل بين الحق والباطل. وهذه الصفات تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو عاش طوال حياته ينصر الحق ويزهق الباطل في كل المواقف والمعارك والغزوات ومنها مواقفه العظيمة في فتح مكة، التي سنذكرها في المبحث الآتي:

المبحث الخامس: الإمام علي وفتح مكة

كان الفتح في اليوم العشرين^(٨٠٣) من شهر رمضان، سنة ثمان من مهاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. (٨٠٤) وكان سبب هذه الواقعة: أن قريشاً نقضت الوثيقة التي وقعتها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديبية^(٨٠٥)، وتمادت في ذلك، حتى ذهبت إلى تحريض حلفائها بني الدؤل من بني بكر على خزاعة حلفاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واستطاع هؤلاء أن يتغلبوا على خزاعة بمساعدة قريش، فلما وصل الخبر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عزم على أن ينصر خزاعة... فجهّز جيشه لمداومة قريش في مكة.

في فتح مكة، لعب الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أدوارًا محورية وحاسمة، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. **كشف رسالة حاطب بن أبي بلتعة:** حينما جهّز الرسول جيشه أكد رغبته في التكتيم على هذا الأمر، لمداهمة قريش في مكة قبل أن تتجهّز لحرب، وكان يقول: «اللَّهُمَّ خذْ عَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَا يَرُونِي إِلَّا بَغْتَةً»^(٨٠٦)، وكان الأمر قد تسرّب إلى حاطب بن أبي بلتعة، فكتب كتاباً إلى أهل مكة يطلعهم فيه على سرّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المسير إليهم، وأعطى الكتاب امرأة سوداء وأمرها أن تأخذ على غير الطريق، فنزل بذلك الوحي.

فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: «إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِي قَدْ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِخَبْرِنَا وَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَعْصِي أَخْبَارَنَا عَلَيْهِمْ، وَالْكِتَابُ مَعَ امْرَأَةٍ سَوْدَاءَ قَدْ أَخَذَتْ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، فَخُذْ سَيْفَكَ وَالْحَقِّهَا وَانْتِزِعِ الْكِتَابَ مِنْهَا» وبعث معه الزبير بن العوام.

فمضيا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته، وحلفت أنه لا شيء معها، وبكت، فقال الزبير: يا أبا الحسن، ما أرى معها كتاباً. فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يُخْبِرُنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَعَهَا كِتَابًا وَيَأْمُرُنِي بِأَخْذِهِ مِنْهَا وَتَقُولُ: إِنَّهُ لَا كِتَابَ مَعَهَا!»

ثم اخترط السيف وقال: «أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك ثم لأضربن عنقك».

فقالت له: إذا كان لا بدّ من ذلك، فأعرض يا ابن أبي طالب عني بوجهك. فأعرض عنها، فكشفت قناعها فأخرجت الكتاب من عقيصتها^(٨٠٧)، فأخذه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وصار به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.^(٨٠٨)

٢. **حمل راية الفتح:** مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لفتح مكة في عشرة آلاف مقاتل، وأعطى الراية سعد بن عباد، وأمره أن يدخل بها مكة، فأخذها سعد وجعل يقول:

اليوم يوم المَلْحَمَة**اليوم تسبى الحُرْمَة**

فسمعها رجل من المهاجرين، فأعلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال:

اليوم يوم المرحمة**اليوم تحمى الحرمَة**

ثم قال لعليّ بن أبي طالب: «أدركه فخذ الراية منه، وكن أنت الذي تدخل بها» (٨٠٩) تأكيداً على دخول سلمى ورحيم.

٤. قتل بعض رؤوس الشرك: مضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقطع الطريق باتجاه مكة ودخلها عنوةً بهذا الجيش الهائل، الذي لم تعرف له مكة نظيراً في تاريخها من قبل، وأعلن العفو وهو على أبواب مكة، وقال لهم: «أذهبوا فأنتم الطلقاء». (٨١٠) وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقتل ستة رجال، ولو كانوا متعلّقين بأستار الكعبة، وأربع نسوة لأنهم آذوا النبي كثيراً، فقتل منهم اثنين هما: الحويرث بن نقيذ، وسارة، وترك بعضهم بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد العفو عنهم. (٨١١)

٣. تحطيم الأصنام: لما فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه واله أمر النبي صلى الله عليه واله علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصعد على منكبه ليقذف الصنم التي كانت أعظم الأصنام عن المسجد الحرام. وتفصيل ذلك كان على لسان علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يرويها أحمد بن حنبل، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه واله حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه واله: اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وله وقال: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، فنهض بي. قال: فانه يخيل اليّ أنّي لو شئتُ لنتُ أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنتُ منه قال لي رسول الله صلى الله عليه واله: اقدف به، فقدفتُ به فتكسر كما تنكسر القوارير»، وفي رواية أخرى أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عاجله كان رسول الله صلى الله عليه واله يقول له: إيه إيه ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١٢). (٨١٣)

وكما صعد الإمام عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على منكب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة لتحطيم الأصنام، صعد منبر الحق بعد رحيل النبي لكسر أصنام الجهل والظلم، لكنه واجه من حاربوه بالأمس دفاعاً عن الأوثان، حتى بلغ به الأمر أن سالت دماؤه في بيت الله، وهو ساجد، برمح الغدر والخيانة.

نعم، في مثل هذا اليوم -العشرين من شهر رمضان- كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في داره بين أولاده وأهل بيته والدماء كانت تنزف من رأسه الشريف.

يقول محمد بن الحنفية: فبينما نحن ليلة العشرين من شهر رمضان عند أبي عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد سرى السم^(٨١٤) في بدنه الشريف وكان تلك الليلة يصلي من جلوس وهو يعزينا على نفسه ويوصينا بما هو أهله من أفعال الخيرات واجتناب الشرور ويكثر من ذكر الله تعالى وقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

قال الأصبغ بن نباتة: غدونا على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونحن نفر من أصحابه فسمعنا البكاء في منزله فبكيت حتى ارتفع صوتي بالبكاء، فخرج الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا والله يا بن رسول الله لا تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن أنصرف ولم أر سيدي ومولاي وبكيت. ودخل الحسن فلم يلبث أن خرج إليه فأدخلني، فإذا هو - أمير المؤمنين - مستند ومعصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه واصفر وجهه فما أدري وجهه أشد صفرة أم العمامة فاكببت عليه فقبلته فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها الجنة فقلت: جعلت فداك يا أمير المؤمنين إني أعلم أنك صائر إلى الجنة ولكن أبكي لفراقك يا أمير المؤمنين ثم نظر الإمام إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء فجرت دموعه على خديه حتى امتزجت بدمه قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أتبكي علي؟ إبكيا كثيرا واضحكا قليلا أما أنت يا أبا محمد ستقتل مظلوما مسموما مضطهدا وأما أنت يا أبا عبد الله فشهد هذه الأمة وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك وترض أعضاءك بحوافر الخيل ويطاف برأسك في ممالك بني أمية، وحریم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسبى وإن لي ولهم موقفا يوم القيامة.^(٨١٥)

وأقبلت إليه أم كلثوم زينب وهما يندبانه ويقولان من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ يا أبتاه حزنا عليك طويل وعبرتنا لا تبرح ولا ترقأ فضج من كان حاضرا بالبكاء وفاضت دموع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على خديه وهو يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته.

(مجردات)

او جرحه الذي ابراسه مضهده
وابروحه اشوفه ايلوج وحده

هالليلة ابونه امسى ابشده
والسم لعد جسمه تعده
وكأني بها هذه الليلة:

(مجردات)

او جرح البراسه تشدونه
او شنهو اليهيسه اتسايلونه
او عيناك بس تغمض اعينونه
او عند الشدايد يخذلونه

لونكم يخوتوي تجعدونه
بهداي بس لا تلجمونه
بلكن اصوابه اتعالجونه
الوادم بعدم ما يعرفونه
(أبوذية)

تدري اشسال منه ادموم شدّه
انظبر ويلاه حماي الرحميه

ابهيده لا تلجمه الجرح شدّه
مثلها ما جرت بالكون شدّه

وفي هذه الليلة أحضر عنده عروة السلولي وكان أعرف أهل زمانه بالطب فذبح شاة وأخرج منها عرقا فأدخله في جراحة الإمام ثم أخرجه وإذا عليه بياض الدما فقال الطبيب بعد أن استعبر وبكى: إعهد عهدك يا أمير المؤمنين فإن الضربة وصلت إلى الدماغ. ^(٨١٦)

(مجردات)

صاح او دمعتة عالخد سچيبه
امن الطبره والذكم الهيبه
عزوا النبي الهادي او حبيبه

بس ما فحص جرحه طبيبه
يشراف مكه او فخر طبيبه
مسموم جسمه ابهامصيبه



٢١ رمضان

شَهَادَةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ

المُنَاسِبَةُ

شَهَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة: لبعض الشعراء (٨١٧)

مصَابُ رَقِيٍّ مِنْ غَالِبِ أَيِّ غَارِبٍ
 وَأَضْرَمَ نَارَ الْحَزَنِ بَيْنَ الْجَوَانِبِ
 وَأَرْدَى عَلَيَا خَيْرَ مَا شِئَ وَرَاكِبِ
 وَطَبَّقَ حَزْنَا شَرْقَهَا بِالْمَغَارِبِ
 بَدَمَعَ سَفُوحِ كَالسَّحَابِ سَاكِبِ
 وَلَيْسَ بِهَا غَيْرُ الصَّدَى مِنْ مَجَاوِبِ
 تَحَنُّنِ حَنِينِ الْيَعْمَلَاتِ^(٨١٨) السَّوَاغِبِ
 وَحَفَّتْ بِهِ أَبْنَا لُويِّ ابْنِ غَالِبِ
 أُمُّ الْعَرْشِ سَارُوا فِيهِ فَوْقَ الْمَنَاكِبِ
 عَلَيْهِ وَأَهْوَتْ زَاهِرَاتُ الْكَوَاكِبِ
 وَبَدْرًا يُجَلِّي دَاجِيَاتِ الْغِيَاهِبِ^(٨١٩)
 وَقَوْمِي الْبَسِيٍّ لِلْحَزَنِ ثَوْبَ الْمَصَائِبِ^(٨٢٠)

كسَى الدِّينَ طَوْلَ الدَّهْرِ ثَوْبُ الْمَصَائِبِ
 فَيَالِكَ مِنْ رِزِّ أَطْلَلٍ بِرُوعَةٍ
 غَدَاةً أَصَابَ الدِّينَ سَيْفُ ابْنِ مَلْجَمِ
 وَرَاحَ عَلَيْهِ الرُّوحُ جَبْرِيلُ نَاعِيَاً
 وَضَجَّتْ عَلَيْهِ الْجِنُّ وَالْأَنْسُ بِالْبِكَا
 مَدَارِسُهُ أَضْحَتْ دَوَارِسَ بَعْدَهُ
 وَظَلَّتْ يَتَامَى الْمَسْلُومِينَ نَوَادِبَا
 وَلَمْ أَدْرِ لِمَا أَنْ سَرَى فِيهِ نَعْشُهُ
 هُوَ الْمَرْتَضَى فِي نَعْشِهِ يَحْمَلُونَهُ
 وَمَا مَرًّا إِلَّا وَانْحَنَى كُلُّ شَاهِقِ
 وَقَدْ دَفَنُوا فِي قَبْرِهِ الدِّينَ وَالتَّقَى
 بَنِي مَضْرُئِيٍّ الْفَخَّارَ لِفَقْدِهِ

السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

(مجردات)

يراعي المحنه يا ولينه
لو تنفدي او يحصل بدينه
والأرواح الك ما هي ثمينه
وحسين يمه او تهل عينه
بالهم عكب عينك بكينه

فركاك مو هين عليه
هاي أنه يالوالد حزينه
فديناك يا ليث العرينه
هذا الحسن يفرج ونينه
دكعد او شوف الصار بينه
(أبوذية)

اتريد اتعوفنه واتروح هاوين
او كلنه انصيح يا راعي الحميه

اطفال وحررم بويه اعليك هاوين
بالله يالاحب اوياي هاوين
(أبوذية)

او من راسك يحامي الجار هدام
او ما نتسالك يا حامي الحميه (٨٢١)

أركان الهدى من صاح هدام
او عليك الحزن طول الدهر هدام

عليه
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَشْرِفَاوِي

المحاضرةُ القاسِرةُ

لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ (عَجَّ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ (٨٢٢)

ثمة ليلة من كل سنة ليست مثل باقي الليالي، وساعاتها ليست كباقي الساعات... إنها ليلة يعم فيها الفضل، ويشع منها الخير، وتنهمر فيها البركات.. إنها خير من ألف شهر.

فيا ترى أية ليلة هذه؟

إنها ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؟ ليلة تنزل فيها الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر، ويفرق فيها كل أمر حكيم..

من هنا صار كل مؤمن يرتجئها بروح تهش إليها شوقاً، وبقلب يهتز إليها حنيناً، وبعيون ترنو مجيئها من على مسافة..

غير أنه من اللافت للنظر، أن هذه الليلة لا يمكن لها أن تتكرر في السنة إلا مرة واحدة، فمن تفوته لا يقدر على إدراكها حتى تعود في وقتها من السنة القادمة.

لذا يجدر بكل واحد منا أن يشدد حيازيمه بالعزم والإرادة، وأن ينتظر ليلة القدر بفارغ الصبر استعداداً لها، حتى يغنم منها مغنم كثيرة وسعة. (٨٢٣)

الْمَبَكَّةُ الْأُولَى: تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَدْرِ

ونبدأ بتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٨٢٤)، ولنقف على الجزء الأول من هذه الآية الكريمة:

يقول المفسرون: الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، ويشير إلى نزوله بالكامل، وليس مجرد نزول بعض آياته. (٨٢٥).

قد يتبادر إلى الذهن تساؤل: كيف نزل القرآن كاملاً في ليلة واحدة، بينما هو معروف بنزوله التدريجي على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طوال مدة التبليغ؟
الجواب باختصار: إن للقرآن نزولين:

الأول: نزول دفعي: أي نزلت حقيقة القرآن الكريم - بغض النظر عن صياغته التفصيلية - دفعة واحدة على قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الطاهر في ليلة القدر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٨٢٦).

ويستفاد من آيات عديدة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان عالماً بالقرآن قبل نزوله التدريجي، كآية (١١٤) من سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، وجاء في الآية (١٦) من سورة القيامة: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

والثاني: النزول التدريجي، حيث نزل على مدى (٢٣) سنة بحسب الظروف والحوادث والاحتياجات. (٨٢٧) قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتِّبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (٨٢٨)، وقال تعالى: ﴿أَنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٨٢٩).

وقد ابتدأ تنزيل القرآن الكريم في السابع والعشرين من شهر رجب، ولذا أطلق عليه يوم المبعث النبوي الشريف.

نأتي إلى الجزء الثاني من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٨٣٠)، ويستلزم منّا طرح عدة أسئلة تتعلق بليلة القدر وهي كالاتي:

السؤال الأول: لماذا سميت هذه الليلة بليلة القدر؟

الجواب: إن سبب تسميتها بليلة القدر يعود لأسباب عديدة، وهي:

١- إن أهم ما في هذه الليلة المباركة تقدير شؤون الخلائق لسنة كاملة، يشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ﴿٨٣١﴾. هذه الآية الكريمة تنسجم مع ما جاء من الروايات بأن في ليلة القدر **حَكِيمٌ** يتم تعيين مقدرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تفرق وتبين في تلك الليلة المباركة، فقد روي عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن ليلة القدر يكتب ما يكون منها في السنة إلى مثلها من خير أو شر، أو موت أو حياة أو مطر. ويكتب فيها وفد الحاج. ثم يفضي ذلك إلى أهل الأرض. فقلت: إلى مَنْ من أهل الأرض؟ فقال: إلى من ترى.» ﴿٨٣٢﴾

٢- وقال بعض إنَّها سميت بالقدر لما لها من قدر عظيم وشرف كبير. في القرآن جاء قوله سبحانه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ﴿٨٣٣﴾.

٣- وقيل لأن القرآن بكل قدره ومنزلته نزل على رسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بواسطة الملك العظيم في هذه الليلة.

٤- وقيل لأنَّها الليلة التي قُدِّرَ فيها نزول القرآن.

٥- وقيل لأنَّها الليلة التي من أحيائها نال قدراً ومنزلة.

٦- وقيل أيضاً لأنَّها الليلة التي تنزل فيها الملائكة حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم. لأنَّ القدر جاء بمعنى الضيق أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ﴿٨٣٤﴾.

كل هذه التفاسير يستوعبها المفهوم الواسع لليلة القدر مع أن التفسير الأوّل أنسب وأشهر. ﴿٨٣٥﴾

السؤال الثاني: أية ليلة هي ليلة القدر؟

لا شك أن ليلة القدر من ليالي شهر رمضان، لأنَّ الجمع بين آيات القرآن يقتضي ذلك. فالقرآن نزل في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ (٨٣٦) هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقول آيات السّورة التي نحن بصددّها أنّه نزل في ليلة القدر.

ولكن، أية ليلة من شهر رمضان؟

المشهور في الروايات أنّها في العشر الأخيرة من شهر رمضان، جاء في بعض الأحاديث: «التمسوها في العشر الأواخر» (٨٣٧)، وروى عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال في تفسير ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: «نعم، ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر». (٨٣٨)

ولكن أي ليلة من هذه العشرة هي ليلة القدر؟

ذهب العلامة المجلسي إلى أنه اتفق علماء الشيعة على انحصار ليلة القدر في إحدى ليالٍ ثلاث: (١٩ أو ٢١ أو ٢٣ من شهر رمضان)، كما ورد هذا المعنى في العديد من الروايات (٨٣٩)، منها ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لمن سأله عن ليلة القدر: «اطلبها في تسع عشر، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين». (٨٤٠)

وجاء في حديث آخر تحديد واحدة من ليلتين؛ إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين. فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: «كنت عند أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له أبو بصير: جعلت فداك! الليلة التي يرجى فيها ما يرجى؟ فقال: «في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين». قال: فإن لم أقوَ على كليهما؟ فقال: ما أيسر ليلتين فيما تطلب. قال: قلت فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك من أرض أخرى؟ فقال: ما أيسر أربع ليالٍ تطلبها فيها». (٨٤١)

ما المقصود بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب» (و) «ما أيسر أربع ليالٍ تطلبها فيها»؟

المقصود هو أن إحياء ليلتين أو أربع ليالٍ في سبيل إدراك فضل ليلة القدر أمر يسير وسهل، مقارنةً بعِظَم الأجر والثواب الذي يمكن أن يناله المؤمن في هذه الليالي المباركة.

مثال توضيحي: تخيل أن هناك هدية عظيمة، تساوي أجر عمل لمدة ألف سنة أو

أكثر، سُمّح لمن ينجح في تقديم عمل معين في يوم واحد فقط. ولكن هذا اليوم غير محدد بدقة، بل تم الإعلان عن أنه سيكون في يوم ٢٠ أو ٢١ أو ٢٢ أو ٢٣ من الشهر الفلاني. فالعاقل سيكرر العمل في كل يوم كي لا يفوت عليه هذه الفرصة العظيمة.

وثمة روايات تركز على الليلة الثالثة والعشرين من رمضان التي تسمى بليلة الجهنّي لرواية أحد الباقرين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حيث روي عن زرارة عن أحدهما أنه قال: «إن رجلاً يقال له الجهنّي (عبد الله بن أنيس الأنصاري) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن بيتي بعيد عن المدينة، فعين لي ليلة حتى أقدم فيها إلى المدينة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بليلة الثالث والعشرين. (٨٤٢) فسميت هذه الليلة «ليلة الجهنّي» بسبب امتثال عبد الله أنيس الأنصاري لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لا يفوته المجيء إلى المدينة في هذه الليلة. (٨٤٣) وكان أصحاب الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ يسألونهم عن موعد ليلة الجهنّي». (٨٤٤)

قال السيد العابد ابن طاووس في الإقبال: «اعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، وردت أخبار صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان. فمن ذلك ما روينا بإسنادنا إلى سفيان بن السمط، قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أفرد لي ليلة القدر، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ليلة ثلاث وعشرين». (٨٤٥)

السؤال الثالث: لماذا خفيت ليلة القدر؟

ونرد عليه بهاتين النقطتين:

١. من أجل توجيه الناس إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي. قيل لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أخبرنا عن ليلة القدر؟ قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم، لأنكم لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله». (٨٤٦)

أي الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم موعد ليلة القدر، لكنه لم يصرح بها لحكمة، فالله أخفى ليلة القدر رحمةً بالعباد حتى يجتهدوا في العبادة ولا يتكاسلون عنها في بقية الأيام، وهذا من قبيل الحكمة في إخفاء الصلاة الوسطى، ليهتم العبد بكل

الصلوات، وأخفى الاسم الأعظم بين أسمائه كي تعظم كل أسمائه، وأخفى الله تعالى علينا ساعة الموت لنكون على استعداد دائم لاستقباله، وأخفى رضاه بين أنواع الطاعات كي يتجه الناس إلى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي، كي يتجنب العباد جميعها، وأخفى أحباءه بين الناس كي يُحترم كل الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعية لتقرأ كل الأدعية^(٨٤٧).

٢. أن هناك سرّاً يتعلّق بالليالي الثلاث، يبدو من بعض الأحاديث، أن ليلة التاسع عشر وواحد وعشرين هما وسيلتان إلى ليلة القدر الحقيقية وهي ليلة ثلاث وعشرين. فمن وفق للعبادة فيهما نشط في الثالثة، وكان أقرب إلى رحمة الله فيها. فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «التقدير في ليلة القدر تسعة عشر، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»^(٨٤٨).^(٨٤٩) وسنوضح العلاقة فيما بين هذه الليالي الثلاث في المبحث الثاني.

نتقل للآية الثانية من سورة القدر، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

يقول السيد الطباطبائي (قد) في تفسير الميزان هي: (كناية عن جلاله قدر الليلة وعظم منزلتها)^(٨٥٠). إن وزن ليلة القدر لا يُعلم، فالقرآن عندما يصل إلى ذكر الآخرة يستعمل كلمة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾.. ففي سورة القارعة يقول: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾^(٨٥١)؛ أي أن عقولكم في الدنيا لا تحتمل إدراك حقيقة القارعة.. وذلك بمثابة الجنين في بطن أمه، فهو لا يفقه نعيم الدنيا، ولا يفقه ما يجري عليه في الحياة الدنيا؛ لأنه في عالم ضيق ومحدود، وطعامه من دم المشيمة، فأين هو ولدائد هذه الدنيا؟ وكذلك نحن الفانون لا تحتمل عقولنا ما يقال عن يوم القيامة، وأحداث ما وراء الطبيعة، والعناصر المرتبطة بعالم الخلود. فالقرآن الكريم عندما يصل إلى ليلة القدر، يستعمل التعبير نفسه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾!^(٨٥٢)

الآن لنقف على الآية الثالثة من سورة القدر، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

إن ليلة القدر ليست مجرد ليلة مباركة، بل عطية إلهية عظيمة. ولم يقل سبحانه إنها تعادل ألف شهر، بل إنها ﴿خَيْرٌ﴾^(٨٥٣) منها.. لعلها ألفي شهر، أو ثلاثة آلاف شهر!

فنحن لا ندري، والقرآن أبهم في هذه النقطة؟! فالأمر له علاقة بالتوبة الخالصة، والعبادة الصادقة ونوعها، والدعاء المخلص.

وللتوضيح أكثر نقول:

إن حياة الإنسان محدودة بقدر معين لا يستطيع تجاوز حدوده الزمنية، فقد يكون عمره قصيراً ولا يتمكن من تحقيق جميع أهدافه خلاله. فكيف يمكن للإنسان تمديد عمره ببركته؟

الحل يكمن بتعميقه، ومدى الانتفاع بكل لحظة منه. لنفترض أن شخصاً يملك قطعة أرض صغيرة، لكنه يحتاج إلى مساحة أكبر، فبدلاً من توسيع الأرض أفقياً، يبني طوابق متعددة، مما يجعله يستفيد من المساحة بشكل مضاعف قد تناطح السحب. كذلك، يمكن للإنسان أن يضاعف تأثير عمره عبر استثمار الوقت في أعمال عظيمة تمتد آثارها لسنوات طويلة.

لقد عاش بعض الناس سنين معدودات في الأرض، ولكنهم صنعوا عبرها ما يعادل قروناً متطاولة؛ مثلاً عمر رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يتجاوز الثلاث والستين، وأيام دعوته ثلاث وعشرون عاماً منها، ولكنها أبعد أثراً من عمر نوح المديد، بل من سني الأنبياء جميعاً.

وهكذا خص الله أمته بموهبة ليلة القدر، التي جعلها خيراً من ألف شهر، ليقدروا على تمديد أعمارهم في البعد الثالث (أي بعد العمق) ولعل الخبر المأثور عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشير إلى ذلك، فقد روي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أرى أعمار الأمم قبله فكانه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمر مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر. ^(٨٥٤)

وفي حديث آخر: أنه ذكر لرسول الله رجل من بني إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب من ذلك رسول الله عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: يا رب! جعلت أمتي أقصر الناس أعماراً، وأقلها أعمالاً. فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ﴿لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان ^(٨٥٥). ^(٨٥٦)

إنك قد تحيي ليلة القدر بالطاعة فيكتب الله اسمك في السعداء، ويحرم جسدك على نار جهنم أبداً، وذلك بما يوفقك له من إصلاح الذات إصلاحاً شاملاً.

بلغنا إلى الآية الرابعة من سورة القدر وهو قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾. وسنتأمل في كلماتها من خلال أربعة أجزاء.

الجزء الأول منها وهو قوله: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾، والكلمة أصلها تنزل، وصيغتها مضارع تدل على الاستمرار، فنستوحي منها أن ليلة القدر لم تكن ليلة واحدة في الدهر، وإنما هي في كل عام مرة واحدة، روي عن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لابن العباس: «إن ليلة القدر في كل سنة وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة». (٨٥٧)

وأما الجزء الثاني من الآية الرابعة فهو قوله تعالى: ﴿وَالرُّوحُ﴾.

ما هو الروح؟ هل هو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أم هم أشرف الملائكة؟ أم هم صنف أعلى منهم وهم من خلق الله، أم هو ملك عظيم يؤيد به أنبياءه؟

استفاد بعضهم من الآية الآتية، أن الروح هو جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٨٥٨)، واستظهر بعضهم من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٨٥٩)، أن الروح هي الوحي، فإن الملائكة يهبطون في ليلة القدر.

وجاء في حديث شريف ما يدل على أن الروح أعظم من الملائكة، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سئل هل الروح جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فقال: جبرئيل من الملائكة، والروح أعظم من الملائكة، أليس أن الله عز وجل يقول: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾. (٨٦٠)

وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ مما يدل على أن الروح هو ما يؤيد الله به أنبياءه. ويبدو أن الروح خلق نوراني عظيم الشأن عند الله، وأن الله ليس يؤيد أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ به فقط، وإنما حتى الملائكة ومنهم جبرائيل يؤيدهم به. وبهذا نجمع بين مختلف الاحتمالات والأدلة، والله العالم. (٨٦١)

الجزء الثالث للآية الرابعة هو قوله تعالى: ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

وهي تعني أن نزول الملائكة والروح في ليلة القدر إنما يكون بإذن الله وتديره، وليس لهم أي استقلالية في ذلك، بل هم ينفذون أمر الله ويقومون بالمهام التي يكلفهم بها، قال

تعالى في حقهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٨٦٢﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. (٨٦٢)
وأما الجزء الرابع للآية قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الأمل: أي لكل تقدير وتعيين للمصائر، ولكل خير وبركة. فالهدف من نزول الملائكة في هذه الليلة إذن هو لهذه الأمور.

أو بمعنى بكل خير وتقدير، فالملائكة تنزل في ليلة القدر ومعها كل هذه الأمور. وقيل: المقصود أن الملائكة تنزل بأمر الله، لكن المعنى الأول أنسب. بإيجاز الآية الكريمة تقول: الملائكة والروح تنزل في هذه الليلة بأمر ربهم لتقدير كل أمر من الأمور. (٨٦٣)

الآية الخامسة والأخيرة هي قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾.

ماذا يجري في ليلة القدر حتى تصبح سلاماً الى مطلع الفجر؟

تجري أمور عديدة، نذكر منها الآتي:

١. السلام من الذنوب: في ليلة القدر، يغفر الله سبحانه وتعالى لفئات من المستغفرين، فينقذهم من نار جهنم، وأعظم سلام هو نجاة الإنسان من عواقب ذنوبه في الدنيا والآخرة.

٢. السلام من العذاب: يسعى المؤمنون في هذه الليلة لبلوغ العتق من النار، فيبتهلون بالدعاء قائلين: "اللهم إني أسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأكبر، وأسماؤك الحسنى وما يخاف ويرجى أن تجعلني من عتقائك من النار". (٨٦٤)

٣. السلام في العافية: روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - لما سئل عن الدعاء الأفضل -: «تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ثم أتاه من الغد فأجابه مثل ما أجاب في اليوم الأول، وهكذا إلى اليوم الرابع، ثم أتاه من اليوم الرابع فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟، قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أعطيتها في الدنيا ثم أعطيتها في الآخرة فقد أفلحت». (٨٦٥)

٤. السلام من الشقاء: قد يدخل الإنسان هذه الليلة وهو من الأشقياء، فيخرج منها سعيداً، ومن هنا يُستحب الدعاء قائلاً: "اللهم امدد لي في عمري، وأوسع لي في رزقي، وأصح لي جسمي، وبلغني أمني، وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء، واكتبني من السعداء، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل صلواتك عليه وآله: يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ".^(٨٦٦)

٥. السلام في الرزق: في هذه الليلة يقدر الله لعباده أرزاقهم، وهو جزء من السلام الذي ينعم به الإنسان في حياته، لذا يُستحب أن يسأل العبد الله التوسعة في رزقه.

٥. السلام في الأمن والصحة والذرية: يقدر الله لعباده الأمن والصحة والذرية، وهي جميعها من صور السلام التي ينعم بها الإنسان في حياته.

٦. السلام من الملائكة: ورد أن الملائكة في هذه الليلة المباركة ينزلون ويسلمون على المؤمنين والمتهجدين في المساجد، وقيل أيضاً إنهم يسلمون على إمام العصر عَلَيْهِ السَّلَامُ عند هبوطهم عليه.

الْمَبَكْتُ الثَّانِي: الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ (عَجَّ) وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ

وسنطرحه في مطلبين:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عَجَّ)

ببعض التأمل والالتفات بدقة إلى مفاهيم سورة القدر المباركة يستطيع أن يدرك المتبع أن فيها دلالة على وجود الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، يتضح ذلك من خلال فهم تفسير السورة، وذكرها ضمن النقاط الآتية:

أولاً: إِنَّ مَطْلِعَ الْفَجْرِ هُوَ عَصْرُ الظُّهُورِ لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عَجَّ).

استند مجموعة من المفسرين إلى روايات عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن المراد بمطلع الفجر هو عصر الظهور للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، نذكر منها ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر تفسيراً لقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ

أمرٌ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني حتى يخرج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٨٦٧)

ثانياً؛ إن ليلة القدر دائمة مستمرة الى يوم القيامة

يذكر سماحة السيد الطباطبائي (قدس) في تفسير الميزان ما مضمونه: أن ليلة القدر ليست ليلة واحدة حدثت في الماضي فقط، بل هي ليلة تتكرر في كل سنة. أي أن كل عام هجري يحتوي على ليلة قدر جديدة، يتم فيها تقدير أمور السنة القادمة حتى ليلة القدر في العام الذي يليها. وينفي بذلك رأيين خاطئين:

١. إن ليلة القدر كانت ليلة واحدة في التاريخ لا تتكرر، وهو قول غير صحيح، لأن القرآن نفسه يشير إلى استمرارها.

٢. إن ليلة القدر كانت تتكرر فقط في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثم انقطعت بعد وفاته، وهذا أيضاً غير صحيح، لأن الروايات تؤكد استمرارها كل سنة. (٨٦٨)
نذكر منها:

روى عن حمran بن أعين أنه سأل أبا جعفر عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ قال: «نعم ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر». (٨٦٩)

◇ روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث سئل عن الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، فأجاب بأن ليلة القدر تتكرر كل سنة في العشر الأواخر من شهر رمضان. وهذا يعني أن بركات وأحداثها مستمرة، وليست محصورة في زمن معين.

◇ روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله، ليلة القدر شيء يكون على عهد الأنبياء، ينزل فيها عليهم الأمر فإذا مضوا رفعت؟ قال: لا بل هي إلى يوم القيامة». (٨٧٠)

وإذا كانت ليلة مستمرة فسوف تستمر معها جميع لوازمها ومتعلقاتها، ومنها تنزل الملائكة، وبما أن تنزل الملائكة بما قدر فيها من الآجال والأرزاق، وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جذب أو خير أو شر، وهو لا يكون إلا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو الوصي، فبعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا بد وأن يكون

نزولها على الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأولهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وآخرهم المهدي المنتظر أرواحنا له الفداء.

ومن الروايات التي صرّحت أن الملائكة تنزل على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة القدر، ما جاء عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيراً ما يقول: اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ..﴾ بتخشع وبكاء، فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: لما رأته عيني ووعى قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي، فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرى؟ قال: فيكتب لها في التراب ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قال: ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾؟ فيقولان لا، فيقول: هل تعلمان من المنزل عليه بذلك؟ فيقولان: أنت يا رسول الله، فيقول: نعم، فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟ فيقولان: نعم، فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم، فيقول: فإلى من؟ فيقولان: لا ندرى، فيأخذ برأسي ويقول: إن لم تدريا فادريا، هو هذا من بعدي...» (٨٧١). (٨٧٢)

إذا حاول أحد إنكار هذا الدليل، سألناه عن تفسير قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، حيث إن ﴿تَنْزَلُ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد، مما يطرح سؤالاً جوهرياً: **على من تنزل الملائكة في كل عام؟**

إذا لم تكن تنزل على جهة محددة، فإن ذلك يصبح عبثاً لا معنى له.

فهل يمكن أن تنزل إلى الأرض ثم تعود دون أن تستقر في موضع معين؟

العقل يحكم بأنها تنزل على خليفته في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. (٨٧٣)

ولكن من هو خليفة الله؟ هل هم أئمة الهدى أم أئمة الضلال؟ هل هم الصالحون أم الطالحون؟ هل هم المصلحون أم المفسدون؟ هل هم الطاهرون أم الرجسون؟

لا شك أن الملائكة لا تنزل إلا على حجج الله المعصومين الطاهرين، وعلى رأسهم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذين قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٨٧٤)، بينما تنزل الشياطين على الفاسقين الرجسين

الآثمين، لقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيْطِينُ ﴿٨٧٥﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. (٨٧٥)

وحيث إن جميع الأنبياء قد رحلوا إلى جوار ربهم، وكذلك الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولم يبق في هذا الزمان إلا الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، فإن الملائكة لا تنزل إلا عليه، إذ هو الحجة الباقية لله في الأرض. وذكرت روايات عديدة في ذلك، منها: روي: «إن صاحب هذا الامر في شغل تنزل الملائكة اليه بأمر السنة من غروب الشمس الى طلوعها في كل أمر سلام هي له إلى أن يطلع الفجر». (٨٧٦)

وروي عن أبي جعفر الثاني (الإمام محمد الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: «إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لابن عباس: إن ليلة القدر في كل سنة، وأنه يتنزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صليبي أئمة محدثون». (٨٧٧)

إن التمسك بسورة القدر في إثبات وجود الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ حثنا عليه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «يا معشر الشيعة خاصموا بسورة [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] [تفلقوا، فو الله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا بـ: ﴿حَمِّهِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ] ﴿ فَإِنهَا لَوْلَاةِ الْأَمْرِ خَاصَّةٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. (٨٧٨)».

المَطْلَبُ الثَّانِي: وَظِيفَةُ الإِمَامِ المَهْدِيِّ عَج فِي لَيْلَةِ القَدْرِ

في ليلة القدر، يتولى الإمام المهدي (عجل الله فرجه) دورًا جوهريًا في تنفيذ التقديرات الإلهية للعام القادم، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية:
أولاً: استقبال التقارير من الملائكة

من المسلم به أن الله سبحانه وتعالى هو المدبر المطلق للوجود، كما قال: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (٨٧٩). ولكن من سننه تعالى أنه

«أبى أن يجري الأشياء إلا بالأسباب»^(٨٨٠)، ومن جملة هذه الأسباب أنه جعل بعض مخلوقاته جنوداً لتنفيذ أوامره، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٨٨١)، ومن هؤلاء الجنود: الملائكة، الجن، الظواهر الطبيعية^(٨٨٢) والمخلوقات الحية^(٨٨٣) وغيرها.

وقد سخر الله هذه الجنود لخليفته في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٨٨٤)، كما سخرها لنبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٨٨٥).

وفي زماننا الحالي، فإن جنود السماوات والأرض مسخرة للإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وهي مأمورة بتنفيذ أوامره. ومن بين هذه الجنود الملائكة التي وصفها الله تعالى بـ: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾^(٨٨٦)، حيث تقوم بأمر الله بتدبير شؤون الكون والعباد، وتتلقى أوامرها من الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٨٨٧)، يقول السيد الطباطبائي (قد): (تتنزل الملائكة والروح في الليلة بإذن ربهم لأجل تدبير كل أمر من الأمور الكونية).^(٨٨٨)

فالخطوة الأولى للملائكة في ليلة القدر هي رفع تقارير مفصلة إلى الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عن مجريات الكون وأعمال البشر، من طاعات ومعاص، حسنات وسيئات، صغيرة وكبيرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٨٨٩).

ثانياً: مراجعة التقدير الإلهي وتطبيق السنن الإلهية

بعد أن يستقبل الإمام المهدي (عجل الله فرجه) التقارير من الملائكة، يطلع عليها ويشرف على تقدير مجريات الكون وما سيكون لكل إنسان خلال السنة القادمة. وقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يُقَدَّرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ، خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، وَمَوْلُودٌ وَأَجَلٌ أَوْ رِزْقٌ، فَمَا قَدَرَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَقَضَى فَهُوَ الْمَحْتَمُومُ، وَاللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فِيهِ الْمَشِيئَةُ». ^(٨٩٠)

من تلك التقديرات التي يذكرها الإمام في الحديث هي:

◇ الخير: يشمل الأمور الإيجابية مثل: الصحة، الأمان، الغنى، ورفع البلاء.

◇ الشر: يضم الأحداث السلبية كال فقر، المرض، والموت.

◇ المواليد والأعمار: من سيولد ومن ستنتهي حياته خلال العام.

◇ الأرزاق: تشمل الزيادة أو النقصان في المال، الصحة، وغيرها.

◇ الطاعة والمعصية مثل: التوفيق للعبادة أو التعرض للابتلاءات، كالتوفيق

للحج، حيث قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليلة ثلاث وعشرين، الليلة التي يفرق فيها كلُّ أمر حكيم، وفيها يكتب وفد الحاج، وما يكون من السنة إلى السنة» (٨٩١).

وقد يكون التوفيق للحج مرهون بدعاء المسلم، لذا ورد استحباب أن ندعو الله تعالى في أدعية شهر رمضان: (اللَّهُمَّ ارزُقْني حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، فِي عامي هذا وَفِي كُلِّ عام، ما أَبْقَيْتَنِي فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ وَسَعَةٍ رِزْقٍ..).

رب تسأول يرد: لكن التقدير الإلهي للطاعة والمعصية يدل على الجبر؟

الجواب: الله سبحانه لا يجبر الإنسان على الطاعة أو المعصية، بل يترك له حرية الاختيار، كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٨٩٢). غاية ما في الأمر أن الله يقدر له الفرص والظروف التي قد تساعد على الاختيار.

مثلاً، قد يكون مكتوباً في ليلة القدر أن فلاناً سيُعرض عليه طريق للهداية، مثل أن يستمع إلى موعظة تؤثر في قلبه، أو يلتقي بشخص صالح يدعو للخير، ولكن الاختيار النهائي يبقى بيد العبد.

وبالمقابل، قد يكون مقدرًا أن شخصاً آخر سيتعرض لابتلاء، كأن يغريه شخص بالمعصية أو يكون في بيئة فاسدة، لكنه يبقى حراً في اتخاذ قراره.

وهذا التقدير الإلهي لا يأتي عن عبث، بل يرتبط بالسنن والقوانين الإلهية، فمنها ما يتعلق بالابتلاء العام، ومنها التي لها علاقة بأعمال الآخرين، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٨٩٣)، ومنها ما يرتبط بأعمال الإنسان التي قام بها خلال سنته. فمن زاد في شكره لله زاده الله رزقاً، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٨٩٤)، ومن تصدَّق دفع الله عنه البلاء، كما في الحديث الشريف:

«الصدقة تدفع البلاء»^(٨٩٥)، ومن وصل رحمه زيد في عمره، كما روي في الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»^(٨٩٦)، ومن عصى الله وأعرض عن طاعته، قد يُقدَّر له الحرمان من بعض النعم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٨٩٧).

وتشير الروايات إلى أن التقدير الإلهي يمر بثلاث مراحل، كما روي عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التقدير في ليلة تسعة عشر، والابرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»^(٨٩٨)، وهذا يشابه الإجراءات الرسمية للمعاملات، حيث يبدأ بتقدير أولي عند تقديم الطلب ومراجعته، ثم بالمراجعة والتدقيق من قبل لجنة مختصة، وأخيراً بالإمضاء والتنفيذ عند اعتماد المدير للقرار، ليصبح نافذاً وغير قابل للتغيير. وأيضاً مراحل التقدير الإلهي في ليالي القدر، تمر بثلاث مراحل وهي كالآتي:

١. التقدير في ليلة التاسع عشر من رمضان

هذه الليلة هي ليلة تسجيل الأقدار المبدئية، حيث تُقدَّر فيها الأمور التي ستحدث خلال السنة المقبلة لكل إنسان. كالرزق والصحة والمرض، الأمن والخوف، الزواج، الحج، وغيرها من الأمور. هذا التقدير أولي وليس نهائياً، أي أنه قد يتغير بناءً على بعض العوامل، مثل: الدعاء والصدقة وصلة الرحم.

٢. الإبرام في ليلة الحادي والعشرين من رمضان

في هذه الليلة، يُراجع التقدير الأولي، ويتم تثبيت بعض الأمور التي لا تتغير. الإبرام يعني تثبيت بعض الأقدار وجعلها أكثر قرباً من التنفيذ، لكن لا يزال هناك مجال للتغيير في بعض الجوانب.

الأعمال الصالحة في هذه الليلة يمكن أن تؤثر على ما قدَّر في الليلة السابقة.

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٨٩٩)، أي أن بعض الأقدار قد تُغيَّر في هذه المرحلة.

٣. الإِمضاءُ في ليلةِ الثالثِ والعشرينِ من رمضان

هذه الليلة هي المرحلة النهائية، حيث يتم إِمضاء (تنفيذ) ما قُدِّرَ وأُبرِمَ. ما يُكتب في هذه الليلة يكون نهائياً ولا يُغيَّرُ خلال العام القادم، إلا في حالات نادرة تتعلق بمشيئة الله المطلقة. لذا، هذه الليلة هي الأهم للدعاء والتوسل، لأنها الفرصة الأخيرة لتغيير المصير قبل أن يُحسم نهائياً. لذا، ينبغي للمرء أن يستغل هذه الليالي المباركة في العبادة، لعل الله يكتب له الخير في عامه المقبل.

المَبَكْتُ الثَّالِثُ: العِبَادَةُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ.

ليلة القدر من أعظم ليالي السنة، وقد أكدت الروايات على فضل إحيائها بالعبادة والدعاء، لما لها من أثر كبير في تحديد مصائر العباد، ونيل بركات الدنيا والآخرة. فقد ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عما جرى بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وربّه عز وجل في مناجاة جليلة قال فيها موسى: «إلهي أريد قربك، قال: قربي لمن يستيقظ ليلة القدر، قال: إلهي أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر، قال: إلهي أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدق بصدقة في ليلة القدر. قال: إلهي أريد أشجار الجنة وثمارها، قال: ذلك لمن سبح تسبيحة في ليلة القدر، قال: إلهي أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر، قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضاي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر». (٩٠٠)

علينا أن ندرك أن هذه الليلة المباركة تأتي مرة واحدة في العام، ومن فاتته فلن يتمكن من إدراكها إلا في موعدها القادم. لذلك، ينبغي لكل منا أن يستعد لها بعزم وإرادة، مترقباً قدومها بكل شوق، ليغتنم بركاتها العظيمة. فما أعظم خسارة من يُحرم خيرها! فقد ورد عن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

أنها كانت تحث أهلها على الاستعداد لاستقبال ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، فتأمرهم بالنوم نهاراً حتى لا يغلبهم النعاس ليلاً، قائلة: «محروم من حرم خيرها». (٩٠١)

وأما مستحبات ليلة القدر فهي كثيرة منها:

١. الاستغفار؛ إن واحداً من أهم الأعمال في هذه الليلة هو الاستغفار. فقد ورد في مستحباتها أن يستغفر الله سبعين مرة. وعن أمير المؤمنين عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع البلاء عنكم، وأما الاستغفار فتمحى به ذنوبكم». (٩٠٢)

إن الاستغفار الحقيقي ليس هو مجرد قول: «استغفر الله» وتحريك اللسان بهذه الألفاظ، بل إن هذه الألفاظ ينبغي أن تكون شعاراً ظاهراً، لقرار عميق الجذور في نفس المستغفر. إن مصداقية الاستغفار - في الحقيقة - مرهونة باشتاله على خطوتين رئيسيتين هامتين:

الأولى: اكتشاف الخطأ، والإقرار بوجوده، وأنه خطأ لا يجوز الاستمرار عليه.

الثانية: التصميم على الإقلاع عنه والتخلص منه.

فإذا ما عرفت الخطأ وشخصته، ثم صممت على تجاوزه والإقلاع عنه، فتعلن حينئذ عن قرارك القلبي، بلسانك وتقول: «أستغفر الله ربي وأتوب إليه». (٩٠٣)

قد يتبادر إلى الذهن سؤال: إذا كانت كل الأمور تُقدَّر في ليلة القدر للسنة القادمة، فما فائدة الدعاء والاستغفار خلال العام أو حتى في ليلة القدر نفسها؟ هل يمكن أن يغير الدعاء والاستغفار شيئاً قد كُتِبَ مسبقاً؟

الإجابة تكمن في أن الدعاء والاستغفار نفسه جزء من نظام التقدير الإلهي. فالله سبحانه وتعالى قدَّر لكل شيء أسباباً ونتائج، فكما أنه قدَّر أن من يلقي نفسه من مكان مرتفع قد تنكسر قدمه، كذلك قدَّر أن من يدعو الله لرفع بلائه قد يُستجاب له، ومن يستغفر الله بصدق ويتوب توبة نصوح ستمحى آثار العقاب.

أي أن التقدير الإلهي يشمل السبب والنتيجة، فلو كان مكتوباً أن يصيب شخصاً بلاء معين، فقد يكون مكتوباً أيضاً أن هذا البلاء يزول بالدعاء أو الاستغفار.

مثال: قد يكون مقدرًا في ليلة القدر أن شخصاً سيواجه مشكلة، لكنه إذا دعا الله

بصدق في وقت معين، فسيرفع الله عنه هذه المشكلة. أي أن الدعاء والاستغفار جزء من القدر وليس ضده.

٢. الغسل .

٣. الصلاة ركعتان: يقرأ في كل ركعة بعد الحمد التوحيد سبع مرات ويقول بعد الفراغ سبعين مرة: (استغفر الله وأتوب إليه).

٤. رفع المصحف: هو وضع المصحف الشريف على الرأس والتوسل إلى الله عز وجل بالقرآن الكريم والنبى المصطفى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعترته الطاهرة والائمة الاثنى عشر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لضمان استجابة الدعاء.

٥. إحياء هذه الليالي الثلاث: فقد روي عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». (٩٠٥)

٦. الصلاة مئة ركعة: فإنها ذات فضل كثير والأفضل أن يقرأ في كل ركعة بعد الحمد التوحيد عشر مرات.

٧. زيارة الامام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٩٠٦)، نَادَى مُنَادٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِمَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ». (٩٠٧)

هذا وهناك أعمال أخرى يذكرها الشيخ عباس القمي في كتابه (مفاتيح الجنان) فراجع. (٩٠٨)

إن الليلتين الأوليين (١٩-٢١) من شهر رمضان قد ارتبطتا بمجموعة من الأحداث والوقائع التاريخية المهمة، ذلك أن بعد انقضاء ليلة التاسع عشر من رمضان في سنة ٤٠ هـ قد شهدت إصابة الإمام الأول علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم المرادي، أما ليلة الحادي والعشرين فقد أعقبها نهار فجع الإسلام والشيعه والموالين والمحبين والكون، وضجت الملائكة في السماء وهبت على أثره ريح عاصفة سوداء مظلمة ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى..

لماذا؟ ماذا حصل!!!

النداء يقول: «قتل ابن عم المصطفى قتل الوصي المجتبي قتل على المرتضى قتل سيد الأوصياء قتله أشقى الأتقياء».

نعم، هذا النداء كان في التاسع عشر من شهر رمضان، حيث ضرب الملعون عبد الرحمن بن ملجم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على رأسه أثناء سجوده في صلاته في المحراب..

(أبوذية)

او من راسك يحامي الجارهدام

أركان الهدى من صاح هدام

او ما تنسالك يا حامي الحميه

او عليك الحزن طول الدهرهدام

وبقي يعاني أثر الضربة حتى ليلة الحادي والعشرين، حيث اشتد عليه الوجع واقترب موعد فراقه، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولاده وأصحابه: «بالأمس أنا صاحبكم واليوم أنا عبدة لكم وغدا أنا مفارقكم».

وفي هذه الليلة أوصى ولديه الحسن والحسين بجملة وصايا منها أوصيكم: بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للأجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً، أوصيكم وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا. بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنت مسلمون - إلى أن قال - وإصلاح ذات بينكم فإني سمعت رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، الله في الأيتام لا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم، الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، الله في جيرانكم فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود الدين، الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم، الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، الله في ذرية نبيكم فلا يظلمون بين أظهركم. ثم التفت إلى بني عبد المطلب قائلاً لهم: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا

لا تقتلنَّ بي إلا قاتلي.

وفي خبر قال: أبصروا ضاربي وأطعموه من طعامي واسقوه من شاربي ثم إذا أنا مت فاقتص منه - يا حسين - واضربه ضربة واحدة او ضربة بضربة ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور وإن أنا عشت فأنا أولى به. ثم عرق جبينه فجعل يمسح العرق بيده فقالت ابنته زينب: يا أبة أراك تمسح جبينك، قال: يا بنية سمعت جدك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وسكن أنينه. فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها

وقالت: يا أبة حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمع منك فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبوا صبورا.

(مجردات)

او ويساج كل الفاطميه

تمشين يا زينب سبيه

واحسين يبكه اعله الوطيه

يو دونچن ابن الدعيه

او عباس علشاطي رميه

ثم نظر إلى أولاده فرآهم تكاد تزهق أرواحهم من شدة البكاء والنحيب فقال لهم: أحسن الله لكم العزاء ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما وعدني فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل إليه، ثم ضعني علي سريري ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه وصل علي يا بني يا حسن وكبر علي سبعا واعلم أنه لا يحل ذلك لأحد غيري إلا لرجل يخرج آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق. فإذا أنت صليت علي فنج السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه سترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة فاضجعني فيها

ثم اشرح اللحد باللبن وأهل التراب عليّ ثم غيب قبري. فلما سمعت زينب وصية أبيها لطمت وجهها ثم أهوت عليه تشمه وتقبل يديه وتتزود من النظر إليه.

(أبوذية)

انشاع يمثبت الإسلام ودينه يليث الما كربلك بطل ودينه

كبلك يا علي احنه انموت ودينه ينور العرش يمضوي البريه

ثم دفع كتبه وسلاحه إلى الحسن وأمره أن يدفعها إلى الحسين إذا حضرته الوفاة وأمر الحسين أن يدفعها إلى ولده علي بن الحسين، وأقبل علي بن الحسين فقال له: وأمرك رسول الله أن تدفع وصيتك إلى ولدك محمد بن علي فاقرأه من رسول الله ومني السلام.

ثم أخذ يودع أولاده الواحد بعد الآخر حتى أغمي عليه ساعة وأفاق وقال: هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله كلهم يقولون: عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون.

ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته وقال: أستودعكم الله جميعاً سددكم الله جميعاً وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة.

ولم يزل وهو بتلك الحال يسبح الله ويذكره كثيراً ثم استقبل القبلة وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رفقا بي ملائكة ربي، ثم عرق جبينه وسكن أنينه وغمض عينيه وأسبل يديه ومد رجليه وقضى نحبه ولقي ربه شهيداً مظلوماً. رحم الله من نادى وإماماه وأعلياه وأسيدها وأمظلوماه.

(مجردات)

ابو احسين ما تمم اصيامه لئه العيد وولاده يتامه

او صاحت زينب او لطمت الهامه فكذلك صعب يا راعي الشهامه

الله اويك يا حلو الجهامه عزنه راح من راحت أيامه

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَا يَمُوتُ مَنْ حَمَلَ حَقَّهُ

عَلَّمَ الشَّرِيفِيُّ ۱۴

الهوامش

- (١) الأحزاب/ ٣٩.
- (٢) التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف-ص ١١-١٢.
- (٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ١-ص ٢٣.
- (٤) مجلة الإصلاح الحسيني / com.warithanbia / أعداد المجلة/ العدد الثالث والعشرون/ مقالات العدد/ دور التبليغ في بناء المجتمع الفاضل-بقلم دعاء فاضل الربيعي.
- (٥) شرح نهج البلاغة-ابن أبي الحديد-ج ٧-ص ١٨٣.
- (٦) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٠-ص ٣١٣.
- (٧) الأعراف/ ٩٦، هود/ ٤٨ و ٧٣.
- (٨) فصلت/ ١٠.
- (٩) الأعراف/ ١٣٧، الإسراء/ ١، الأنبياء/ ٧١ و ٨١، السبأ/ ١٨، الصافات/ ١١٣.
- (١٠) النمل/ ٨.
- (١١) الأنعام/ ٩٢ و ١٥٥، الأنبياء/ ٥٠، ص/ ٢٩، آل عمران/ ٣، مريم/ ٣١، المؤمنون/ ٢٩، ق/ ٩.
- (١٢) النور/ ٣٥ و ٦١، الدخان/ ٣.
- (١٣) الأعراف/ ٥٤، الفرقان: ١ و ١٠ و ٦١، الزخرف/ ٦٥، الرحمن/ ٧٨، الملك/ ١.
- (١٤) دائرة المعارف قرآن كريم-القدمي-ج ٥-ص ٤٨٦.
- (١٥) لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٩٥-٣٩٦ «برك». نقلاً عن موسوعة معارف الكتاب والسنة-الشيخ محمد الريشهري-ج ٨-ص ١١.
- (١٦) شرح خطبة النبي الرمضانية-الشيخ حسين الراضي-ص ٤.
- (١٧) موسوعة معارف الكتاب والسنة-الشيخ محمد الريشهري-ج ٨-ص ١١.
- (١٨) الميزان في تفسير القرآن-الطباطبائي-ج ٧-ص ٣٨١.
- (١٩) مستدرک الوسائل-الميرزا النوري-ج ١١-ص ٣٧٧-٣٧٨.
- (٢٠) التبعية: تعني أن المخلوقات ليست مصدرًا أصيلاً لهذه الصفات، بل هي وسائل يحقق الله من خلالها هذه الصفات في الكون، بينما الاستقلال يعني امتلاك الشيء بذاته دون الاعتماد على غيره، وهذا يختص بالله وحده.

- (٢١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٣-ص ٦٧.
- (٢٢) النزاعات/ ٥.
- (٢٣) الكافي-الكليني-ج ٢ ص ٥٧٦-ح ١ عن أبان بن تغلب.
- (٢٤) مُهَج الدعوات-ابن طاووس-ص ١٢٠ وص ١٩٥.
- (٢٥) هود/ ١١٧.
- (٢٦) هود/ ٤٨.
- (٢٧) الصافات/ ١١٣.
- (٢٨) مريم/ ٣١.
- (٢٩) الميزان في تفسير القرآن-الطباطبائي-ج-ص ٤٧.
- (٣٠) الأنبياء/ ١٠٧.
- (٣١) تفسير العياشي-ج ٢-ص ٢٤٣، بحار الأنوار-المجلسي-ج ٦٨-ص ٣٥-ح ٧٥.
- (٣٢) الأمالي-الصدوق-ص ٢٥٣ و ٢٧٧.
- (٣٣) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢٣-ص ٣٧.
- (٣٤) النساء/ ٦٤.
- (٣٥) الكوثر/ ١.
- (٣٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج ٢٠-ص ٤٩٩.
- (٣٧) الكافي-الكليني-ج ٣-ص ٣٤٣.
- (٣٨) دروس من الحياة-ص ٤٣٦.
- (٣٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٧٠-ص ٣٨٢.
- (٤٠) تحف العقول-ابن شعبة الحراني-ص ٤٨٩.
- (٤١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٧٢-ص ١٣٧.
- (٤٢) مستدرك الوسائل-المحدّث النوري-ج ١٥-ص ١١٦.
- (٤٣) الخير والبركة في الكتاب والسنة-محمد الريشهري-ص ٢٥٢.
- (٤٤) معاني الأخبار-الشيخ الصدوق-ص ١٥٢.
- (٤٥) المستدرك على الصحيحين-الحاكم النيسابوري-ج ٢-ص ١٩٥.
- (٤٦) تاريخ دمشق-ابن عساكر-ج ٤٧-ص ٢٢٥-ح ١٠١٩٦ عن واثلة بن الأسقع.
- (٤٧) راجع كتاب: أعيان الشيعة-السيد محسن الامين-ج ٢-ص ١٢٦-١٣٣.
- (٤٨) يوسف/ ٩٣-٩٦.
- (٤٩) القبضة من أثر الرسول التي أخذها السامري كانت ترابًا من أثر موطئ جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَام، وقد احتوت على خاصية إلهية. أضاف السامري هذا التراب إلى العجل الذهبي المصنوع، مما أكسبه القدرة

- على إصدار صوت الخوار، ليُوهم بني إسرائيل بأنه كائن حي، في محاولة لإضلالهم عن عبادة الله الحق.
(٥٠) طه/ ٨٨.
- (٥١) يوسف/ ١١١.
- (٥٢) الأنعام/ ٩٢
- (٥٣) الاسراء/ ٨٢.
- (٥٤) الرحمن/ ٧٨.
- (٥٥) سمي «بكة» لإزدحام الناس في الطواف ونحوه هناك، فإن بكَّ يبكَّ بمعنى زحم يزحم.
- (٥٦) آل عمران/ ٩٦.
- (٥٧) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٢٩٨.
- (٥٨) الدخان/ ٣.
- (٥٩) الموسوعة الفقهية - مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي - ج ٢٠ - ص ٢٧٠ - ٢٧٨ - بتصرف.
- (٦٠) الأعراف/ ٩٦.
- (٦١) الكافي - الكليني - ج ٥ - ص ١٧٣.
- (٦٢) يونس/ ٦٢.
- (٦٣) تفسير العياشي - ج ٢ - ص ١٢٤ - ح ٣١ عن بريد العجلي، بحار الأنوار - المجلسي - ج ٦٩ - ص ٢٧٧ ح ١١.
- (٦٤) البقرة/ ١٥٥.
- (٦٥) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٩ - ص ٢٠٦.
- (٦٦) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٢٤ - ص - ب ٥٩ من آداب المائة - ح ٤.
- (٦٧) الحديث يشير إلى فضل العمل في الصباح الباكر وأهمية استثمار أوقات البكور، وهو الوقت الذي يُبارك الله فيه الجهود ويُضاعف الثمار.
- (٦٨) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١١ - ص ٣٥٩.
- (٦٩) البقرة/ ٢٤٥.
- (٧٠) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٩٦ - ص ١٦٢ - ح ٦.
- (٧١) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١١ - ص ١٥.
- (٧٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج - ص ٤٤٥.
- (٧٣) سبأ/ ٣٩.
- (٧٤) الكافي - الكليني - ج ٨ - ص ٢٣ - ح ٤.
- (٧٥) أعلام الدين في صفات المؤمنين - الديلمي - ص ٢٦٥.
- (٧٦) أعلام الدين في صفات المؤمنين - الديلمي - ص ٢٩٤.

- (٧٧) نوح / ١٠-١٢.
- (٧٨) الخصال- الشيخ الصدوق- ص ٦١٥.
- (٧٩) النور / ٣٢.
- (٨٠) الفرقان / ٦٧.
- (٨١) إبراهيم / ٧.
- (٨٢) البقرة / ٢٧٦.
- (٨٣) الخصال- الشيخ الصدوق- ص ٦٢٠.
- (٨٤) الانفال / ٥٣.
- (٨٥) الغي: الضلال والانهاك في الباطل (النهاية: ٣: ٣٩٧).
- (٨٦) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٨٧- ص ٣٢٧- ح ٥.
- (٨٧) الخير والبركة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري - ص ٣٠٠-٣٠٢.
- (٨٨) صحيح البخاري- البخاري- ج ٣- ١٤٠١.
- (٨٩) عمدة القاري- العيني- ج ١١- ص ١٩٥.
- (٩٠) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٩٧- ص ٩٤.
- (٩١) الطنبور: آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار. (المعجم الوسيط ٢: ٥٦٧).
- (٩٢) إرشاد القلوب- الديلمي- ج ١- ص ١٧٤.
- (٩٣) مستدرك الوسائل- الحر العاملي- ج ١٤- ص ٣٣٢- ح ٢٥.
- (٩٤) بحار الأنوار- المجلسي- ج ١٠٤- ص ٢٩٣.
- (٩٥) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٧٩- ص ١٩.
- (٩٦) مستدرك الوسائل- الميرزا النوري- ج ١١- ص ٣٧٦- ح ١٨.
- (٩٧) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٨٣- ص ٢١.
- (٩٨) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ٩- ص ٢٦- ح ١٢.
- (٩٩) الكافي- الكليني- ج ٢- ص ٤٩٩.
- (١٠٠) نفق الزائد اي نفد، ونفقة الدابة أي هلكت وماتت. (مجمع البحرين- ج ٥- ص ٢٤١- نفق).
- (١٠١) بحار الأنوار- المجلسي- ج ١٠٣- ص ١٠٢.
- (١٠٢) الكافي- الشيخ الكليني- ج ٥- ص ١٢٥.
- (١٠٣) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ١٧- ص ٢٨٣.
- (١٠٤) البقرة / ١٨٣.
- (١٠٥) الأعراف / ٩٦.
- (١٠٦) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ١٠- ص ٣١٣.

- (١٠٧) الأماي - الشيخ الصدوق - ص ١٥٤ .
- (١٠٨) القدر/ ٣ .
- (١٠٩) للدكتور عثمان قدري مكاني .
- (١١٠) **تَجَلَوِ الْعَنَا: تُذْهِبُ وَتُزِيلُ النَّصَبَ وَالتَّعَبَ.**
- (١١١) **بَهَاؤُهَا: بَهَاءٌ: جَمَالٌ وَحُسْنٌ وَإِشْرَاقٌ وَنَضَارَةٌ.**
- (١١٢) أينع: أدرك ونضح (اللسان).
- (١١٣) اجتناؤه، أي: تناوله وأخذه (اللسان).
- (١١٤) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٦ - ص ٢٢٣ / ٢٢٢ .
- (١١٥) راجع معجم «المعاني الجامع»، حيث تشير كلمة «مبكر» إلى فاعل من «بَكَرَ»، وتعني الاستيقاظ أو القيام بشيء في وقت مبكر، أو المبادرة والتعجيل .
- (١١٦) قد جاء تكم موعظة - مركز نون للتأليف والترجمة - ص ٦٥ - بتصرف .
- (١١٧) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٢ - ص ٢٩٧ - مسألة ١٠٦٩ .
- (١١٨) موقع الشيخ حسين الخشن / com.khechin-al / مقالات / اجتماعية / زواج القاصرات / بقلم الشيخ حسين الخشن - بتصرف .
- (١١٩) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٢ - ص ٢٩٧ - مسألة ١٠٦٩ .
- (١٢٠) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٢ - ص ٢٩٧ - مسألة ١٠٧٠ .
- (١٢١) راجع: منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - مسألة ٥٩ .
- (١٢٢) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ٢٥ - مسألة ٥٩ .
- (١٢٣) من فتاوى ساحة السيد السيستاني (دام ظله) رقم: ٢٥٤ / ي بتاريخ: ٢٦ / ٩ / ٢٠١٩ م .
- (١٢٤) ولي الأمر: هو الأب أو الجد للأب .
- (١٢٥) موقع مكتب الشيخ الصفار / org.saffar / دروس / فقه الأسرة / أولياء عقد الزواج .
- (١٢٦) المراد بالرشد هنا ما يقابل السفه في الأمور المالية، أي هو الذي ليس له حالة باعثة على حفظ ماله والاعتناء بحاله يصرفه في غير موقعه ويتلفه بغير محله، وليس معاملاته مبنية على المكايسة والتحفظ عن المغابنة، لا يبالي بالانخداع فيها، يعرفه أهل العرف والعقلاء بوجدانهم إذا وجدوه خارجا عن طورهم ومسلكتهم بالنسبة إلى أمواله تحصيلًا وصرفاً. المصدر: منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٢ - ص ٢٩٩ .
- والسفه في أمور الزواج من اختيار الزوج وكيفية الامهار ولسائر الخصوصيات. المصدر: موقع مكتب ساحة السيد السيستاني / org.sistani / الاستفتاءات / البلوغ في الذكر والأنثى .
- (١٢٧) المصدر: موقع مكتب ساحة السيد السيستاني / org.sistani / الاستفتاءات / الثيب
- (١٢٨) المقصود بالبكر - من لم يدخل بها زوجها، فمن تزوجت ومات عنها زوجها أو طلقها قبل ان

يدخل بها فهي بكر، وكذا من ذهبت بكارتها بغير الوطاء من وثبة أو نحوها، واما ان ذهبت بالزنا أو بالوطء شبهة فهي بمنزلة البكر على الاظهر. المصدر: موقع مكتب سماحة السيد السيستاني /sistani.org / الاستفتاءات/ النكاح.

(١٢٩) (المستقلة) في شؤون حياتها هي الفتاة التي تدير شؤون حياتها بنفسها، مثل: اتخاذ القرارات اليومية المهمة، ولديها حرية التصرف في أمورها الشخصية والاجتماعية، دون الاعتماد على والدها أو جدها.

مثال: فتاة تعيش بمفردها أو تدير شؤونها المهنية أو التعليمية بنفسها، وتملك حرية اتخاذ القرار.

(١٣٠) المقصود بـ (غير المستقلة) في شؤون حياتها هي: التي لا تستقل عن أبيها في اتخاذ القرارات المتعلقة بالتصرف في نفسها وما لها. مثال: فتاة تعيش مع عائلتها وتعتمد عليهم مالياً وفي القرارات المتعلقة بحياتها ودراساتها.

(١٣١) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ٢٨.

(١٣٢) الكافي - الكافي - ج ٥ - ص ٣٩٤.

(١٣٣) موقع مكتب الشيخ الصفار /org.saffar / دروس / من فقه الأسرة / ولاية الأب ومصلحة البنت.

(١٣٤) أينع أدرك ونضج (اللسان).

(١٣٥) اجتناؤه، أي: تناوله وأخذه (اللسان).

(١٣٦) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٦ - ص ٢٢٣ / ٢٢.

(١٣٧) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ٣٩ الباب ٣٢ الحديث ١.

(١٣٨) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠٣ - ص ٢٢١.

(١٣٩) شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع) - ص ٥٢٩.

(١٤٠) الزواج المبكر في ميزان الشريعة - الشيخ الحذيفي - ص ٢٠، نقلا عن المكتبة الشاملة الحديثة - أرشيف ملتقى أهل الحديث.

(١٤١) التبكير في الزواج والآثار المترتبة عليه - الدكتور مصطفى القضاة، نقلا عن مجلة جامعة

دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - المجلد ٢٦ - العدد الأول - ٢٠١٠ - ص ٤٥٩.

(١٤٢) الروم / ٢١.

(١٤٣) قد جاء تكلم موعظة - مركز نون للتأليف والترجمة - ص ٦٦.

(١٤٤) صفحة ٢١٥.

(١٤٥) الزواج المبكر في ميزان الشريعة - الشيخ الحذيفي - ص ٢٠، نقلا عن المكتبة الشاملة الحديثة - أرشيف ملتقى أهل الحديث.

(١٤٦) حداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر (تاج العروس).

- (١٤٧) عج، أي: رفع صوته وصاح (اللسان)
- (١٤٨) عصم، أي: منع ومسك (اللسان).
- (١٤٩) كنز العمال: ١٦: ٢٧٦ / ٤٤٤٤١.
- (١٥٠) قد جاء تكم موعظة- مركز نون للتأليف والترجمة- ص ٦٦.
- (١٥١) الأعراف / ٢١.
- (١٥٢) تزوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من عائشة، و عمرها ما بين ثلاثة عشر إلى سبعة عشر سنة، بينما تدعي مصادر أهل السنة أنه تزوجها بعمر تسع سنين. ننصح بمراجعة مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / عائشة بنت أبي بكر / سنها عند الزواج.
- (١٥٣) تختلف الروايات في مقدار عمرها عَلَيْهَا السَّلَامُ عند الزواج بحسب الاختلاف الحاصل في تاريخ ولادتها وزواجها، فإن قلنا: إن ولادتها بعد المبعث بخمس سنين، يكون عمرها عند الزواج تسع سنين أو عشر أو إحدى عشرة سنة، وفق اختلاف الرواية في تزويجها بعد الهجرة بسنة أو سنتين أو ثلاث، والمشهور الأول. وقيل أيضاً: كان عمرها عند الزواج اثنتي عشرة سنة، أو ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، ولم يرو أصحابنا في مبلغ عمرها يوم تزويجها أكثر من ذلك. المصدر: المجالس السنية- السيد محسن الأمين- ج ٥ - ص ٤٥.
- (١٥٤) الزواج المبكر في ميزان الشريعة- الشيخ الحذيفي- ص ١٢-١٣- بتصرف.
- (١٥٥) م.ن.
- (١٥٦) المؤمنون / ١١٥.
- (١٥٧) المبسوط في فقه الإمامية- الطوسي- ج ٢- ص ٢٨٣؛ جواهر الكلام- النجفي- ج ٩- ص ٢٥٨.
- (١٥٨) من فتاوى سماحة السيد السيستاني (دام ظله) رقم: ٢٥٤ / ي بتاريخ: ٢٦ / ٩ / ٢٠١٩ م.
- (١٥٩) راجع: منهاج الصالحين- السيد السيستاني- ج ٣- مسألة ٥٩.
- (١٦٠) ويمكن توضيح هذا المفهوم بمثال: إذا سأل شخص عالمياً عن حكم شرب بول الإبل، فقد يُجيبه بأن ذلك جائز من الناحية الشرعية في حال الضرورة أو التداوي، ولكن هذا الجواز لا يعني أن الشريعة تُشجّع عليه أو تحث على فعله، بل هو حكم متعلق بمواقف استثنائية أو حالات خاصة.
- (١٦١) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / النكاح / الزواج من الصغيرة.
- (١٦٢) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ٢١ - ص ١٢.
- (١٦٣) غرر الحكم: ٢٥٠١.
- (١٦٤) الملك / ١٤.
- (١٦٥) قد جاء تكم موعظة- مركز نون للتأليف والترجمة- ص ٦٧.

- (١٦٦) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ٢٠-ص ١٠٤.
- (١٦٧) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٥-ص ٣٤٧.
- (١٦٨) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج ٣-ص ٩-مسألة ٦.
- (١٦٩) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / فاطمة الزهراء
عَلَيْهَا السَّلَامُ
/ عمرها يوم زواجها ويوم وفاتها (عَلَيَّهَا السَّلَامُ)
.
- (١٧٠) طبقات الكرام-الآقا بزرك الطهراني-ص ٢٥٣-٢٥٤.
- (١٧١) الأنعام/١٢٧.
- (١٧٢) موقع السيد صادق الحسيني الشيرازي / / net.alshirazi / المقالات / مقال رقم ٦٥: الأول
من شهر رمضان المبارك وفاة السيدة الجليلة نفيسة بنت الحسن عَلَيَّهِمَا السَّلَامُ.
- (١٧٣) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٧٥-ص ٦٢.
- (١٧٤) راجع: جامع السعادات-محمد مهدي النراقي-ج ١-ص ٢٤٦-بتصرف.
- (١٧٥) طه/ ١١٤.
- (١٧٦) النحل/ ١.
- (١٧٧) الإسراء/ ١١.
- (١٧٨) غرر الحكم: ٤٣٢، ٩٧٤٠.
- (١٧٩) غرر الحكم: ٤٣٢، ٩٧٤٠.
- (١٨٠) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج ٣-ص ١٨٣٤.
- (١٨١) غرر الحكم: ١٣٣٣.
- (١٨٢) جامع السعادات-محمد مهدي النراقي-ج ١-ص ٢٤٦.
- (١٨٣) إن التثبت والأناة متقاربان في المعنى، لكن بينهما فرق دقيق: فالأناة هي التروي والتفكير
وعدم التسرع قبل اتخاذ القرارات، والتصرف بحكمة دون تسرع. وأما التثبت هو التحقق والتأكد من
صحة المعلومات أو الأمور قبل الحكم عليها أو العمل بها.
- (١٨٤) بحار الانوار-المجلسي-ج ٦٨-ص ٣٤٠.
- (١٨٥) بحار الانوار-المجلسي-ج ٦٨-ص ٣٤٠.
- (١٨٦) البقرة/ ٤٥.
- (١٨٧) آل عمران/ ١٥٩.
- (١٨٨) غرر الحكم: ٥٧٥٥، ٣٢٧٩، ٤٩٩٠.
- (١٨٩) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج ٣-ص ١٨٣٦.

- (١٩٠) طه/ ٨٣-٨٤.
- (١٩١) راجع: تفسير الميزان- السيد الطباطبائي - ج ١٤ - ص ١٩٠.
- (١٩٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٨٣٥.
- (١٩٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٨٣٥.
- (١٩٤) المقصود بالبر: الأعمال الصالحة والخيرات، مثل الصدقة، الإحسان، بر الوالدين، الإصلاح بين الناس، وأداء الواجبات الدينية والاجتماعية.
- (١٩٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٨٤٤.
- (١٩٦) شبكة المعارف الإسلامية / org.almaaref / أخلاق وسنن / منهج حياة / المسلك القرآني / المسلك القرآني / أضرار العجلة - بتصرف.
- (١٩٧) المعجم الكبير: ١٧- ٣٧٠- ١٠١٣ عن عياض.
- (١٩٨) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٤ - ص ٣٨.
- (١٩٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ - ص ١٨٩.
- (٢٠٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٨٣٥.
- (٢٠١) شبكة المعارف الإسلامية / org.almaaref / أخلاق وسنن / منهج حياة / المسلك القرآني / المسلك القرآني / أضرار العجلة - بتصرف.
- (٢٠٢) قيل أن اللَّجَاجَةَ لها أكثر من تعريف:
- التعريف الأول: الخصومة أو الاستمرار على المعارضة في الخصام، أو التهادي في الأمر ولو تبين الخطأ.
- التعريف الثاني: المواظبة على الطلب بإصرار وعناد وإلحاح من دون دليل شرعي على الفعل. المصدر: نشرة الكفيل / نشرة أسبوعية ثقافية (مجانية) تصدر عن العتبة العباسية المقدسة / العدد ٩٦١. السيد صباح الصافي.
- (٢٠٣) العناد يُعتبر مفهوماً أعمّ من اللجاجة. فالعناد يشمل الإصرار والثبات على الرأي أو الموقف، سواء كان ذلك في الحق أو الباطل. أما اللجاجة، فهي نوع خاص من العناد، حيث يُصرّ الشخص على موقفه أو رأيه الخاطيء، مع علمه بخطئه، ويستمر في ذلك بدافع من الكبر أو الجهل.
- (٢٠٤) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٧٤ - ص ٦٧.
- (٢٠٥) النمل / ١٤.
- (٢٠٦) غرر الحكم: ح ٣٥٨.
- (٢٠٧) غرر الحكم: ح ٣٥٨.
- (٢٠٨) غرر الحكم: ح ٣٥٨.
- (٢٠٩) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر - الحلواني - ص ١٤٠.
- (٢١٠) من أحاديث الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. المصدر: غرر الحكم: ح ٣٥٨.

- (٢١١) غرر الحكم: ح ٣٥٨.
- (٢١٢) الرعد/ ١١.
- (٢١٣) غرر الحكم: ٢٤٧٢.
- (٢١٤) غرر الحكم: ٥٤٨، ٧١٦.
- (٢١٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ - ص ١٠٤.
- (٢١٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٩ - ص ٧٧.
- (٢١٧) مثال: شخص متفوق في دراسته، لكنه يرى نفسه أعلم من الجميع، ويرفض الاستماع إلى آراء الآخرين.
- (٢١٨) مثال: رجل يكثر من الصلاة والصيام ويحسن للناس، فهذه صفات كمال حقيقية.
- (٢١٩) مثال: شخص يعتقد أنه ذكي جدًا، لكنه في الحقيقة محدود التفكير ويرفض الاعتراف بذلك.
- (٢٢٠) مثال: العلم والتقوى من صفات الكمال الحقيقية، لكن العجب بهما قد يُفسدهما.
- (٢٢١) مثال: شخص يفخر بهاله أو نسبه، معتقدًا أن ذلك يجعله أفضل من غيره، رغم أن المال والنسب ليسا مقياسًا حقيقيًا للكمال.
- (٢٢٢) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ١ - ص ٢٨٢.
- (٢٢٣) الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٣١٣.
- (٢٢٤) الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٣١٤.
- (٢٢٥) أخلاق أهل البيت - السيد مهدي الصدر - ص ١٣٩ - ١٤٠.
- (٢٢٦) أخلاق أهل البيت - السيد مهدي الصدر - ص ١٣٩ - ١٤٠ - بتصرف.
- (٢٢٧) كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء - القزويني - ج ١ - ص ١٥٧ - ١٦٤ - بتصرف.
- (٢٢٨) فاطر/ ٢٨.
- (٢٢٩) الإسراء/ ٨٥.
- (٢٣٠) الكافي - الكليني - ج ٤ - ص ١٥٤ - ح ١.
- (٢٣١) المحجة البيضاء - الفيض الكاشاني - ج ٦ - ص ٢٤٣.
- (٢٣٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - هامش صفحة ٣٢٩.
- (٢٣٣) كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء - القزويني - ج ١ - ص ٦٢.
- (٢٣٤) موقع أخبار غادي / ghadinews / صور مذهلة تظهر تفوق النمل على الإنسان في رفع الاثقال وأمور عدة.
- (٢٣٥) تحف العقول - بان شعبة الحراني - ص ٣٢٦.
- (٢٣٦) غرر الحكم: ١٠٠٨٨.
- (٢٣٧) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٠٥.

- (٢٣٨) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - ص ٧٧.
- (٢٣٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٣٣٧.
- (٢٤٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٩٩.
- (٢٤١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٨.
- (٢٤٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٠٦.
- (٢٤٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٤ - ص ٥٤.
- (٢٤٤) الغدير - العلامة الأميني - ج ٧ - ص ٣٣٤.
- (٢٤٥) راجع: بحار الأنوار - المجلسي - ج ٣٥ - ص ١٢٥.
- (٢٤٦) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٩ - ص ٢٤ - ٢٥. وفي رواية أخرى أن وفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ في السادس والعشرين من شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة. المصدر: مصباح المتهجد - الطوسي - ص ٨١٢.
- (٢٤٧) الشاعر: بشار العالي البحراني.
- (٢٤٨) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٥ - ص ١٥٦.
- (٢٤٩) م. ن. - ص ١٥٦ - ١٥٧.
- (٢٥٠) راجع: ظلامه أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ - السيد جعفر مرتضى العاملي - ص ١٤٠.
- (٢٥١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٥ - ص ١١٤.
- (٢٥٢) بقلم: خليل علي الزبيدي، نقلا عن منتدى الكفيل.
- (٢٥٣) الأحزاب / ٣٣.
- (٢٥٤) م. ن.
- (٢٥٥) الأحزاب / ٣٣.
- (٢٥٦) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - ج ١ - ص ٢٣٨.
- (٢٥٧) لسان العرب - ابن منظور - ج ١ - ص ٣٥٩.
- (٢٥٨) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - ج ٣، ص ٤١.
- (٢٥٩) أحكام النساء - الشيخ محمد بن محمد المفيد - ج ٩ - ص ٥٦.
- (٢٦٠) النور / ٣١.
- (٢٦١) الأحزاب / ٣٣.
- (٢٦٢) كتاب الستر والحجاب - المعارف - ص ٤٩ - ٥٠ - بتصرف.
- (٢٦٣) [وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى] الأحزاب / ٣٣.
- (٢٦٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٣ - ص ٢٣٥.
- (٢٦٥) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٣٩٠.
- (٢٦٦) معجم مقاييس اللغة مادة (سفر).

- (٢٦٧) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٣ - مسألة ١٨ .
- (٢٦٨) منهاج الصالحين - السيد الخوئي - ج ٢ - ص ٢٦٠ - مسألة ١٢٣٣ .
- (٢٦٩) البقرة/ ١٨٧ .
- (٢٧٠) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٩٧ - ص ٩١ .
- (٢٧١) زاد المبلغات - مياسة شيع - ج ١٢ - ص ٣١٩ . وأيضاً في ج ١٣ بعنوان (فلسفة الحجاب) الجزء الثاني .
- (٢٧٢) المعجم الصغير للطبراني .
- (٢٧٣) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٢٣ .
- (٢٧٤) الأحزاب/ ٥٧ .
- (٢٧٥) التوبة / ١٠٥ .
- (٢٧٦) الكافي - الكليني - ج ١ - ص ١٧٠ .
- (٢٧٧) المطففين/ ١٤ .
- (٢٧٨) الأحزاب/ ٥٣ .
- (٢٧٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - ص ٥٥ .
- (٢٨٠) الخصال - الشيخ الصدوق - ص ٦٢٠ .
- (٢٨١) طه/ ١٢٤ .
- (٢٨٢) الحج/ ١٨ .
- (٢٨٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٣٢ .
- (٢٨٤) الجاثية/ ٣٤ .
- (٢٨٥) يس/ ١٢ .
- (٢٨٦) جامع أحاديث الشيعة - البروجردي - ج ١٤ - ص ٢٧ .
- (٢٨٧) غرر الحكم: ٩٨١١ .
- (٢٨٨) جلاء القلوب - مركز المعارف للتأليف والتحقيق - ص ٤٥ - بتصرف .
- (٢٨٩) النور/ ٦٣ .
- (٢٩٠) الإسراء/ ٧٢ .
- (٢٩١) روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ «سَيَكُونُ آخِرُ أُمَّتِي نِسَاءً كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ عَلَىٰ رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ، الْعُنُوهُنَّ فَيَأْتِيَهُنَّ مَلْعُونَاتٌ» . المعجم الصغير للطبراني .
- (٢٩٢) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٧ - ص ١٩٨ .
- (٢٩٣) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٧ - ص ١١١ .
- (٢٩٤) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٢ - ص ٧٤٩ .

- (٢٩٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠ - ص ١٨٦ .
- (٢٩٦) الأعراف / ٢٦ .
- (٢٩٧) كتاب حجابك سر عفافك - مياسة شيع - ج ١ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٢٩٨) الإسرائاء / ٤٤ .
- (٢٩٩) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٣ - ص ٢٤٢ .
- (٣٠٠) الكافي - الكليني - ج ٣ - ص ٢٤١ .
- (٣٠١) ق / ٢٢ .
- (٣٠٢) الزلزلة / ٤ - ٥ .
- (٣٠٣) الواقعة / ٦١ .
- (٣٠٤) راجع: بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ - ص ٩٢ .
- (٣٠٥) الهمزة / ٦ - ٧ .
- (٣٠٦) المعارج / ١٧ .
- (٣٠٧) الفرقان / ١٢ .
- (٣٠٨) التحريم / ٦ .
- (٣٠٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ - ص ٢٨٨ .
- (٣١٠) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٥٠٩ .
- (٣١١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٣٩٠ . نقلاً عن مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي - ص ٤٠١ .
- (٣١٢) السنن الكبرى - البيهقي - رقم (١٣٤٧٨) .
- (٣١٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٧ - ص ٣١١ .
- (٣١٤) المعارج / ٤ .
- (٣١٥) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٠٠ - ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
- (٣١٦) البحار - المجلسي - ج ٨ - ص ٢٩٥ - ح ٤٤ .
- (٣١٧) النساء / ٥٦ .
- (٣١٨) الأعراف / ٥٠ .
- (٣١٩) الغاشية / ٦ - ٧ .
- (٣٢٠) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٠٠ - ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
- (٣٢١) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ٢٠ - ص ٢٧٩ .
- (٣٢٢) سنن الترمذي - ج ٢ - ص ٣١٩ .
- (٣٢٣) موقع الشيخ حسين الخشن / com.khechin-al / مقالات / اجتماعية / ماروي عن

- الرسول (ص) في ذم المرأة (٢)
- (٣٢٤) تفسير الثعلبي - الثعلبي - ج ٦ - ص ٣٦.
- (٣٢٥) حجابك سر عفافك - مياسة شيع - ج ١ - ص ١٢٧-١٢٨.
- (٣٢٦) الزمر/ ٥٣.
- (٣٢٧) الأمالي للصدوق - ص ٤٧٢.
- (٣٢٨) الزخرف/ ٦٧.
- (٣٢٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٩٤٧.
- (٣٣٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٤٦.
- (٣٣١) البحار - المجلسي - ج ١٦ - ص ١٠.
- (٣٣٢) شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري - ج ٢ - ص ٢٣٣.
- (٣٣٣) شرح الأخبار - القاضي النعمان - ج ٣.
- (٣٣٤) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٦ - ص ٧٨.
- (٣٣٥) السيرة النبوية - ابن هشام - ج ١ - ص ٨٠.
- (٣٣٦) تاريخ ابن الجوزي - ج ٣ - ص ١٨.
- (٣٣٧) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٢٢ - ص ٢٠٠.
- (٣٣٨) روي أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وسَمَّها بوسام عظيم حيث وصفها بأنها سيدة نساء العالمين. ولكن فاطمة الزهراء عَلَيَّهَا السَّلَامُ هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.
- (٣٣٩) شجرة طوبى - محمد الحائري - ج ٢ - ص ٢٣٢-٢٣٥.
- (٣٤٠) بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٩ - ص ٢٥.
- (٣٤١) مروج الذهب - المسعودي - ج ٢ - ص ٢٨٢؛ عيون الأثر - ابن سيد الناس ج ١ - ص ١٥١.
- (٣٤٢) تاريخ الطبري - الطبري - ج ١١ - ص ٤٩٣.
- (٣٤٣) الطبقات الكبرى - ابن سعد - ج ٨ - ص ١٤.
- (٣٤٤) الحجون: بفتح الحاء جبل بمكة، وكان على قبرها قبة، وقد طالتها ايدي التخريب، فهدمت.
- (٣٤٥) نقلا عن شبكة الإمام علي ع / net.imamali.tableegh / المناسبات الدينية / شهر رمضان / وفاة السيدة خديجة (عَلَيَّهَا السَّلَامُ) - بتصرف.
- (٣٤٦) المقطعان الأخيران للشاعرة بنت الشمري.
- (٣٤٧) البقرة/ ١٨٦.
- (٣٤٨) غافر/ ٦٠.

- (٣٤٩) موقع السراج / net.alseraj / كلمات قصيرة / الدعاء / موانع الإجابة - ساحة الشيخ حبيب الكاظمي - بتصرف.
 (٣٥٠) فاطر / ٤٣ .
 (٣٥١) البقرة / ١٨٦ .
 (٣٥٢) غافر / ٦٠ .
 (٣٥٣) النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين - السيد حسين الطالب - ص ١٧٠ - بتصرف.
 (٣٥٤) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .
 (٣٥٥) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ٣٠ .
 (٣٥٦) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ١٠ - ص ٢٤٦ .
 (٣٥٧) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الدعاء / شروط استجابة الدعاء .
 (٣٥٨) الفرقان / ٧٧ .
 (٣٥٩) فاطر / ١٥ .
 (٣٦٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن - السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري - ج ٣ - ص ٤٧ .
 (٣٦١) النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين - السيد حسين الطالب - ص ١٧٠ .
 (٣٦٢) البقرة / ١٨٦ .
 (٣٦٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٧٣ .
 (٣٦٤) الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٤٧٣ .
 (٣٦٥) النمل / ٦٢ .
 (٣٦٦) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٧٣ .
 (٣٦٧) نور الثقلين - الحويزي - ج ١ - ص ١٧١ .
 (٣٦٨) البقرة / ١٨٦ .
 (٣٦٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٣٧٦ .
 (٣٧٠) مروى عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ . المصدر: شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٩ - ص ٢٥٢ .
 (٣٧١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٣٤٥ .
 (٣٧٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ٩٦ .
 (٣٧٣) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ١٠٢ .
 (٣٧٤) النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين - السيد حسين الطالب - ص ١٧١ -

١٧٢- بتصرف.

(٣٧٥) موقع الشيعة/ org.shia-al.ar /الإسلام/ الدعاء وشروط استجابته/ شروط استجابة الدعاء في رواياتنا-الكاتب: الشيخ علي دعموش.

(٣٧٦) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٥-ص ٣٠٢-ح ١٣.

(٣٧٧) معاني الأخبار-الشيخ الصدوق-ص ٢٧١.

(٣٧٨) خبث السريرة أعمّ من سوء النية، فهو يشمل فساد الباطن عمومًا، أي أن يكون الإنسان ذو قلب حاقد، حاسد، مليء بالبغضاء، أو ذا نفاق داخلي.

(٣٧٩) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٣٨٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٩٠-ص ٣٢١.

(٣٨١) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٨٠-ص ٢١.

(٣٨٢) معاني البرّ في هذا السياق عديدة منها: (الإحسان إلى الناس)، ويشمل برّ الوالدين والإحسان إليهما، والعطف على الأيتام والمساكين. و (الأعمال الصالحة) ويشمل أداء الطاعات والعبادات بصدق وإخلاص، و (التزام الأخلاق الفاضلة والصدق في القول والعمل).

(٣٨٣) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج ٣-ص ١٩٤٥.

(٣٨٤) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٢-ص ٢٢٥.

(٣٨٥) وسائل الشيعة-الميرزا النوري-ج ٥/١٤٥، ح ٥.

(٣٨٦) وسائل الشيعة-الميرزا النوري-ج ٧/٨٤، ح ٢.

(٣٨٧) مستدرك الوسائل-ميرزا حسين نوري الطبرسي-ج ١٥/١٨٥.

(٣٨٨) منار الهدى-مركز نون للتأليف والترجمة-ص ٣٤٤.

(٣٨٩) وسائل الشيعة-الميرزا النوري-ج ٧-ص ١٤٦.

(٣٩٠) غافر/ ٦٠.

(٣٩١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٩٠-ص ٣٦٨.

(٣٩٢) يس/ ٦٠-٦١.

(٣٩٣) غافر/ ٦٠.

(٣٩٤) في الأصل: والثاني، وما أثبتناه من البحار

(٣٩٥) فاطر/ ٦.

(٣٩٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فعاد يتموه بالقول.

(٣٩٧) أعلام الدين في صفات المؤمنين-الدليمي-ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٣٩٨) الإسراء/ ١١.

(٣٩٩) البقرة/ ٢١٦.

- (٤٠٠) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الدعاء / اسباب عدم استجابة بعض الادعية-بتصرف.
- (٤٠١) خرق السفينة يعني ثقبها وكسرها بشكل يحدث ضرراً في بدنها.
- (٤٠٢) الكهف/ ٧٩.
- (٤٠٣) الكهف/ ٨٢.
- (٤٠٤) الكهف/ ٨٠-٨١.
- (٤٠٥) الكهف/ ٨٠.
- (٤٠٦) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الخضر / الحكمة من قتل الخضر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للغلام.
- (٤٠٧) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٧٧.
- (٤٠٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٤ - ص ١٦.
- (٤٠٩) الفرقان/ ٦٧.
- (٤١٠) البقرة/ ٢٨٢.
- (٤١١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٣٥٧.
- (٤١٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ١٢٥.
- (٤١٣) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الدعاء / اسباب عدم استجابة بعض الادعية-بتصرف.
- (٤١٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٣٠٣.
- (٤١٥) فتر عن الدعاء يعني تراخي، ضعف، أو انقطع عن الدعاء بعد مداومة عليه.
- (٤١٦) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٨٨.
- (٤١٧) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٧ - ص ٢٨.
- (٤١٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٩٠.
- (٤١٩) الكهف/ ٨٢.
- (٤٢٠) مضمون فكرة التعويض مأخوذ من إحدى محاضرات الشيخ الوائلي رحمه الله.
- (٤٢١) الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٤٩٠.
- (٤٢٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٨٩.
- (٤٢٣) موقع السراج / net.alseraj / كلمات قصيرة / الدعاء / موانع الإجابة - ساحة الشيخ حبيب الكاظمي - بتصرف.
- (٤٢٤) يونس/ ٨٩.
- (٤٢٥) موقع السراج / net.alseraj / محاضرات الشيخ حبيب الكاظمي / الاستعداد للمصالحة مع

الله عز وجل.

- (٤٢٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ - ص ٣٦٥.
- (٤٢٧) فرائد المرجان - السيد محمد صالح الموسوي - ج ٢ - ص ١٠٢.
- (٤٢٨) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ١ - ص ٣٠١.
- (٤٢٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٣٦٨.
- (٤٣٠) فاطر / ٢٨.
- (٤٣١) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٩٢ - ص ٣٨ / ٦، نقلا عن الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٧٤.
- (٤٣٢) شبكة المعارف الإسلامية / org.almaaref / معارف ومفاهيم / إضاءات إسلامية /
إضاءات إسلامية / إضاءات إسلامية / التآخي بعد الهجرة المباركة، نقلا عن سيرة سيد المرسلين صلى
الله عليه وآله - الشيخ جعفر سبحاني.
- (٤٣٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن - السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري - ج ٣ - ص ٤٧.
- (٤٣٤) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٣٨ - ص ٣٣٨.
- (٤٣٥) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٣٠٧.
- (٤٣٦) للشاعر جابر الكاظمي.
- (٤٣٧) م. ن.
- (٤٣٨) الكافي - الكليني - ج ٣ - ص ١٦٤.
- (٤٣٩) النساء / ٣٤.
- (٤٤٠) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٣ - مسألة ٤١٣.
- (٤٤١) كشف اللثام - الفاضل الهندي - ج ٧ - ص ٥٥٨.
- (٤٤٢) مشاكل الأسرة بين الشرع والعرف - الشيخ حسان محمود عبد الله - ص ١٦٠ - ١٧١.
- (٤٤٣) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٩ - مسألة ٤٣٣.
- (٤٤٤) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٨ - مسألة ٤٢٩.
- (٤٤٥) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٩ - مسألة ٤٣٠.
- (٤٤٦) الاستبصار - الشيخ الطوسي - ج ٣ - ص ٤٣.
- (٤٤٧) مشاكل الأسرة بين الشرع والعرف - الشيخ حسان محمود عبد الله - ص ١٦٠ - ١٧١ - بتصرف.
- (٤٤٨) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد الله اليوسف حفظه الله / org.alyousif / مقالات
ودراسات / نفقة الزوجة. قراءة في الأدلة والمفاهيم والآراء.
- (٤٤٩) والمقصود بها ملابس الزوجة التي تستر وتتجمل بها.
- (٤٥٠) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٥ - مسألة ٤٢٠.
- (٤٥١) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص ١٢٦ - مسألة ٤٢٠.

(٤٥٢) موقع السراج/ net.alseraj/ فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام الزواج الدائم/ أحكام النفقة.

(٤٥٣) الزواج الموفق- الشيخ محمد جواد الطبسي- ص ١١١-١١٦.

(٤٥٤) منهاج الصالحين- السيد السيستاني- ج ٣- ص ١٢٨- مسألة ٤٢٨.

(٤٥٥) الكافي- الكليني- ج ٣- ص ١٦٤.

(٤٥٦) الكافي- الكليني- ج ٣- ص ١٦٤.

(٤٥٧) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٨٣.

(٤٥٨) دعائم الإسلام- القاضي النعمان- ج ٢- ص ١٤/٧.

(٤٥٩) أمالي الصدوق- ص ٢٣٨.

(٤٦٠) جامع أحاديث الشيعة- السيد البروجردي- ج ٢١- ص ٣٠٣.

(٤٦١) كنز العمال- المتقي الهندي- ج ٦- ص ٤٢٧/١٦٣٩٠.

(٤٦٢) الكافي- الشيخ الكليني- ج ٤- ص ١٢.

(٤٦٣) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ٢٠- ص ١٧١.

(٤٦٤) الإنسان/ ٨.

(٤٦٥) الكافي- الكليني- ج ٣- ص ١٦٥.

(٤٦٦) من لا يحضره الفقيه- الشيخ الصدوق- ج ٢- ص ٣٥٢.

(٤٦٧) المائة/ ٢٧.

(٤٦٨) موقع السراج/ net.alseraj/ فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام الزواج الدائم/ أحكام النفقة.

(٤٦٩) كلمة «قرموا» تعني: اشتهاوا بشدة وتاقت أنفسهم إليه.

(٤٧٠) الكافي- الشيخ الكليني- ج ٤- ص ١٢.

(٤٧١) الكافي- الكليني- ج ١- ص ١٦٤.

(٤٧٢) الزواج الموفق- الشيخ محمد جواد الطبسي- ص ١١١- ١١٦.

(٤٧٣) جامع السعادات- محمد مهدي النراقي- ج ٢- ص ١٠٩.

(٤٧٤) جامع السعادات- محمد مهدي النراقي- ج ٢- ص ١٠٨.

(٤٧٥) القواعد الفقهية- مكارم الشيرازي- ج ٢ ص ١٧- ٤٣.

(٤٧٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل- ج ٦- ص ٦٠٣- حديث ٢٠٩٧١.

(٤٧٧) الشيخ حسن الصفار/ me.saffar/ خطب الجمعة النصيَّة/ استضعاف المرأة وانتهاك سلطتها المالية.

(٤٧٨) معنى هذا الكلام المأخوذ بدون الرضا الواقعي للمالك غضب وإن أظهر الرضا استحياءً لأن

الشيء الذي يحلّل للشخص التصرف في مال غيره إحراز طيب النفس لصاحب المال. المصدر: موقع المجيب / com.almojib / مؤسسة المصطفى للإرشاد/ وفق فتاوى السيد السيستاني دام ظلّه - متفرقات الغصب.

(٤٧٩) الفجر/ ٢٠.

(٤٨٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٨١.

(٤٨١) النساء/ ٣٢.

(٤٨٢) موقع المجيب / com.almojib / مؤسسة المصطفى للإرشاد - حسب رأي السيد

السيستاني / (استفتاءات) التصرف في اموال الزوجة أموال الزوجة راتب الموظف. ملاحظة: الحكم نفسه حتى لو لم يكن للزوج راتب.

(٤٨٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١٢١٢.

(٤٨٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ٩٩٩.

(٤٨٥) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٧ - ص ٥٩.

(٤٨٦) راجع: مكتب سماحة السيد السيستاني / org.sistani / الاستفتاءات / المرأة - العمل خارج البيت.

(٤٨٧) آل عمران / ١٩٥.

(٤٨٨) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٢ - ص ١٠٨.

(٤٨٩) دليل الإرشاد الأسري - نخبة من العلماء - ج ٢ - ص ٦٠ - ٧٨ - بتصريف.

(٤٩٠) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٣٣ - ص ٤٩٠.

(٤٩١) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٧ - ص ٢٣٦.

(٤٩٢) الفرقان / ٦٧.

(٤٩٣) يُعرّف القوام بأنه المنهج الوسطي في الإنفاق، الذي يتجنب الإفراط (الإسراف) والتبذير، كما

يتجنب التفریط (الإقتار والبخل)، مما يجعله السبيل الأمثل لتحقيق الاستقرار المالي والاجتماعي.

(٤٩٤) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٤ ص ٥٥.

(٤٩٥) كنز العمال - المتقي الهندي - ج ١٦ / ٢٨٤ / ٤٤٤٨٩ نقلا عن الطبراني عن ابن عمرو.

(٤٩٦) الكافي - الكليني - ج ٣، ص ١٦٤.

(٤٩٧) مشاكل الاسرة بين الشرع والعرف - الشيخ حسان محمود عبد الله - ص ١٦٠ - ١٧١.

(٤٩٨) موقع السراج / net.alseraj / فتاوى سماحة السيد السيستاني / أحكام الزواج الدائم /

أحكام النفقة.

(٤٩٩) صحيح البخاري - حديث رقم ٥٣٦٤.

(٥٠٠) دليل الإرشاد الأسري - نخبة من العلماء - ج ١ - ص ١١٩ - ١٢٩ - بتصريف.

- (٥٠١) البحار-المجلسي-ج ٧٣-ص ٣٠٨ / ٣٧.
- (٥٠٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣.
- (٥٠٣) تزكية النفس-السيد الحائري-ص ٣٧.
- (٥٠٤) تاريخ دمشق-ابن عساكر-ج ١٣-ص ٢٥٨.
- (٥٠٥) الإنسان / ٨-٩.
- (٥٠٦) الحشر / ٩.
- (٥٠٧) تأريخ الخلفاء-السيوطي-ص ٧٣. ودائرة المعارف-البستاني-ج ٧-ص ٣٨.
- (٥٠٨) سرأه: قطع سرته، ألباه بريقه، مأخوذ من اللباء، وهو أول اللبن عند الولادة، والمراد أنه «ص» أطعمه بريقه كما يطعم الصبي اللباء.
- (٥٠٩) دائرة المعارف-البستاني-ج ٧-ص ٣٨.
- (٥١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل-ج ٦-ص ٣٩١.
- (٥١١) تاريخ الخميس-حسين بكري-ج ١ ص ٤٧٠.
- (٥١٢) شبكة رافد/ net.rafed.research/ الإمام الحسن بن علي المجتبي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ/ ولادة الامام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ-بقلم الشيخ باقر شريف القرشي.
- (٥١٣) لخدم أهل البيت ع: زاهر المعموري الحلي.
- (٥١٤) الشاعر سعيد الفتلاوي الطويرجاوي.
- (٥١٥) آل عمران/ ١٢٣.
- (٥١٦) المائة/ ٣٥.
- (٥١٧) لقمان/ ١٥.
- (٥١٨) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٦٧-ص ٦٥.
- (٥١٩) بحار الأنوار-المجلسي-ج ١٠٠-ص ١٣.
- (٥٢٠) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٥-ص ٢٣-حديث رقم ١٩٩٣٥.
- (٥٢١) موقع الشيخ حسن الصفار/ org.saffar/ / خطب الجمعة النصيبة/ شمس الدين ونهجه في الجهاد-بتصرف.
- (٥٢٢) العولمة: مصطلح حديث نشأ مع التطور السريع في تكنولوجيا الاتصالات، وظهور الأسواق الحرة، والشركات العالمية التي تعمل في مختلف الدول. وهي تقوم على دعامتين أساسيتين:
١. تطور تكنولوجيا الاتصالات: ويعني ذلك أن وسائل الاتصال الحديثة، مثل الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، والهواتف الذكية، والبث الفضائي، جعلت التواصل بين الدول أسرع وأسهل من أي وقت مضى.
٢. اقتصاد السوق الحرة: ويقصد به أن العالم أصبح سوقاً كبيراً مفتوحاً، حيث تنتقل البضائع،

والخدمات، والاستثمارات بين الدول بحرية، دون قيود كبيرة، مما أدى إلى سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على الاقتصادات المحلية للدول الضعيفة. المصدر: مركز الأبحاث العقائدية / aqaed.net / الأسئلة والأجوبة العقائدية / العولمة والحداثة / تعريف العولمة-بتصرف.

- (٥٢٣) الرعد / ١١.
- (٥٢٤) العنكبوت / ٦٩.
- (٥٢٥) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١ - ص ٢٠٢.
- (٥٢٦) طه / ١٢٤.
- (٥٢٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني / org.sistani / الاستفتاءات / البيع والشراء.
- (٥٢٨) جواهر الكلام - الشيخ الجواهري - ج ٢١ - ص ٣.
- (٥٢٩) البقرة / ٢١٦.
- (٥٣٠) الصف / ١٠ - ١١.
- (٥٣١) البقرة / ١٩٠.
- (٥٣٢) آل عمران / ٢٠٠.
- (٥٣٣) آل عمران / ١٦٩.
- (٥٣٤) أُهريق تعني: أريق وسُفك.
- (٥٣٥) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٩٧ - ص ١١.
- (٥٣٦) نور الثقلين - الحويزي - ج ١ - ص ٤٠٨.
- (٥٣٧) نهج البلاغة - الخطبة ٢٧.
- (٥٣٨) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١٣٣١.
- (٥٣٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤٤٤.
- (٥٤٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤٤٤.
- (٥٤١) مستدرک الوسائل - الميرزا النوري - ج ١١ - ح ١٢٣٢٤ - ص ٢١.
- (٥٤٢) التوبة / ١١١.
- (٥٤٣) الصف / ١١ - ١٢.
- (٥٤٤) العنكبوت / ٦٩.
- (٥٤٥) الصف / ٤.
- (٥٤٦) آل عمران / ١٢٣.
- (٥٤٧) راجع: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ - ص ٦٧٦ - ٦٧٧ - بتصرف.
- (٥٤٨) الانفال / ٦٠.

- (٥٤٩) محمد/٧.
- (٥٥٠) الأنفال/٩-١٢.
- (٥٥١) الأنفال/٩.
- (٥٥٢) أي امتنع الصحابة عن جلب الماء أو أحجموا عنه.
- (٥٥٣) القلب: البئر.
- (٥٥٤) أصلها «أهرقته»، وهي تعني سكبته أو أفرغته.
- (٥٥٥) مناقب آل أبي طالب-ابن شهر آشوب-ج ٢-ص ٨٠.
- (٥٥٦) مدينة المعاجز-هاشم البحراني-ج ١-ص ٩٤.
- (٥٥٧) روي عن سهل بن حنيف أنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر أن أحدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه. المصدر: المعجم الكبير، للطبراني: ٦/ ٧٤.
- (٥٥٨) آل عمران/١٢٥.
- (٥٥٩) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-ج ٢-ص ٨٢٨.
- (٥٦٠) الأنفال/١٠.
- (٥٦١) الأنفال/١١.
- (٥٦٢) الأنفال/١١.
- (٥٦٣) الأنفال/١١.
- (٥٦٤) تفسير مجمع البيان، ج ٣، ص ٨٠٨-بتصرف.
- (٥٦٥) الأنفال/١١.
- (٥٦٦) الأنفال/١١.
- (٥٦٧) تفسير الميزان-السيد الطباطبائي-ج ٩-ص ٢٢.
- (٥٦٨) تفسير مجمع البيان-الشيخ الطبرسي-ج ٤-ص ٤٣٨.
- (٥٦٩) الأنفال/١٢.
- (٥٧٠) مركز الرصد العقائدي / net.alrasd / الأسئلة والأجوبة / تراث إسلامي / أمير المؤمنين (ع) في معركة بدر-بتصرف.
- (٥٧١) الإرشاد-الشيخ المفيد-ج ١-ص ٧٨.
- (٥٧٢) الغيبة-الشيخ النعماني-ص ٣٢٠.
- (٥٧٣) الفتوح-ابن اعثم الكوفي-ج ٢-ص ٤٣٥، نهج البلاغة-ابن أبي الحديد-ج ٣-ص ١٣.
- (٥٧٤) ديوان الحميري-ص ٢١٥.
- (٥٧٥) آل عمران/١٤٣.
- (٥٧٦) مناقب آل أبي طالب-ابن شهر آشوب-ج ١-ص ٣٤٣.

- (٥٧٧) الفضائل - شاذان بن جبرئيل القمي - ص ١٧٥ .
- (٥٧٨) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ١ - ص ٣٥٦ .
- (٥٧٩) الفصول المختارة - الشريف المرتضى - ص ٢٩٥ .
- (٥٨٠) قال في النهاية: الجحاحجة: جمع جحجاج وهو السيد الكريم والهاء فيه لتأكيد الجمع .
- (٥٨١) الاختصاص - الشيخ المفيد - ص ١٦٦ .
- (٥٨٢) الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ١ - ص ٦٩ - ٧٣ .
- (٥٨٣) فضائل الصحابة - ابن حنبل - ج ٢ ص ، فضائل الخلفاء - أبو نعيم الاصفهاني - ٤٩ .
- (٥٨٤) شرح مذاهب أهل السنة - الحافظ ابن شاهين - ص ١٣٢ .
- (٥٨٥) فضائل الخلفاء - أبو نعيم الاصفهاني - ٤٩ .
- (٥٨٦) أمالي الطوسي - ص ٥٤٥ .
- (٥٨٧) أمالي الصدوق - ص ٦٥٢ .
- (٥٨٨) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٨٠ .
- (٥٨٩) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٧٩ .
- (٥٩٠) الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي - ج ٢ - ص ٨١٢ .
- (٥٩١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٣١٥ .
- (٥٩٢) مناقب ابن المغازلي - ص ١٤٠ .
- (٥٩٣) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٢٠٠ .
- (٥٩٤) الخصال - الشيخ الصدوق - ص ٥٧٦ .
- (٥٩٥) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - ص ٢٥٣ .
- (٥٩٦) الطبقات الكبرى - ابن سعد - ج ٢ - ص ٢٦ ، السنن الكبرى - البيهقي - ج ٦ - ص ١٥٧ .
- (٥٩٧) مجمع مصائب أهل البيت ع - الشيخ الهنداوي - ج ٤ - ص ١٠٩ .
- (٥٩٨) م.ن - ص ١١٠ .
- (٥٩٩) الأحزاب / ٥٧ .
- (٦٠٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٣ - ص ٣٤٤ - بتصرف .
- (٦٠١) الجن / ٢٦ .
- (٦٠٢) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٣٩٠ .
- (٦٠٣) التوبة / ١٠٥ .
- (٦٠٤) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢١٩ .
- (٦٠٥) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢١٩ .
- (٦٠٦) الحديث مروى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ . المصدر: الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٤٣٦ ، كتاب

- الإيمان والكفر، باب التوبة / ح ١٣ .
- (٦٠٧) الزخرف / ٥٥ .
- (٦٠٨) المجادلة / ١٤ .
- (٦٠٩) الصف / ٣ .
- (٦١٠) البينة / ٨ .
- (٦١١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٢ - ص ١٢٢ .
- (٦١٢) آل عمران / ٩٧ .
- (٦١٣) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٣ .
- (٦١٤) الأحزاب / ٥٧ .
- (٦١٥) الزخرف / ٥٥ .
- (٦١٦) النساء / ٨٠ .
- (٦١٧) الفتح / ١٠ .
- (٦١٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٤٤ - ١٤٥ .
- (٦١٩) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الحديث / معنى فرح الله تعالى في حديث: (إن الله يفرح بتوبة عبده...) - بتصرف .
- (٦٢٠) قال ابن منظور: «واللعن: الإبعاد والطرْد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله»، انظر: لسان العرب - ابن منظور - ج ١٢ - ص ٢٩٢ .
- (٦٢١) النساء / ٤٦ .
- (٦٢٢) من كتاب «العقل التكفيري قراءة في المفهوم الاقصائي». نقلا عن موقع الشيخ حسين الخشن / com.khechin-al / مقالات / فكر ديني / المسلمون وثقافة اللعن - بتصرف .
- (٦٢٣) التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع - لشيخ حسين الراضي العبد الله - ص ٥٠٢ - ٥٠٧ - بتصرف .
- (٦٢٤) الأحزاب / ٥٧ .
- (٦٢٥) طه / ١٢٤ .
- (٦٢٦) طه / ٧٤ .
- (٦٢٧) المطففين / ١٥ .
- (٦٢٨) موسوعة الاسئلة العقائدية - مركز الابحاث العقائدية - ج ٥ - ص ١٩٥ - بتصرف .
- (٦٢٩) الأحزاب / ٥٧ .
- (٦٣٠) هود / ١٨ .
- (٦٣١) الأحزاب / ٦٤ .

- (٦٣٢) المائدة/١٣.
- (٦٣٣) النساء/٩٣.
- (٦٣٤) النساء/٥٢.
- (٦٣٥) البقرة/١٦١.
- (٦٣٦) مجمع الفائدة-الأردبيلي-ج١٢-ص٤٩.
- (٦٣٧) الأربعين-القمي الشيرازي-٥٨٣.
- (٦٣٨) يعني: أن من يرتكب جرماً أو فساداً في المدينة المنورة، أو يحمي الفاعل ويتستر عليه، يستحق لعنة الله، تأكيداً على حرمتها ووجوب صون أمنها.
- (٦٣٩) الفصول المهمة في أصول الأئمة-الشيخ محمد العاملي-ج١-ص٥٢٢.
- (٦٤٠) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٩، ٣١٧ (٨١٦، ٢٩١٣، ٢٩١٥).
- (٦٤١) وقعة صفين-نصر بن مزاحم-ص٢٢٠.
- (٦٤٢) البقرة/١٦١.
- (٦٤٣) المائدة/٧٨.
- (٦٤٤) البقرة/١٥٩.
- (٦٤٥) الأحزاب/٢١.
- (٦٤٦) الملل والنحل-الشهرستاني-ج١-ص٢٣.
- (٦٤٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٦٩-ص٢٠٤.
- (٦٤٨) أمالي الصدوق-المجلس ٢٧-الرقم ٥.
- (٦٤٩) موسوعة الاسئلة العقائدية-مركز الابحاث العقائدية-ج٥-ص١٩٥-بتصرف.
- (٦٥٠) البقرة/١٦١.
- (٦٥١) الأعراف/٤٤.
- (٦٥٢) نحو أسرة سعيدة-الشيخ حبيب الكاظمي-ص٩٧-٩٨.
- (٦٥٣) هود/١٨.
- (٦٥٤) النور/٢٣.
- (٦٥٥) تفسير الكاشف-محمد جواد مغنية-ج١-ص٢٤٩-بتصرف.
- (٦٥٦) موقع المجيب/ com.almojib / مؤسسة المصطفى للإرشاد-حسب رأي سماحة السيد السيستاني/ متفرقات اللعن.
- (٦٥٧) الاعتقادات في دين الإمامية-الصدوق-ص١٠٧١٠٨.
- (٦٥٨) الأنعام/١٠٨.
- (٦٥٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٢٧-ص٢٣٩.

- (٦٦٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩ - ص ٣١١.
- (٦٦١) الحجرات / ١٣.
- (٦٦٢) م.ن.
- (٦٦٣) موقع الشيخ محمد عباس الدهيني / com.dohaini / سلسلة (سؤال وجواب) / حكم المجاهرة بلعن أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - الكاتب: الشيخ محمد دهيني.
- (٦٦٤) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / اللعن / اللعن لا ينافي التقريب.
- (٦٦٥) الأحزاب / ٦٤.
- (٦٦٦) موقع السراج / net.alseraj / فتاوى سماحة السيد السيستاني / أحكام المحرمات القولية / أحكام السب.
- (٦٦٧) مركز آل البيت العالمي / net.holynajaf / مرجعية السيد السيستاني / أجوبة استفتاءات / الغيبة / سيد علي الحسيني السيستاني.
- (٦٦٨) صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي - ج ١ - ص ٤٤٢.
- (٦٦٩) كأن يكون من الكافرين أو الظالمين أو الكاذبين أو الفاسدين التي تم ذكرها في الفئات التي جاز لعنها.
- (٦٧٠) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ١ - ص ٢٨٠ - ٢٨١.
- (٦٧١) كنز العمال - المتقي الهندي - (٨١٨٢ - ٨١٨٣).
- (٦٧٢) كنز العمال - المتقي الهندي - ج ٣ - ص ٦١٥.
- (٦٧٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ١٨١، انظر تمام الكلام.
- (٦٧٤) الفرق بين «لعانين» و«لاعينين»: «لعانين»: تعني الأشخاص الذين يكثرون من اللعن حتى يصبح طبعًا متجذرًا في شخصياتهم، فيلعنون من يستحق ومن لا يستحق بلا ضوابط.
- «لاعينين»: تعني الأشخاص الذين يلعنون أحيانًا أو في بعض المواقف المحددة، لكن ليس كعادة مستمرة.
- (٦٧٥) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / اللعن / النهي في الروايات عن اللعن - بتصرف.
- (٦٧٦) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / اللعن / اللعن في لسان الروايات أعم من الحرمة والكراهة - بتصرف.
- (٦٧٧) الوقيعة في الناس: الغيبة. والظاهر أن المراد بالمباهة الزامهم بالحجج القاطعة وجعلهم متحيرين لا يجيرون جوابا كما قال تعالى: «فبهت الذي كفر» ويحتمل أن يكون من البهتان للمصلحة فان كثيرا من المساويء يعدها الناس محاسن خصوصا العقائد الباطلة والأول أظهر (آت).

- (٦٧٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٣٧٥.
- (٦٧٩) صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ١٣٩٣.
- (٦٨٠) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ١ - ص ٢٨٠-٢٨١.
- (٦٨١) كنز العمال - المتقي الهندي - ج ٣ ص ٦٠١.
- (٦٨٢) م.ن - ج ٣ - ص ٦١٤.
- (٦٨٣) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ١ - ص ٢٨١.
- (٦٨٤) من كتاب «العقل التكفيرى قراءة في المفهوم الاقصائي». نقلا عن موقع الشيخ حسين الخشن / com.khechin-al / مقالات / فكر ديني / المسلمون وثقافة اللعن - بتصرف.
- (٦٨٥) الزخرف / ٢٦.
- (٦٨٦) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / اللعن / اللعن غير واجب بل جائز.
- (٦٨٧) المائة / ٥٥.
- (٦٨٨) قال رسول الله صلى الله عليه واله: «لعن الله الخمر وغارسها وعاصرها وشاربها وساقيتها وبياعها ومشتريها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه». المصدر: وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٧ - ص ٢٢٤.
- (٦٨٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٣٠٣.
- (٦٩٠) البقرة / ٨٣.
- (٦٩١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ - ص ١٨١.
- (٦٩٢) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ١ - ص ٢٧٩.
- (٦٩٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩ - ص ٢٠٨.
- (٦٩٤) التعزير: هو العقوبة التي يفرضها الحاكم على المذنب لتأديبه بما يراه مناسباً كالضرب مما دون الحدّ الشرعي المقرر.
- (٦٩٥) الفتاوى الميسرة - السيد السيستاني - ص ٤١٩ - بتصرف.
- (٦٩٦) مسند أحمد - ج ٦ - ص ٤٤٨.
- (٦٩٧) الأحزاب / ٥٧.
- (٦٩٨) صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - ص ٩.
- (٦٩٩) المجادلة / ٢٢.
- (٧٠٠) صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - ص ٩.
- (٧٠١) كتاب وتزودوا في شهر الله - المركز الإسلامي للتبليغ - ص ٨٢-٨٥ - بتصرف.
- (٧٠٢) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٢٠١.

- (٧٠٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج٢٧-ص٥٨.
- (٧٠٤) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / اللعن / اللعن الوارد في زيارة عاشوراء.
- (٧٠٥) يقصد به قسوة قلوبهم، وجمودهم عن إدراك الحق، وعدم استجابتهم للهداية رغم وضوحها.
- (٧٠٦) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١١١-١١٥-بتصرف.
- (٧٠٧) الأنعام/١٥٣.
- (٧٠٨) المعارج/٤.
- (٧٠٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج٨-ص١٤٣.
- (٧١٠) راجع كتاب زاد المبلِّغات-مياسة شيع-ج٦-بعنوان موقف الشهادة يوم القيامة.
- (٧١١) راجع كتاب زاد المبلِّغات-مياسة شيع-ج٧-بعنوان شفاعة الأقطار المحمدية.
- (٧١٢) عقائد الإمامية الإثني عشرية-السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي-ج٢-ص٢٧١-٢٧٣.
- (٧١٣) الأنعام/١٥٣.
- (٧١٤) الفاتحة/٦.
- (٧١٥) لسان العرب-ابن منظور-ج٢-ص٤٣٠، مختار الصحاح-محمد عبد القادر-ص١٩١.
- (٧١٦) معجم اللغة العربية المعاصرة-أحمد مختار عمر-ص٢٩٩٧.
- (٧١٧) تسنيم في تفسير القرآن-الشيخ عبد الله الجوادي الآملي-ج١-ص٥٧٠-٥٧١-بتصرف.
- (٧١٨) تفسير فرات الكوفي-فرات بن إبراهيم-ص٥٢.
- (٧١٩) مختار الصحاح-محمد عبد القادر-ص١٢٠.
- (٧٢٠) بداية المعرفة-حسن مكّي العاملي-ص٢٢.
- (٧٢١) آل عمران/١٩.
- (٧٢٢) آل عمران/٨٥.
- (٧٢٣) تفسير فرات الكوفي-فرات بن إبراهيم-ص٧٥.نقلا عن معهد تراث الأنبياء / alkafeel- com.turathalanbiaa.edu.blog / مدونة الكفيل / «اهدنا الصراط المستقيم»-بقلم الحوراء-بتصرف.
- (٧٢٤) رويت هذه الزيارة في: من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٦١٣، وغيرها من المصادر.
- (٧٢٥) الفاتحة/٦.
- (٧٢٦) تفسير نور الثقلين-الحويزي-ج١-ص٢١-ج٨٨.
- (٧٢٧) م-ج١-ص٢١-ج٨٩.

- (٧٢٨) م.ن-ج ١-ص ٢١-ح ٩٠.
- (٧٢٩) الفاتحة/٦.
- (٧٣٠) تسنيم في تفسير القرآن-الشيخ عبد الله الجوادى الآملى-ج ١-ص ٥٧٠-٥٧١.
- (٧٣١) تسنيم في تفسير القرآن-الشيخ عبد الله الجوادى الآملى-ج ١-ص ٥٧٠-٥٧١.
- (٧٣٢) في نسخة: (هذا الصراط) وهو مصحف.
- (٧٣٣) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢٧-ص ١١١.
- (٧٣٤) مريم/٧١.
- (٧٣٥) شرح نهج البلاغة-ابن أبي الحديد-ج ٦-ص ٢٦٤.
- (٧٣٦) بحار الانوار-محمد باقر المجلسي-ج ٨-ص ٦٦.
- (٧٣٧) المعاد يوم القيامة-علي موسى الكعبي-ص ١٣٣-بتصرف.
- (٧٣٨) معالم الزلفى-السيد هاشم البحراني-ص ٢٣٤.
- (٧٣٩) الأنبياء/٤٧.
- (٧٤٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢٨-ص ٤٧.
- (٧٤١) العنكبوت/٦٩.
- (٧٤٢) الكهف/٤٩.
- (٧٤٣) البقرة/١٨٥.
- (٧٤٤) فصلت/٣٠.
- (٧٤٥) مريم/٧١.
- (٧٤٦) مريم/٧٢.
- (٧٤٧) معرفة المعاد-الطهراني-ج ٨-ص ١١.
- (٧٤٨) راجع: نفحات القران-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج ٦-ص ١٢٩-بتصرف.
- (٧٤٩) الأمالى-الصدوق-ص ٢٤٢، تفسير القمي ١-ص ٢٩.
- (٧٥٠) المعاد يوم القيامة-علي موسى الكعبي-ص ١٣٣-بتصرف.
- (٧٥١) مضمونه مروى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. المصدر: ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج ٢-ص ٨٩٦.
- (٧٥٢) «رسالة الإنسان بعد الدنيا»، (المعاد) - العلامة الطباطبائي، النسخة الخطية-ص ٣٢.
- (٧٥٣) «رسالة الإنسان بعد الدنيا»، (المعاد) -العلامة الطباطبائي، النسخة الخطية-ص ٣٢.
- (٧٥٤) الأنعام/١٥٣.
- (٧٥٥) م.ن.
- (٧٥٦) معرفة المعاد-الطهراني-ج ٨-ص ٥٢. نقلا عن «غاية المرام» ص ٤٣٤، الباب ٢٠٩.

- (٧٥٧) الأنعام/ ١٥٣ .
- (٧٥٨) م.ن.
- (٧٥٩) غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ٤ - ص ٣٢٤ .
- (٧٦٠) الأنعام/ ١٥٣ .
- (٧٦١) غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ٤ - ص ٣٢٤ .
- (٧٦٢) غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ٣ - ص ٤٧ .
- (٧٦٣) الرعد/ ٧ .
- (٧٦٤) عيون الحكم والمواعظ - الواسطي - ص ١٦٥ .
- (٧٦٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٨ - ص ٢٩ .
- (٧٦٦) الرياض النضرة - محب الدين الطبري - ج ٢ - ص ١٠٦ .
- (٧٦٧) الكهف/ ٤٩ .
- (٧٦٨) فضائل الصحابة - أحمد بن حنبل - ج ٢ - ص ٦٤٨ .
- (٧٦٩) العقائد الإسلامية - مركز المصطفى (ص) - ج ٤ - ص ١٨٨ .
- (٧٧٠) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٧٧٣/٢) برقم (١٠٦٨) .
- (٧٧١) كنز العمال - المتقي الهندي - ٤٦٤ .
- (٧٧٢) صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ١٨٥١ .
- (٧٧٣) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) / معنى (قسيم الجنة والنار) - بتصرف .
- (٧٧٤) الرياض النضرة - الطبري - ج ٣ - ص ١٣٠ .
- (٧٧٥) مركز الأبحاث العقائدية/ net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) / علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قسيم الجنة والنار .
- (٧٧٦) البلد/ ١١-١٢ .
- (٧٧٧) الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٢٩٣ .
- (٧٧٨) البلد/ ١١ .
- (٧٧٩) عقبة كؤود أي صعبة شاقة المصعد .
- (٧٨٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ - ص ٦٧ .
- (٧٨١) الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٢٩٢ .
- (٧٨٢) البلد/ ١١ - ١٤ .
- (٧٨٣) الفجر/ ١٤ .
- (٧٨٤) ورد هذا الحديث القدسي في الحديث (١٨) من باب (الاشكال والقرائن) من كتاب

- المحاسن-البرقي-ص ٧.
- (٧٨٥) البحار-المجلسي-ج ٧-ص ٣٣١-ح ١٢.
- (٧٨٦) الاعتقادات في دين الإمامية-الشيخ الصدوق-ص ٧١-٧٢-بتصرف.
- (٧٨٧) أي على جهنم.
- (٧٨٨) أي هي تحت رقابته تعالى.
- (٧٨٩) الفجر/ ١٤.
- (٧٩٠) وعدت الأرض رجا خيراها. وأيضا وعد فلانا بالأمر: قال له انه يجريه له أو ينيله إياه.
- (٧٩١) تفسير القمي-علي بن إبراهيم القمي-ج ٢-ص ٤٢١.
- (٧٩٢) الزهد-الحسين بن سعيد الأهوازي-ص ٤٠-٤١.
- (٧٩٣) الرواية مروية عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله. المصدر: بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٧١-ص ١١٧-١١٨.
- (٧٩٤) في كتاب منازل الآخرة مكتوب (تولى مسبحة (مسجد))
- (٧٩٥) الكنى والألقاب-القمي-ج ٢-٩٥-٩٦. نقلاً عن كتاب: منازل الآخرة والمطالب الفاخرة-الشيخ عباس القمي-ص ٢٣٨-٢٣٩.
- (٧٩٦) تصحيح الاعتقاد-المفيد-ص ١١٢-١١٣. نقلاً عن: المعاد يوم القيامة-الكعبي، علي موسى -ج ١-ص ١٣٥-١٣٦.
- (٧٩٧) البلد/ ١١-١٧.
- (٧٩٨) الاعتقادات في دين الإمامية-الشيخ الصدوق-ص ٧١-٧٢-بتصرف.
- (٧٩٩) منازل الآخرة-عباس القمي-ص ٢٤٠.
- (٨٠٠) إقبال الأعمال-السيد ابن طاووس-ص ٦٢٩.
- (٨٠١) ثواب الأعمال-الصدوق-ص ٧٩.
- (٨٠٢) الاقبال-السيد ابن طاووس-ص ٧٢٤.
- (٨٠٣) شبكة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ / tableegh.imamali.net / المزيد / النشر الإلكتروني / وقائع الأيام / شهر رمضان.
- (٨٠٤) الطبقات الكبرى-ابن سعد-ج ٢-ص ١٠٢.
- (٨٠٥) إن من ضمن بنود صلح الحديبية أن لكل طرف الحق في الانضمام إلى حلفٍ، مع التزام جميع الأطراف بعدم الاعتداء على أحلاف الآخرين، لكن قريشاً خالفت الاتفاق بمساندة بني بكر في هجومهم على خزاعة، وهذا يعني أنهم نقضوا الصلح.
- (٨٠٦) م، ن.
- (٨٠٧) عقيصتها تعني: ضفيرة شعرها.

- (٨٠٨) الإرشاد-المفيد-ج ١-ص ٥٧.
- (٨٠٩) إعلام الوري-الطبرسي-ج ١-ص ٣٨٥، وانظر الكامل في التاريخ-ابن الأثير-ج ٢-ص ١٢٢.
- (٨١٠) الإمام علي سيرة والتاريخ-إسلام السلامي-ص ٩١-٩٣.
- (٨١١) الإمام علي سيرة والتاريخ-إسلام السلامي-ص ٩٥-بتصرف.
- (٨١٢) الإسراء/ ٨١.
- (٨١٣) السيرة الاجتماعية للإمام علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)-السيد زهير الاعرجي-٤٢٠-٤٢١.
- (٨١٤) لأن السيف كان مسمما أثناء الضربة.
- (٨١٥) وفاة أمير المؤمنين عَلِيِّهِ السَّلَامُ-الشيخ علي الخطي. نقلا عن كتاب مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ١٢١.
- (٨١٦) على عَلِيِّهِ السَّلَامُ من المهد إلى اللحد للسيد كاظم القزويني. نقلا عن مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ١٢٢.
- (٨١٧) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ١٢٤.
- (٨١٨) النياق الجائعة.
- (٨١٩) جمع غييب: الظلمة.
- (٨٢٠) رياض المدح والثناء ص ٢١٧.
- (٨٢١) مجمع مصائب أهل البيت (ع)-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ١٢٥.
- (٨٢٢) القدر/ ١-٥.
- (٨٢٣) ليلة القدر معراج الصالحين-محمد تقي مدرسي-ص ٣.
- (٨٢٤) القدر/ ١.
- (٨٢٥) راجع: الميزان في تفسير القرآن-السيد الطباطبائي-ج ٢٠-ص ٣٣٠.
- (٨٢٦) الشعراء/ ١٩٣-١٩٤.
- (٨٢٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج ١٦-ص ١١٩-بتصرف.
- (٨٢٨) الإسراء/ ١٩٦.
- (٨٢٩) الحجر/ ٩.
- (٨٣٠) القدر/ ١.
- (٨٣١) الدخان/ ٣-٤.
- (٨٣٢) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٩٤-ص ٢٢.
- (٨٣٣) الحج/ ٧٤.

- (٨٣٤) الطلاق / ٧.
- (٨٣٥) تفسير الأمثل - ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - ص ٤٣٨ - بتصرف.
- (٨٣٦) البقرة / ١٨٥.
- (٨٣٧) حسب رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله - تفسير نور الثقلين - ج ٥ - ص ٦٢٩.
- (٨٣٨) تفسير نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ - ص ٦٢٥.
- (٨٣٩) مرآة العقول - المجلسي - ج ١٦ - ص ٣٨١.
- (٨٤٠) تفسير نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ - ص ٦٢٨.
- (٨٤١) نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ - ص ٦٢٥.
- (٨٤٢) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ١٦٠.
- (٨٤٣) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٩٧ - ص ٥ - ٣.
- (٨٤٤) الكافي - الكليني - ج ٤، ص ١٥٦؛ من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ١٦٠.
- (٨٤٥) إقبال الأعمال - ابن طاووس - ج ١ - ص ٣٧٤.
- (٨٤٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٤ - ص ٥.
- (٨٤٧) روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم». ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ١٨١٨.
- (٨٤٨) تفسير نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ - ص ٦٢٧.
- (٨٤٩) ليلة القدر معراج الصالحين - محمد تقي المدرسي - ص ١٩ - ٢٠.
- (٨٥٠) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٣٢.
- (٨٥١) القارة / ١ - ٣.
- (٨٥٢) موقع السراج / net.alseraj / المحاضرات / المحاضرات الرمضانية / عظمة وفضل ليلة القدر - للشيخ حبيب الكاظمي.
- (٨٥٣) القدر / ٣.
- (٨٥٤) تفسير جامع الأحكام - القرطبي - ج ٢٠ - ص ١٣٣.
- (٨٥٥) تفسير نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ - ص ٦١٥.
- (٨٥٦) ليلة القدر معراج الصالحين - محمد تقي المدرسي - ص ٧ - ٨ - بتصرف.
- (٨٥٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٤ - ص ١٥.
- (٨٥٨) الشعراء / ١٩٣.

- (٨٥٩) الشورى/ ٥٢.
- (٨٦٠) تفسير نمونة-مكارم شيرازي-ج٢٦-ص١٨٤ نقلاً عن تفسير البرهان-هاشم البحراني-ج٤-ص٤١٨.
- (٨٦١) ليلة القدر معراج الصالحين-محمد تقي المدرسي-ص١٠-١١.
- (٨٦٢) الأنبياء/٢٦-٢٧.
- (٨٦٣) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج٢٠-ص٣٤٦.
- (٨٦٤) مفاتيح الجنان، ص٢٢٥.
- (٨٦٥) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج٣-ص٢٠٢٤.
- (٨٦٦) إقبال الأعمال-السيد ابن طاووس-ج١-ص٣٧٩.
- (٨٦٧) تفسير فرات الكوفي-فرات الكوفي-ج١-ص٥٨٢.
- (٨٦٨) راجع: تفسير الميزان-السيد الطباطبائي-ج٢٠-ص٣٣١.
- (٨٦٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٩٤-ص١٩.
- (٨٧٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٢٥-٩٨.
- (٨٧١) مدينة المعاجز-هاشم البحراني-ج٢-ص٤٤٨.
- (٨٧٢) شبكة الإمام علي ع/ net.imamali.tableegh /العقائد/ دروس في العقيدة/ ليلة القدر والإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) -نقلاً عن (مجلة اليقين)، العدد (٥٠).
- (٨٧٣) البقرة/ ٣٠.
- (٨٧٤) الأحزاب/ ٣٣.
- (٨٧٥) الشعراء/ ٢٢١.
- (٨٧٦) مستدرك الوسائل-الميرزا النوري-ج٧-ص٤٦٢.
- (٨٧٧) بحار الأنوار-بحار الأنوار-ج٩٤-ص١٥.
- (٨٧٨) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٢٤٩.
- (٨٧٩) يونس/ ٣.
- (٨٨٠) مضمون الحديث مروى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. المصدر: بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٢-ص٩٠.
- (٨٨١) الفتح/ ٤.
- (٨٨٢) كالصواعق، الزلازل، الطوفانات، والرياح العاتية تُعد من جنود الله التي يمكن أن يُرسلها كعقاب أو كوسيلة لتغيير الأحوال.
- (٨٨٣) كبعض الحيوانات قد تُستخدم كجنود لله لتحقيق غايات معينة، كما في قصة جيش أبرهة الذي أرسل عليه طير أبابيل تحمل حجارة من سجيل.

- (٨٨٤) البقرة/ ٣٠.
- (٨٨٥) النمل/ ١٧.
- (٨٨٦) النازعات/ ٥.
- (٨٨٧) القدر/ ٤.
- (٨٨٨) تفسير الميزان- السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٣٢.
- (٨٨٩) ق/ ١٨.
- (٨٩٠) الكافي- الكليني - ج ٤ - ص ١٥٧-١٥٨.
- (٨٩١) الهداية- الشيخ الصدوق- ص ١٩٧.
- (٨٩٢) الإنسان/ ٣.
- (٨٩٣) الأنفال/ ٢٥.
- (٨٩٤) إبراهيم/ ٧.
- (٨٩٥) البحار- المجلسي- ج ٩٦ - ص ١٣٧/ ٧١.
- (٨٩٦) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٧١- ص ٨٨.
- (٨٩٧) الشورى/ ٣٠.
- (٨٩٨) وسائل الشيعة- الحر العاملي - ج ١٠- ٣٥٤.
- (٨٩٩) الرعد/ ٣٩.
- (٩٠٠) إقبال الأعمال- السيد ابن طاووس - ج ١- ص ٣٤٥.
- (٩٠١) مفاتيح الجنان، ص ٢٣٦.
- (٩٠٢) وسائل الشيعة- الحر العاملي - ج ١٠- ص ٣٠٤.
- (٩٠٣) موقع الشيخ الصفار / me.saffar / خطب الجمعة النصية / ليلة القدر: قرارات التحوّل والتغيير- بتصرف.
- (٩٠٤) أي: من أحيا ليلة القدر بالصلاة، والعبادة، وقراءة القرآن، والدعاء، والتضرع إلى الله تعالى.
- (٩٠٥) فضائل الأشهر الثلاثة- الشيخ الصدوق - ص ١٠٥.
- (٩٠٦) الدخان/ ٤.
- (٩٠٧) كامل الزيارات- ابن قولويه القمي - ص ١٨٤.
- (٩٠٨) مركز الأبحاث العقائدية / net.aqaed / الأسئلة والأجوبة العقائدية / ليلة القدر/ مستحبات ليلة القدر- بتصرف.
- (٩٠٩) مجمع مصائب أهل البيت ع- الشيخ الهنداوي- ج ٤- ص ١٣٥-١٣٦.

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



مَعَهْدُ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ / قَسْمُ التَّوْفِيقِ وَالْإِشْرَاقِ الْأَنْبَرِيِّ